قراءة جديدة

في

حتمية زوال إسرائيل

darjundi46@gmail.com
www.for-alquds.org

قراءة جديدة في حتمية زوال إسرائيل

محمد السيد الشناوي..

*

الطبعة الأولى (2021).

*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

قراءة جديدة

في

حتمية زوال إسرائيل

دراسة جديدة
في ضوء
القرآن والسنة والتاريخ

بقلم
محمد السيد الشناوي
(ابن السيد)

الطبعة الأولى
2021 م

من الوعد الإلهي

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف:167).

ويقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ (محمد: 7، 8).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف:87).

إهـــــداء

إلى هؤلاء المؤمنين المجاهدين.. الجيل المنشود، لنصر الله المنشود، الذين كانوا في خيالي أمنية وحلمًا، فإذا بي أراهم في واقع الحياة قائمين، يجاهدون في سبيل الله - عسكريًا ومدنيًا - في أرض الرباط والجهاد.. في عالمنا العربي.. في فلسطين والعراق ولبنان وغيرها.

إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا الكتاب؛ لعلهم يجاهدون موقنين بوعد الله لهم بالنصر والتحرير.

خطبة الكتاب

الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم.. وبعد:

1- فمما لا شك فيه أن تحرير فلسطين من دنس الاحتلال اليهودي واجب كل مسلم، وهَمٌّ ينام به ويصحوا عليه.. فدماء الشهداء وأنين الثكلى، وحرمان الأسرى وآلام المُشرَّدين ماثلة أمامه لا تغيب عن عينه في ليله ونهاره.

وكيف لا، وفيها أولى القبلتين، ومنتهى إسراء رسول الله ﷺ ومبتدأ معراجه، وثالث البقاع التي لا تشد الرحال إلا إليها؟!.

فهي أرض الإسلام منذ أن فتحها رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، ودخلها جيش المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. فلا عجب أن يكون تحريرها واجب كل مسلم، يعمل له، ويسعى إليه.

واليهود يدركون هذه المنزلة السامية لفلسطين لدى المسلمين، وقوة حرصهم على تحريرها لتعود إسلامية كما كانت؛ ولهذا يعملون بكل السبل لصرفهم عن القتال لتحريرها.. فيُشيعون بينهم أن الانتصار على الجيش اليهودي ميئوس منه.. وأن التسليم باحتلال اليهود لفلسطين هو عين الحكمة والتعقل، وأن التفكير في قتالهم لتحريرها حماقة وغباوة.

ويبدو أن اليهود وجدوا في المسلمين من ينخدع بوساوسهم هذه، حتى شممت زَفَر اليأس يفوح في رقعة ليست هيِّنة من بلادنا الإسلامية، تحت ضغط الضعف العربي من ناحية، والتضامن الصليبي مع اليهود من ناحية أخرى.

وهذا مما زاد اهتمامي بالاشتغال في خطبي ومحاضراتي بالحديث عن فلسطين ووجوب تحريرها، وعن حتمية زوال إسرائيل بأيدي المؤمنين في ضوء القرآن والسنة؛ لتبْقى جذوة الأمل في نفوسهم متقدة.

وفي مسجدي كانت خطبتي للجمعة عن اقتراب زوال إسرائيل مستدلاً بآيات من القرآن العظيم وبأحاديث من أحاديث الرسول الكريم.. وقد تقبل المصلون الخُطْبة

بقبول حسن، حتى ألحّ عليَّ بعض الشباب أن أسجلها على الصحائف؛ لتبقى للناس مقروءة، بعد أن كانت مسموعة؛ فإن المكتوب أطول عمرًا، وأبقى أثرًا، وأوسع انتشارًا من الخطبة المسموعة.

ومن يومئذ إزداد اهتمامي بهذا الموضوع في خطبي ومحاضراتي ودروسي في المساجد والمحافل، حتى عام 1425هـ/ 2004م حينما أخرجت كتابي **"المقاطعة فريضة وضرورة"**[1]، وعرضته على أحد رجال الأعمال في مدينتي، فإذا به يقول: لا تتعب نفسك، إسرائيل موجودة في واقعنا، وليس في إمكاننا تغيير هذا الواقع، فلابد أن نتعامل معها.

وحينئذ أدركت أنه من الواجب عليَّ أن أسجِّل ما أيقنته في هذا الموضوع: **"حتمية زوال إسرائيل"** في كتاب يُقرأ ويُنشر على المؤمنين؛ لإشاعة الأمل وإبقائه حيًا بينهم.

واليأس مرض نفسي قاتل، وهزيمة قبل الهزيمة، وهذا ما أخافه.

وهل يقبل المؤمنون التنازل عن فلسطين المباركة وفيها إخوانهم في الدين... وفيها المسجد الأقصى، وهو أولى القبلتين، وثالث المسجدين، ومنتهى إسراء رسول الله ﷺ، ومبتدأ معراجه؟!.

وبعد هذه الحروب التي أُزْهقت فيها نفوس المؤمنين، وأُنفقت فيها أموالهم، وبُحَّت فيها حناجرهم بالتنادي بالجهاد والتضامن والتحرير.. هل بعد ذلك يقبل المؤمنون الاستسلام لليهود باغتصاب أرضهم، وتشريد إخوانهم؟!.

لا أجد مؤمنًا أبيًّا يرجو الله واليوم الآخر يقبل هذا حتى لو طال ضعف الأمة، وطال أمد الاحتلال، وقد قال عمر بن الخطاب: يعجبني في الرجل إذا سيم الخسف -أي وقع عليه ظلم -أن يقول بملء فيه: لا.

2- هذا، وقد قرأت كثيرًا مما كتبه الكاتبون المسلمون في هذا الموضوع، فتأكدت أن لدي جديدًا أقوله للنَّاس عامة وللمؤمنين خاصة؛ مما

---

(1) مركز الإعلام العربي للنشر، مصر.

شجعني على إخراج هذا الكتاب.

وبعضهم كتب كتابًا بعنوان: **نهاية إسرائيل** عام 2022م، وبنى دراسته على أرقام وحسابات أساسها رقم (19، 76)، وهو نهْج أقرب إلى نهْج النِّحلة البهائية الوثنية، أو هو هو؛ ولهذا رفضه الأزهر في مجمع بحوثه الإسلامية في مصر، ومنع طبعه وتداوله، وأكَّد تقرير المجمع أنَّ الكتاب يُعتبر من قبيل التنبؤ بالغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله[1].

وقد قرأت الكتاب ورقة ورقة، بل كلمة كلمة، فوجدته كما قال العلماء في المجمع المذكور.

ولهذا توكلت على الله، وسطرت هذه الصحائف لأبشر المؤمنين بوعد الله لهم بالنصر والتمكين، ولأطرد اليأس من نفوسهم؛ ليعملوا ويجاهدوا مؤمّلين في نصر الله، غير يائسين منه.

3- **وأنبه منذ البداية**: أن كتابي هذا ليس كهانة، ولا تنبُّؤًا بالغيب، ولم أرد بلفظ الحتمية التهجم على الغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله، كما يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النمل:65).

إنما هو قراءة واستنتاج من نصوص القرآن وصحيح السنة، وإن شئت قل: هو دراسة في التفسير الموضوعي للقرآن والسنة، أو هو قراءة في إعجاز القرآن والسنة، موضوعها: بشارة المؤمنين العاملين بالنصر والتمكين؛ وإيمانًا بوعد الله لهم بالنصر والتحرير واسترداد الحقوق.

وهو أيضا استنتاج من واقع الصحوة الإسلامية ونموّها، فقد كان المؤمنون إلى عهد قريبٍ غارقين في أوحال الجهل بالإسلام، ثم هيَّأ الله للإسلام علماء مجدِّدين، وشبابًا حملوه فكرًا وسلوكًا، وبدءوا العودة إليه شيئًا فشيئًا، حتى أصبحوا شجرة عالية، عميقة الجذور، ممتدة الفروع، طيبة الثمار؛ ومن ثم سيكمل تناميهم، وتزداد قوتهم إن شاء الله، حتى تعود للمؤمنين دولتهم،

---

(1) راجع: جريدة عقيدتي، 1423/4/4هـ - 2002/8/3م.

ويجاهدوا لتحرير فلسطين من الاحتلال اليهودي، وليس في هذا قراءة للغيب، بل قراءة لسنن الله تعالى في نمو الفكر والحركة، على نحو ما قال الشاعر:

وإذا رأيت من الهلال نموه ** أيقنْت أن سيكون بدرًا كاملاً

أمَّا كلمة (الحتمية) فإن علم البديع في البلاغة العربية يبيح لنا استخدامها من باب المشاكلة والمقابلة لمن قال: بحتمية قيام إسرائيل، على غرار قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء:142).. وقوله سبحانه: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30).

ولهذا سميت الكتاب "حتميّة زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ".

ومن الطريف أن أحد العلماء، وهو : ابن برجان الأندلسي كتب سنة 522هـ يبشر المؤمنين بزوال الدولة الصليبية من فلسطين عام 583هـ، وحقق الله بشارته، وزالت الدولة الصليبية من فلسطين في نفس التاريخ المذكور [1].

وأسأل الله أن يحقق بشارة كتابي هذا كما حقق بشارة ابن برجان (-)، وتزول الدولة اليهودية الثانية من فلسطين بأيدي المؤمنين، كما زالت الدولة الصليبية البائدة.. وأسأل الله أن يكون قريبا.. اللهم آمين.

4- هذا، وقد جعلت الكتاب أربعة فصول، وخاتمة.

في الفصل الأول: المؤمنون أمام وعد الله تعالى.

وفي الفصل الثاني: حتميّة زوال إسرائيل في ضوء القرآن.

وفي الفصل الثالث: حتميّة زوال إسرائيل في ضوء السنة.

وفي الفصل الرابع: حتميّة زوال إسرائيل في ضوء التاريخ، واخترت ثلاث وقائع تاريخية تكفي للبيان.

---

(1) راجع: البداية والنهاية 12/ 347.. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (3 / 393 : 396)، الأنس الجليل (1 / 331).

ثم ذكرت: مُلحقًا في حتمية زوال إسرائيل في ضوء الكتاب المقدس.

وفي الخاتمة: بينت ما انتهى إليه الكتاب من نتائج وتوصيات

5- وأخيراً هذا كتابي بذلت فيه جهدي ـ وهو جهد المُقِل ـ وتحريت فيه الصواب قدر استطاعتي، ولكل مجتهد نصيب، ولا أزعم أنى بلغت الكمال، أو نهاية المقال.. وقد قيل:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وإذا كان فيه من خير فهو من فضل الله وحده، وله وحده الحمد والمنة، وإذا كان فيه من خطأ فهو من رشحات نفسي الأمَّارة بالسوء، ولم أقصده، وأسأل الله أن يغفره لي، ويأجرني عليه، اللهم آمنين.

وحسبي أني ما أردت إلا الخير لأمتي ولديني، وأقول كما قال نبي الله شعيب عليه السلام ـ فيما يحكي القرآن عنه ـ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود:88).

وأقول مع مؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (غافر:44).

وأوصى من يقرأ كتابي هذا أن يدعو الله أن ينفعني به في دنياي وآخرتي، وينصحني بما يجده من زلات متى استطاع إلى ذلك سبيلا.. وما أحسن ما قال الجريري:

وإن تجد عيبًا فسد الخللا فَجَلَّ من لا عيب له

وأسأل الله أن ينفع بالكتاب مؤلفه وناشره، وقارئه ومن يدل عليه، اللهم آمين، ويرحم الله عبدًا قال: آمينًا.

***محمد السيد الشناوي**.. من علماء الأزهر*

كاتب وباحث إسلامي.. وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

في 10 /7/ 2006م، صفط تراب - المحلة الكبرى – مصر.

مقدمة الطبعة الجديدة لعام 1432هـ 2011م

ظهر هذا الكتاب في طبعة محدودة خاصة بالمؤلف عام 2006م ـ يحمل البشارة للمؤمنين، ويغرس فيهم الأمل بنصر الله وتحرير فلسطين.. ولم تمر سنوات خمس على ظهوره حتى أشرقت البشائر باقتراب تحرير فلسطين، وكان من أهم هذه البشائر: الثورات الشعبية الهادرة في عدد من أقطار العالم الإسلامي، مثل ثورة: الشعب التونسي في ديسمبر عام 2010م، وثورة الشعب المصري في21 صفر عام 1432 هـ .. 25 يناير 2011م، وكل من الشعبين أزال الطغيان العلماني عن كاهله.. ثم قام الشعب الليبي واليمني والسوري بثورته.

ومن أحسن ما أفادته هذه الثورات الشعبية: أنها علَّمت الشعوب أن لصوتها الجماعي قوة مُزلزلة، ولإرادتها الصامدة تأثير وتغيير، كما قال أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ... ولابد للقيد أن ينكسر

وكان مما يُبشر باقتراب النصر والتحرير أن هذه الشعوب الثائرة لم يغب عنها في ثورتها تحرير فلسطين، فكان من شعاراتها المرفوعة بعد نجاح ثورتها في تونس ومصر: (الشعب يريد الوحدة الإسلامية).. (الشعب يريد تحرير فلسطين).

وكان من أثر هذه الشعارات المحبوبة كسْر جزء من الحصار المفروض على أهل غزة بفتح معبر (رفح) بين مصر وغزة؛ ليمد أهل غزة المنكوبين بماء الحياة بعد أن أُغلق طويلاً بفعل الطغيان العلماني الفاجر، الذي شارك اليهود في الحرب ضد أهل فلسطين عامة، وأهل غزة خاصة.

وأسأل الله تعالى بعد أن تستقر هذه الشعوب المسلمة أن تجعل شغلها الشاغل العمل لتحرير فلسطين، وتُحول شعارها المذكور إلى برنامج عمل للتحرير المنشود.. فتُعد للجهاد عدته، وتستجمع له أسبابه وشروطه، وتبدأ مسيرتها الجهادية في سبيل الله، ولا تيأس من نصر الله، فإن الله سيرزقها وعده بالنصر والتحرير.

وأنبه هنا: أن هذه الطبعة الجديدة تميزت عن سابقتها بتوسعة وزيادات كثيرة، وتصحيح خطأ تاريخي وقع في الطبعة السابقة بغير قصد، وهو أني ذكرت أن الأديب المعروف أبي علي القالي (بالقاف المثناة) صاحب كتاب (الأمالي) باع كتبه لفقره، وهذا ليس صحيحًا، والصحيح أنه الأديب" أبي الحسن (علي بن أحمد) الفالي (نسبة إلى بلدة فَالَة بالفاء الموحدة) بخوزستان توفي ببغداد سنة 448 هـ، فهو الذي باع كتبه من شدة فقره، وباع نسخة من كتاب "الجمهرة" لابن دريد، وكان شغُوفاً بها، فاشتراها الشريف المرتضي (علي بن طاهر) فوجد عليها بخط أبي الحسن:

أنسْتُ بها عشرين حولاً وبعتها ... فقد طال وجْدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلَّدتني في السجون ديوني

ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ، عليهمُ تستهل جفوني

فقلت ولم أملك سوابق عَبرتي ... مقالة مكْويٍّ الفؤادِ حزين

وقد تُخرج الحاجاتُ يا أم مالكٍ ... كرائمَ من ربٍ بهن ضنين.

فأرجع الشريف المرتضي النُّسخة إليه، وترك له الدنانير رحمه الله تعالى[1].

وأسأل الله رب العالمين أن يقبل هذا العمل منى فى صحيفة حسناتى وينفعنى به فى دنياى وبعد مماتى.. وأقول مع الشاعر.

أموت ويبقى كلُ ما كتبتُه ... فيا ليت مَنْ يقرأ كتابي دعَا لِيا

لعل إلهي أنْ يَمُنَّ بلطفه ... ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

والله المستعان.

محمد السيد الشناوي.. من علماء الأزهر

صفط تراب. م. المحلة الكبرى ـ غربية ـ مصر.

في 1432هـ الموافق 2011م.

---

(1) راجع : سير أعلام النبلاء 54/18 ط الرسالة .. والخبر مذكور في الفصل الرابع من الكتاب .

الفصل الأول
المؤمنون أمام وعد الله تعالى

وجوب الأمل[1] لدى المؤمنين

أولاً: لابد أن نقرر في البداية أن: الأمة الإسلامية في عصرنا تمر بحالة من الضعف لم تعهدها من قبل، فقد تعزز عليها الذليل، وتشجَّع عليها الجبان، وطمع فيها من لا يدفع عن نفسه.. وتداعت عليها الأمم؛ لتحتل أرضها، وتنهب ثرواتها.. وتجمعت شراذم اليهود من أقطار الأرض - مستعينين بالصليبيين - واغتصبوا فلسطين المسلمة، وأقاموا عليها بالبغي والعدوان دولتهم الثانية التي سموها: "إسرائيل".

هذا مما جعل بعض المسلمين يعتريهم اليأس، ويظنون أن قوة المؤمنين في إدبار، وأن علو اليهود في إقبال، ولا أمل في النصر عليهم، ولا في إزالة دولتهم، وتحرير فلسطين من رجسهم، ولهذا عقدوا معهم معاهدة سلام سموها "السلام الدائم"، وأن معركة العاشر من رمضان 1393هـ (1973/10/6م) هي آخر الحروب ضد اليهود.

واليهود أنفسهم يسعون ليغرسوا في المسلمين هذه الروح اليائسة من النصر عليهم وإزالة دولتهم، ومن ذلك: أنهم أشاعوا عن جنودهم: الجيش الذي لا يقهر.

ونُشِرَتْ كُتبٌ بين المسلمين باللغة العربية تحمل عناوين، مثل: "الدنيا لعبة إسرائيل". و"أحجار على رقعة الشطرنج".. "حكومة العالم الخفية"، وأمثالها، وكلها اشتركت في تصوير اليهود بأنهم الحكومة الخفية الحقيقية للعالم، وما العالم بين أيديهم إلا أحجار على رقعة الشطرنج، يحركونها كما يشاؤون.

وذكرت مجلة أكتوبر المصرية في 1984/9/9م أن عضو الكونجرس الأمريكي "مايكل سابا" جاء إلى مصر؛ ليدعو لكتابه "شبكة أرماجدو"، وموضوعه: أن اليهود يحكمون كل شيء في أمريكا، ويعلمون كل شيء عن

---

(1) الأمل في اللغة هو: الرجاء... وفي الاصطلاح: توقع حصول الشيء قبل حدوثه، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله (تاج العروس 214/7).

قوتها وأسرارها العسكرية والاقتصادية وغيرها.

وماذا يفعل المؤمنون أمام هذه القوة اليهودية الهائلة التي صُوِّرت لهم كأنها إله من دون الله؟.. يتصرفون في الكون كما يشاؤون، ويقولون: من أشد منا قوة؟!!.

وهذا كما قالت المجلة: لغرس اليأس في الأمة، وقتل روح المواجهة والجهاد فيها.

ثانيًا: واليأس إعصار مدمر لقُوَى الإنسان... فهو يقطع خيط الرجاء في القلب، ويقتل روح الجهاد والمقاومة، ويشجع على الاستكانة والاستسلام للأعداء، فهو ضعف فوق الضعف، وهزيمة قبل الهزيمة، وقد قال القائل:

واليأس يحدث في أعضاء صاحبه ** ضعفًا، ويورث أهل العزم توهينَا

كما حدث للأمة الإسلامية في محنة التتار، حيث زحف عليها التتار كالجراد المنتشر، ودمروا فيها الأخضر واليابس، وقتلوا من أهلها ما نالته أيديهم، حتى ظن المسلمون أن التتار خلق فوق البشر، وقوة لا تقهر، وجنود لا تُهزم، وقالوا في أمثالهم السائرة: إذا قيل: إن التتار قد انهزموا، فلا تصدق.

وهكذا غلبت على المؤمنين روح الرعب واليأس والاستسلام إلى حد أن تتاريًا دخل سكة في بغداد، ووجد فيها مئة رجل من المسلمين فقتلهم كلهم، وأتى على آخرهم، دون أن يفكر واحد منهم في مقاومته أو الفرار منه!!.

وقد حدث أن تتاريًا أمسك مسلمًا، وقال له: ضع رأسك على هذا الحجر، حتى آتي بالخنجر وأذبحك، وخضع المسكين لأمره، ولم يسعه أن يبرح مكانه، ولو بالهرب، حتى أتى التتاري بالخنجر من المدينة وذبحه (عجبي).

وهذا كله من غلبة روح اليأس من المقاومة والنصر، وهو ما نخشاه على المسلمين في عصرنا.

ولهذا ذم الله اليأس، وجعله من صفات الكافرين؛ تحريمًا له، وتنفيرًا منه، يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت:23)

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَايْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:87).. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(الحجر: 56).

ثالثًا: هذا بخلاف الأمل.. فالأمل هو قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتقوى دواعي الكفاح من أجل الحق، وتبعث النشاط في الروح والجسد، وتدفع الكسول إلى الجد، والمجدّ إلى المداومة على جده، والزيادة فيه، وتغرس في المؤمنين روح الجهاد والمقاومة والرباط لنصرة الإسلام، حتى يتحقق لهم وعد الله تعالى بالنصر والتمكين.. فهو نصر قبل النصر.

والمؤمنون في عصرنا أحوج إلى الأمل والرجاء في وعد الله تعالى لهم، وخاصة في أوقات الشدائد والمحن.

رابعًا: ونصوص القرآن والسنة تتكاثر لتغرس في المؤمنين هذا الأمل بوعد الله، وتقوي فيهم روح الجهاد والثبات والمصابرة.

1 -ففي القرآن الكريم يقول سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: 214).

أجَل، إن الإنسان لتملكه الرهبة من تصور هول الشدائد التي تقع على المؤمنين فتصيبهم بالبأساء في أموالهم، وبالضراء في أبدانهم، وبالزلزلة في نفوسهم، وتطول عليهم حتى يستبطئوا نصر الله لهم، ويستعجلوه قائلين: متى نصر الله؟.

والإنسان عجول بطبعه، لكن الله لا يعجل بعجلة أحد، وكل شيء عنده بأجل مسمى لا يتقدم ولا يتأخر.. وهنا يسوق الله لهم نصره الذي وعدهم به، وكأنه أقرب

إليهم، كما يقول سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.إنه قريب لمن يستحقونه، ولا يستحقه إلا المؤمنون العاملون، والمجاهدون الصابرون، الذين لا يحنون رؤوسهم لليأس والهزيمة، ويُجاهدون في سبيل الله آملين في حصوله بأيديهم.

2 -والثابت في التاريخ الإيماني أن المحن كثيرًا ما تشتد على المؤمنين، وتطول بهم، وكثيرًا ما يطول ترقبهم لنصر الله فلا يجيء كما يريدون، حتى لم يعُد لهم جهد، ولم يبق لهم إلا اليأس من أسباب النصر الظاهرة، وهنا يجيء نصر الله مفاجئًا لهم بعد اليأس منه.. وهم أحوج الناس إليه، ويحل بأس الله بالقوم المجرمين - من اليهود وغيرهم - فيدمر علوهم، ويزيل دولتهم بأيدي المؤمنين، كما يقول سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (يوسف:110).

وقرأت عائشة (6): (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) - بتشديد الذال -وقالت لابن أختها عروة بن الزبير: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنوا – أي الرسل -أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك[1].

ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ (الشورى:28).

وما بين اليأس والأمل إلا لحظات طالت أم قصرت، تتفتح فيها أبواب رحمة الله، وهو الولي الحميد.

3 -وفي غزوة بدر، وبينما يخوض المؤمنون أولى حروبهم النظامية على كُره

(1) صحيح، أخرجه البخاري رقم 6695، تفسير المراغي، 56/13.

منهم، وعلى غير ميعاد سابق إذا برسول الله ﷺ ينظم صفوفهم ويحثهم على الجهاد والصبر، ويبشرهم بالنصر، ويغرس فيهم الأمل في وعد الله تعالى، يقول ﷺ: سيروا وأبشروا، فإن الله ع قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم[1].

وفي غزوة أحد ابتُليَ المؤمنون ابتلاءً شديدًا، وقتل منهم سبعون شهيدًا، وأنزل الله عقب ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: 139، 140).

وهنا يوجب الله على المؤمنين ألا يحزنوا لما أصابهم، وألا يضعفوا في أنفسهم بسببه، وألا يستسلموا لليأس فيستولي عليهم ويصيبهم بالهوان والخذلان؛ فهم الأعلون بإسلامهم ولو كانوا قلة، والله معهم بإيمانهم ولو كانوا ضعفاء، ولن يضيع ثباتهم وجهادهم، يقول سبحانه: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد:35).

وإنما هي سنة الله فيهم أن يُصيبوا ويُصابوا، ويَقْتُلوا ويُقْتَلوا، كما يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111).

فإن مسّهم قرح أو بلاء في غزوة أحد، فقد مس أعداءهم مثله بأيديهم في غزوة بدر، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، والنصر والتمكين في العقبى لهم[2].

وفي السنة النبوية نجد أحاديث كثيرة، وكلها تُشيع بين المؤمنين الأمل في

---

(1) صحيح ذكره ابن هشام في السيرة رقم 728، وصححه الألباني في فقه السيرة 231.

(2) في ظلال القرآن، في تفسير الآية بتصرف 480/1.

نصر الله، مثل:

(أ) حديث خبَّاب بن الأرت.. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟.. ألا تدعو لنا؟.

كأنهم يستبطئون سير الزمن، ويستحثون خطاه، ويتعجلون التخلص من عذاب المشركين بدعوة من رسول الله ﷺ فينزل الله بأسه بهم، كما أنزله بعاد وثمود والذين من بعدهم.

فجلس رسول الله ﷺ محمرًّا وجهه من الغضب؛ لقلة صبرهم وثباتهم، ولقّنهم درسًا في الأمل؛ ليحثهم على الثبات والصبر، حتى تنقضي المدة المقدورة، ويأتيهم بعدها وعد الله تعالى بالنصر والتمكين.

فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

(ب) ولما أصيب رسول الله ﷺ والمسلمون في غزوة أحد، قال اليهود: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب بهذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه.

واستأذن عمر بن الخطاب ﷺ رسول الله ﷺ في قتل من يسمعه منهم يقول هذه المقالة، ولكن رسول الله ﷺ أبى إلا أن يُلقِّنه و يُلقِّن المؤمنين معه درسًا في الأمل بوعد الله لهم بالنصر، فقال: «يَا عُمَرُ، إِنّ اللّهَ مُظْهِرٌ دِينَهُ، وَمُعِزّ نَبِيّهُ، وَلِلْيَهُودِ ذِمّةٌ فَلاَ أَقْتُلُهُمْ»[2].

(ج) وفي غزوة الأحزاب أحاط المشركون بالمدينة المنورة إحاطة السوار

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري، 3612، وأبو داود 2649، وأحمد 21057، وغيرهم.
(2) إمتاع الأسماع 165/1، الصراع مع اليهود، 154/1.

بالمعصم، وحاصروا المؤمنين حصارًا شديدًا، حتى اشتد الهول والخوف بالمؤمنين، شدة سجلها القرآن الكريم في قوله سبحانه:

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾(الأحزاب:10).

وفي هذه الشدة الخانقة كان رسول الله ﷺ يحفر الخندق مع المؤمنين، ويبث فيهم الأمل بنصر الله، وجعل شعارهم في المعركة: "هم لا ينصرون"؛ تأكيدًا لبشارتهم بالنصر.

(د) ولما اعترضت الصحابة صخرة شديدة أثناء حفرهم الخندق، وتكسّرت عليها معاولهم، جاء رسول الله ﷺ بمعوله وقال: (**بسم الله**)، وضربها ضربة فكسر ثلثها، وبرقت برقة، فخرج نور من قبل اليمن، فأضاء ما بين لابتي المدينة، حتى كأن مصباحًا في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وقال: «اللّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاَللّهِ إنّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السّاعَةَ، كأنها أنيابُ الكلاب»[1].

ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثًا آخر، وبرق منها برقة، فخرج نور من قبل الروم، فأضاء ما بين لابتي المدينة، فكبر رسول الله ﷺ وقال: «اللّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الشّامِ، وَاللّهِ إنّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذا الساعة».

ثم ضرب الثالثة، فقطع بقية الحجر، وبرق برقة من جهة فارس، فأضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبر رسول الله ﷺ وقال: «أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصور الحيرة، ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا بالنصر...»، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعد صادق، بأن وعدنا النصر بعد الحصر.

---

(1) سبل الهدى والرشاد، 524/4.

وجعل ﷺ يصف لسلمان الفارسي ﷺ قَصْرَ كِسْرَى الأَبْيَضَ بالْمَدَائِنِ، فقال سلمان: **صَدَقْتَ وَالّذِي بَعَثَكَ بالْحَقّ إنّ هَذِهِ لَصِفَتُهُ، وَأَشْهَدُ أنّكَ لَرَسُولُ اللّهِ،** فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: هَذِهِ فُتُوحٌ يَفْتَحُهَا اللّهُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَا سَلْمَانُ، لَتُفْتَحَن الشّامُ، وَيَهْرُبُ هِرَقْلُ إلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ، وَتَظْهَرُونَ عَلَى الشّامِ فَلا يُنَازِعُكُمْ أَحَدٌ، وَلَتُفْتَحَن الْيَمَن، وَلَيُفْتَحَن هَذَا الْمَشْرِقُ، وَيُقْتَلُ كِسْرَى فلا يكون كِسْرَى بَعْدَهُ.

قَالَ سَلْمَانُ: **فَكُلّ هَذَا قَدْ رَأَيْت** [1].

(هـ) ولما جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ بنقض يهود بني قريظة عهدهم مع المؤمنين، أرسل إليهم ﷺ عددًا من الصحابة؛ ليتأكدوا من صحة الخبر، وقال: انْطَلِقُوا حَتّى تَنْظُرُوا، أَحَقّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ أَمْ لا؟.. فَإِنْ كَانَ حَقّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلا تَفُتّوا فِي أَعْضَادِ النّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاسِ[2].

وهذا لتبقى روح الجهاد والثبات في المؤمنين متّقدة، ولا يزدادون خوفًا على خوف، ولا يصيبهم اليأس والوهن.

ولما جاءه الصحابة مؤكدين له صحة الخبر في غدرهم وخيانتهم قال: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين[3]... أي بالنصر.

وفي بعض الروايات: أن رسول الله ﷺ لما جاءه تأكيد خبر غدرهم تقنّع واضطجع، ومكث طويلاً حتى اشتد بالمؤمنين البلاء، لكنه ﷺ: رفع رأسه، وقال: ((أبشروا بفتح الله ونصره))[4].

---

(1) سبل الهدى والرشاد، 520/4، وسيرة ابن هشام، 1354/3، والبيهقي في الدلائل 417/3، 418.

(2) سيرة ابن هشام، 205/3، رقم 1358، تاريخ الطبري 571/2.

(3) البداية والنهاية 105/4.

(4) المرجع السابق.

(و) ولما خرج المؤمنون لتأديب يهود خيبر زحفوا عليهم وحاصروهم مصْبحين، ولما رآهم اليهود قالوا فزعين: محمد والله، محمد والخميس (الجيش)... فقال رسول الله ﷺ: مبشرًا المؤمنين: «اللّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، اللّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِين»[1].

وهذا كله ليبث الأمل في المؤمنين بوعد الله، وخاصة في أوقات الشدة والضيق، ليعملوا مؤمِّلين، ويجاهدوا في سبيل الله مستبشرين، ويصابروا عدوهم راجين إحدى الحسنيين: إما النصر والسيادة، وإما الموت والشهادة.

(ز) ولهذا يجب أن نشيع في المؤمنين المجاهدين الأمل بوعد الله حتى تنقضي فترة الضعف المقدورة، ويحقق الله لهم وعده بالنصر والتمكين.

وخاصة أن الإسلام أمر المؤمنين بالتبشير لا بالتنفير، كما في قول الله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: 112)... وقوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 17، 18).. وكما في قول النبي ﷺ: «بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»[2].

خامسًا: ومن العلماء الربانيين الذين عملوا لإشاعة الأمل في الأمة وتبشيرها بنصر الله الإمام حسن البنا – فقد كتب مقالاً بعنوان "ولو"، وذكر فيه الشدائد التي لحقت بالمؤمنين في فلسطين حيث اغتصب اليهود أرضهم وقراهم ومدنهم، وقتلوا منهم وشردوا، ورفعوا علم الصهيونية على المساجد. قال:

"واليهود في مصر يرقصون، ويطربون ويمرحون في شوارع القاهرة والإسكندرية وغيرهما، ويرتلون الأناشيد بالعبرية لغة دولتهم المزعومة، ويرمقون هذا الشعب المصري الحزين بعين السخرية والاستهزاء، ويرمونه بنظرات الشماتة والاستهتار، وقد كشفوا عن صهيونيتهم الأصيلة، وألقوا عن مصريتهم الزائفة ثوب التستر والرياء.

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري 4197، 4198 عن أنس.

(2) صحيح... أخرجه البخاري 3038، ومسلم 4501، وأحمد 19699، وغيرهم، عن أبي موسى.

والصليبيون يضحكون من غفلتنا، ويعبثون بألباب رجالنا وقادتنا، ويجرونهم بخيوط الوعود الزائفة ومقاود الأوهام الباطلة؛ حتى يقفوا بهم على حافة هاوية ما لها من قرار، وينتهوا معهم إلى هذا المصير الذي يجمع بين النار والعار...!

والشعوب تتحرق غيظًا وتتمزق ألمًا، وتتلفت ذات اليمين وذات اليسار؛ فلا ترى إلا هؤلاء الرجال الرسميين الذين انطلت عليهم الحيلة، وجازت عليهم الخديعة، وأفلتت من يدهم الفرصة، وتسرب بتقصيرهم وخطأ تقديرهم الوقت دون جدوى أو فائدة؛ فلا تدري ماذا تفعل بهم. وكيف تأخذ حقها منهم. وماذا يفيد ذلك الآن، والعدو على الأبواب وليست هذه ساعة الحساب.

كل ذلك واقع، وهو واقع مؤلم محزن مؤسف، يكاد يغمر باليأس القلوب، ولكننا مع هذا الواقع كله نؤمن كل الإيمان بالفوز والنصر، ولن يتزعزع الأمل في نفوسنا مثقال ذرة، أو قيد شعرة، وما هي بأولى المرات، وصدق الله العظيم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(يوسف:110).

وفي هذه الآية بشرى النصر لليائسين، وبشرى الهلاك للمجرمين، فهي بشريان في الأولى والآخرة إن شاء الله رب العالمين، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ (ص:88)[1].

ولهذا يحلوا للمؤمنين المجاهدين أن يرددوا أنشودتهم كلما اشتدت بهم المحنة، وطال بهم الظلم.. قالوا:

يـا ظـلال السـجن خَـيِّمْ ... إننـا نهـوى الظلامـا

لـيس بعـد السـجن إلا ... فجـر بـدر يتسـامي

سادسًا: الأمل بغير عمل أمانٍ فارغة:

على أن الأمل في نصر الله بغير الإعداد له والعمل لأجله أمانٍ فارغة، وأحلام كاذبة، كمن يأمل أن يطير بغير جناح، أو يسير بقدميه على الماء، فليس له مصير إلا الهلاك والزوال.

---

(1) من تراث الإمام البنا، الكتاب الخامس، 294.

أجل، إن الأمل في النصر بغير الإعداد له والعمل له لا يحقق نصرًا، ولا يرد مغصوبًا، ولا يورث تمكينًا في الأرض.

ولهذا توعد الله الذين كفروا بالعذاب في دنياهم وآخرتهم حين ألهاهم طول الأمل في نعيم الدنيا عن الإيمان والعمل له حتى لقوا ربهم، كما يقول سبحانه: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر:3).

أما المؤمنون فقد أمرهم الإسلام أن يقرنوا الأمل بالعمل له، كما في قول الله سبحانه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(الكهف:110).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لجنوده في معركة القادسية : يا أهل القرآن.. إن رحمة الله لا تُنال، وجنته لا تُدخل بالأماني، ولا يُؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المُصدِّق، ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور : 55) [1].

قال ابن القيم: أجمع العارفون أن الرجاء لا يصلح إلا مع العمل له، والإعداد له.

وقال ابن عطاء الله: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية[2].

وقال معروف الكرخي: طلب الجنة بغير عمل صالح ذنب من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة الله بغير طاعته جهل وحمق[3].

ولهذا فالمؤمن الصادق يأمل في رزق الله ويعمل لكسبه، ويأمل في النصر، ويجاهد للفوز به، ويرجو الشهادة في سبيل الله، ويسعى لنوالها.

---

(1) راجع : البداية والنهاية .. لابن كثير 7/ 8 .
(2) نفسه.
(3) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية 225/1.

ولو اكتفى المؤمنون منذ عصورهم الأولى بالأمل في نصر الله دون العمل له ما أعدوا له عدة، وما جاهدوا عدوًا، وما أحرزوا نصرًا، وما نشروا الإسلام في الأرض، وما صانوا حرماتهم، وما حرروا أرضهم.

ولهذا يجب على المؤمنين أن يأملوا في نصر الله ولا ييأسوا منه، وأن يعدوا له العدة ويعملوا له، مهما طال زمن ضعفهم.. وأن النصر مع الصبر.. وإذا صدق العزم وضح السبيل.

المؤمنون أمام وعد الله

والمؤمنون أمام وعد الله ورسوله ﷺ يتلقونه باليقين والتصديق، وإذا تأخر عنهم اتهموا أنفسهم بالانحراف عن صراط الله المستقيم حتى لم يعودوا أهلاً له، واجتهدوا أن يستقيموا على هذا الصراط؛ ليكونوا أهلاً لوعد الله تعالى كما كان أسلافهم.

أولاً: ومن أصدق من الله قيلاً؟

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء:87).. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:122).

وفي كل من الآيتين استفهام تقريري، يقرر هذه الحقيقة الإيمانية التي يؤمن بها كل مؤمن في الأرض، ولا يرتاب فيها لحظة، ولهذا فالمؤمنون إذا قرءوا هاتين الآيتين يقولون: لا أحد أصدق من الله حديثًا... لا أحد أصدق من الله قيلاً.

ثانيًا: إن الله لا يخلف الميعاد:

كما يؤمن المؤمنون أن الله تعالى إذا وعد وفَّى، ولن يخلف وعده أبدًا، كما يقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم: 4 -6).

ويقول سبحانه: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (الرعد: 31).

وقد أكد الله وقوع وعده بصيغة التأكيد: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**)؛ ليكون في نفس المؤمن أرسخ من الجبال الرواسي.

ثالثًا: وصدق الله ورسوله:

ولهذا يستقبل المؤمنون وعد الله لهم بالتصديق المطلق، واليقين المطلق، والاستبشار به، ويقولون في ثقة المؤمنين، وإيمان الواثقين: هذا ما وعدنا الله ورسوله.. وصدق الله ورسوله، وما يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا.

(أ) ففي غزوة الأحزاب ابتلي المؤمنون ابتلاءً شديدًا؛ حتى زاغت من هوله أبصارهم، وبلغت قلوبهم الحناجر من الخوف، وكان رسول الله ﷺ في هذه الشدة يبشرهم بنصر الله، وفتح بلاد فارس والروم واليمن؛ تثبيتًا لهم.

وكان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يُشكّكون في صدق رسول الله ﷺ تشكيكًا أقرب إلى التكذيب، أو هو.. هو.. قالوا: يخبركم محمد أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تفتحون الخندق، ولا تستطيعون أن تبرزوا[1].

وفي هؤلاء يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾(الأحزاب:12).

أما المؤمنون الصادقون، فقد تلقوا وعد رسول الله ﷺ لهم بالتصديق والاستبشار، وقالوا: الحمد لله، موعد صادق، بأن وعدنا النصر بعد الحصر.

وقد خلّد الله هذا الموقف الإيماني في قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(الأحزاب: ٢٢).

(ب) ولما علم يهود المدينة أن المؤمنين يتجهزون لغزو إخوانهم اليهود في خيبر أخذوا يخذّلونهم، ويلقون فيهم أسباب اليأس، ويقولون: ما أمنع والله يهود خيبر منكم، لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها، لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذُرا الجبال، والماء فيها واتن (أي دائم). إن بخيبر لألف دارع (مقاتل) ما كانت قبيلة أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم، أفأنتم تطيقون خيبر؟... ولكن الصحابة كانوا يقولون لهم بثقة المؤمنين وإيمان الواثقين: قد وعدها الله نبيه أن يغنمه إيّاها[2].

الطريف أن كل يهودي بالمدينة له مال على مسلم طالبه به وقتئذ ولا يؤخره؛

---

(1) سبل الهدى والرشاد 520/4، وعزاه للبخاري في صحيحه.

(2) المغازي للواقدي 637/2... الصراع مع اليهود 25/3.

تضييقًا عليهم... **قال الواقدي**: لما تجهز المسلمون إلى خيبر شق ذلك على يهود المدينة، الذين هم موادعون لرسول الله ﷺ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خيبر أهلك الله خيبر، كما أهلك بني قينقاع والنضير وقريظة، فلما تجهز المسلمون لم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه، وكان"لأبي"الشحم اليهودي عند الصحابي "عبد الله بن أبي حَدْرد الأسلمي"خمسة دراهم، في شعير أخذه لأهله، فلزمه، فقال: أجّلني، فإني أرجو أن أقدم عليك وأقضيك حقك إن شاء الله، إن الله ع وعد نبيه خيبر أن يغنمه إياها... وكان عبد الله بن أبي حدرد ممن شهد الحديبية، فقال: يا "أبا الشحم": إنا نخرج إلى ريف الحجاز في الطعام والأموال، فقال أبو الشحم - حسدًا وبغيًا -: تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلاقونه من الأعراب؟.. فيها – والتوراة - عشرة آلاف مقاتل.

قال ابن أبي حدرد: أي عدو الله، تخوفنا بعدونا، وأنت في ذمتنا وجوارنا؟.. والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ[1].

ولما استشار عمر بن الخطاب أصحابه في مسير المؤمنين إلى العراق بواقعة "نهاوند"قال له على بن أبي طالب يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده[2].

ولما كتب العالم الأندلسي ابن برجان (رحمه الله) سنة 522هـ يبشر المؤمنين

---

(1) المغازي للواقدي 634/2، 635، وتكملته: فقلت: يا رسول الله: ألا تسمع ما يقول هذا اليهودي؟.. فأخبرته بما قال أبو الشحم، فسكت رسول الله ﷺ ولم يرجع إليه شيئًا، إلا أني رأيت رسول الله. ﷺ حرك شفتيه بشيء لم أسمعه، فقال اليهودي: يا أبا القاسم، هذا قد ظلمني وحبسني بحقي وأخذ طعامي.. قال رسول الله ﷺ: أعطه حقه.. قال عبدالله: فخرجت فبعت أحد ثوبي بثلاثة دراهم وطلبت بقية حقه فقضيته، ولبست ثوبي الآخر، وكان عليّ عمامة فاستدفأت بها، وأعطاني سلمة بن أسلم ثوبًا آخر فخرجت في ثوبين مع المسلمين ونفلني الله خيرًا. أهـ.

(2) المد والجزر في تاريخ الإسلام، 36. عن البداية والنهاية، 107/7.

بزوال الدولة الصليبية من فلسطين عام 583هـ؛ استنباطًا من الآيات الأولى في سورة الروم، فكان نور الدين محمود (رحمه الله) يطمع أن يُحقِّق الله هذه البشارة على يديه، فكان يسارع الخطى، وصنع منبرًا خشبيًا؛ ليضعه في المسجد الأقصى حين يحرره، ولكن شاء الله أن يحقق البشارة لخلفه صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) في معركة (**حطين**) الشهيرة.

رابعًا: ألم يحقق الله وعده؟.

وكيف لا يصدق المؤمنون وعد الله لهم بالنصر على اليهود المعتدين، وتمكينهم من إزالة دولتهم الثانية من فلسطين، وقد حقق الله كثيرًا من وعوده لهم، ورآها المؤمنون رأي العين، وبقيت وعود أخرى يترقبون وقوعها، ويوقنون بتحقيقها؟.

1 ـ ألم يخبر الله تعالى بنصر الروم على الفرس في بضع سنين من نزول سورة الروم كما في قوله سبحانه: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (الروم: 2 -4).. وتحقق هذا الوعد تمامًا كما ذكرت السورة، وأسلم عندئذ ناس كثيرون[1]؟.

2 ـ ألم يخبر رسول الله ﷺ المؤمنين في غزوة الأحزاب بوعد الله لهم بالنصر، وفتح بلاد فارس والروم واليمن، وتحقق ذلك كله بعد وفاته ﷺ، حتى قال سلمان الفارسي: كل هذا قد رأيت؟.

3 ـ ألم يقل رسول الله ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ

(1) صحيح... أخرجه الترمذي عن نيار بن مكرم 2552، الدر المنشور 480/6، وعزاه للبيهقي وغير.

اللَّهِ»[1].. وتحقق ذلك كله؟.

4 ـ ألم يخبر رسول الله ﷺ بوعد الله للمؤمنين بفتح القسطنطينية ورومية، وقال: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً»[2].. وفتحت أولاً كما قال؟.

ووعود أخرى تحققت، وأخرى لم تتحقق، ونحن موقنون بوقوعها، ونترقب وقوعها في عصرنا وبعد عصرنا.

ألا يجعلنا -كل ذلك -نوقن بوقوع وعد الله للمؤمنين بتحرير فلسطين، وزوال دولة اليهود الثانية منها بأيديهم؟.

خامسًا: لكن للوعد ميعاد:

وربما يقول اليهود والمنافقون والذين في قلوبهم مرض: ومتى يأتي هذا الوعد وحال المسلمين وحال اليهود كما نرى؟.

وجوابنا: إننا نحن المؤمنين نؤمن إيمانًا لا تردد فيه بأن وعد الله لنا بزوال دولة اليهود من فلسطين بأيدينا لا بد أن يتحقق في المستقبل كما قلنا، ولكن في موعده المقدّر له في علم الله تعالى، فالله جعل لكل شيء أجلاً مسمى عنده.

قد يطول أجل هذا الوعد وقد يقصر، لكنه آت في موعده المقدّر له، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، والله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف:59).

ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾(الحجر: 4، 5).

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ

---

(1) صحيح.. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن أبي هريرة وغيره، كما في صحيح الجامع 846.

(2) يأتي تخريجه في الفصل الرابع من الكتاب.

لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٩ - ٣٠).. فزوال الدولة اليهودية الثانية من فلسطين بأيدي المؤمنين العاملين آت في موعده المقدر في علم الله تعالى، وذلك حين تقوى صلة المؤمنين بإسلامهم، ويعدوا للجهاد عُدَّته، وللنصر أسبابه وينطلقوا لله مجاهدين.. وقد ندرك هذا في حياتنا، وقد يدركه أبناؤنا وأحفادنا من بعدنا، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾(الزخرف:41، 42).

سادسًا: اليهود ليسوا خيرًا من المشركين الأولين:

على أن اليهود ومن يعاونهم في دولتهم الثانية ليسوا خيرًا من المشركين الأولين، مثل عاد وثمود ومشركي مكة، في كفرهم بالإسلام وعداوتهم للمؤمنين، بل اليهود أشد عداوة للذين آمنوا، ولهذا لعنهم الله؛ لكفرهم به، واعتدائهم على حرماته، وعلى المؤمنين، كما في قوله سبحانه: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة:78).

ويصف الله شدة عداوتهم للمؤمنين بصيغة التجدد والاستمرار إلى يوم القيامة، كما في قوله سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾(المائدة:82).. وقد اكتوينا نحن المؤمنين بعداوتهم الشديدة لنا في مواقف عملية منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، بل هي في يومنا أشد ظهورًا، وأكثر تتابعًا، وأقسى إيلامًا.

ولهذا لا بد أن ينزل الله عليهم شديد عقابه ويزيل دولتهم من فلسطين، إما بأيدي المؤمنين، كما أنزله سبحانه بمشركي العرب، وإما بكارثة من عنده كما أنزلها بعاد وثمود والذين من بعدهم.. والله تعالى يقول: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر: 43 -45).

وجاء الخطاب في الآيات بطريقة الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معنى النفي؛ ليبين للمؤمنين أن اليهود المعتدين ومن على شاكلتهم ليسوا خيرًا عند الله من أعدائهم الكافرين السابقين حتى يستثنيهم من عقابه، أو يختصهم ببراء منه في كتبه السماوية ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ (القمر: 44).

وإذا اغتر هؤلاء اليهود المعتدين بقوتهم وبتضامن الصليبيين الجدد معهم، وظنوا أنهم بذلك منصورون، فلا يجوز للمؤمنين أن يظنوا ذلك، وييأسوا من نصر الله لهم، وإنما يجب عليهم أن يعدوا للجهاد عدته، وللنصر شروطه، وينطلقوا في سبيل الله مجاهدين، ومؤملين في نصر الله لهم، فإنه سبحانه ناصرهم كما نصر المؤمنين المجاهدين من قبلهم، والله تعالى يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: 45).

نعم سيهزمهم المؤمنون شر هزيمة في معركة فاصلة حتى يولوا الأدبار، وتزول دولتهم من فلسطين إلى غير رجعة، ولن تغني عنهم أسلحتهم، ولا فئتهم شيئًا ولو كثرت.. والخطاب هنا للمؤمنين في كل عصورهم إلى يوم القيامة، ولهذا جاء بصيغة التجدد والاستمرار.

وفي مثل هذا يقول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (المرسلات: 16 - 18).. أي في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة.

والجدير بالتسجيل أن هذه الآيات نزلت في مكة، والمؤمنون فيها قلة ضعفاء يصب عليهم الذين كفروا العذاب ألوانًا، فلما سمعها الذين كفروا تلقوها بالاستهزاء والسخرية من المؤمنين، واعتبروها ضربًا من الكذب، أو نوعًا من الهذيان.

أما المؤمنون فقد تلقوها بالتصديق المطلق، واليقين المطلق، واستبشروا بها، وإن لم يعرفوا متى سينهزم أعداؤهم، ولا كيف ينهزمون، حتى كان عمر بن

الخطاب ﷺ يسأل: يا رسول الله، أيّ جمع سينهزم؟

وبعد سنوات حقق الله للمؤمنين العاملين وعده، وانهزم المشركون وولوا الأدبار أمامهم في غزوة بدر، وكان رسول الله ﷺ يدعو الله فيها بقوله: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني»[1]. وعندئذ عرف المؤمنون كيف ينهزم أعداؤهم؟

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر: 45).. جعلت أقول: أي جمع سينهزم؟.. حتى كان يوم بدر، رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)، فعرفت تأويلها يومئذ [2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ كنت لا أدري أي الجمع ينهزم، فلما كان يوم بدر، رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: (اللهم إن قريشًا جاءتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلائها، فأحنهم (أهلكهم) الغداة، ثم قال: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾، فعرفت تأويلها[3].

سابعًا: وعد الله متجدد ومضمون للمؤمنين بشروطه:

على أن وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين متجدد ومضمون لهم في كل عصورهم إلى يوم القيامة بشرط العمل له، والإعداد له.

وقد جرت سنة الله التي لا تتبدل أن كل شيء له سبب، وأنه سبحانه يسوق وعده بالنصر لمن أطاعه وعمل له، كما يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: 7، 8).

---

(1) صحيح... أخرجه مسلم 763.

(2) أخرجه ابن جرير وعبدالرزاق وغيرهما، كما في الدر المنثور، 681/7.

(3) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 6546/9 من رواية سعيد بن جبير عن سعد.

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(الحج:40، 41).

ونصر المؤمنين لله: يعني طاعتهم له في إقامة فرائضه واجتنابهم نواهيه.. ولاسيما في إعداد العُدَّة للجهاد ،واستيفاء شروط النصر.. والله تعالى يقول: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور:55)

قال ابن عباس: هذا الوعد: وعد الله لأمة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل[1].

وقال القرطبي وابن عطية: والصحيح في الآية أنها في استخلاف جمهور الأمة أي جميعها ـ واستخلافهم هو: أن يملكهم البلاد ، ويجعلهم أهلها ، كالذي جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب وغيرها.

قال ابن العربي: وهذا وعد عام في النبوة والخلافة والدعوة وعموم الشريعة..[2]، أي إلى يوم القيامة.

وفي معركة اليرموك سنة 13هـ كتب خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر إلى قادة جيش المؤمنين يقول: اجتمعوا فتكونوا عسكرًا واحدًا ، والقوا زحف المشركين بزحف المؤمنين، فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على عشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين.

وفي تاريخنا الإسلامي مواقف عملية تبين هذا وتؤكده:

---

(1) البحر المحيط 431/6.

(2) الجامع لأحكام القرآن 4836/6.

1 -ففي غزوة أحد انكسر المؤمنون في بدايتها، بسبب معصية واحدة، ارتكبها الرماة الخمسون، بعدما أمرهم رسول الله ﷺ بقوله لأميرهم "عبد الله بن جبير: «انْضَحِ الْخَيْلَ عَنّا بِالنّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَك لا نُؤْتَيَنّ مِنْ قِبَلِكِ».

وبعدما دارت المعركة وظهرت بوادر النصر للمؤمنين ظن هؤلاء الرماة أن المعركة حُسِمت لصالحهم، فتركوا مكانهم ونزلوا يجمعون الغنائم، وعصوا أمْر رسول الله ﷺ ولم يسمعوا لتحذير أميرهم، وعندئذ خلا مكانهم، وانكشف ظهر المؤمنين فأصاب منهم العدو نيلاً، وكان يوم بلاء وتمحيص.

وبعد المعركة تساءل الصحابة عن سبب هذا الانكسار المفاجئ، وعرفوا أن سببه معصية واحدة ارتكبها الرماة، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:152)

ويقول سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:165).

وفي غزوة حنين ارتكب المؤمنون معصية من معاصي القلوب وهي العُجْب بكثرتهم، وقالوا: لن نُغْلب اليوم من قلة.. فشغلهم هذا الإعجاب بكثرتهم عن الجد في أخذ الحذر الذي أمرهم الله به، وعن طلب المدد من الله تعالى فنال العدو منهم نيلاً.. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ

وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: 25).

وفي المقابل نجد المؤمنين ينتصرون بطاعتهم لله تعالى، ولاسيما في إعداد العُدَّة للجهاد، واستيفاء شروط النصر بقدر الاستطاعة.

ففي معركة القادسية سنة (14من الهجرة) استصغر الفرس عدد المؤمنين، واستحقروا ثيابهم وأسلحتهم، وقالوا لهم: لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح؛ فما جاء بكم؟ ارجعوا.

قال المؤمنون: ما نحن براجعين.. فكانوا يضحكون من نبلنا، يقولون: "دوك.. دوك".. أي يشبهونها بالمغازل.

فقال لهم المؤمنون: أما ما ذكرتم من رثاثتنا وقلتنا، فإن أداتنا الطاعة، وقتالنا الصبر[1].

2 -وبعدما انتصر المؤمنون على الفرس، عبروا نهر دجلة؛ لمطاردتهم، سابحين على خيولهم وأفراسهم، كأنهم يسيرون على البر، وكان سعد بن أبي وقاص قائد الجيش يتحدث أثناء العبور إلى سلمان الفارسي ويقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليّه، وليظهرن دينه، وليهزمن عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

وقال له سلمان: إن الإسلام جديد، ذلّلَ لهم والله البحر، كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا[2].

وخرجوا منه أفواجًا لم يغرق منهم أحد، ولم يفقدوا شيئًا كما قال سلمان.

وقال "هرقل" وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم؟ أليسوا بشرًا مثلكم..؟.. قالوا: بلى.. قال: أفأنتم

---

(1) راجع البداية والنهاية 7 / 41، وتاريخ الطبري 3 / 528.

(2) تاريخ الطبري 12/4، المد والجزر في تاريخ الإسلام 37، نقلاً عن البداية والنهاية 65/7.

أكثر أم هم؟... قالوا: نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن.. قال: فما بالكم تنهزمون؟!

فقال شيخ من عظمائهم: **من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم.. ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونرتكب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهى عما يُرضي الله، ونفسد في الأرض.**

فقال "هرقل": **أنت صدقتني**[1].

وسأل هرقل رجلاً من جنوده كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال أخبرك كأنك تنظر إليهم: **هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه... فقال: لئن كنت صدقتني ليملكُن موضع قدمي هاتين.**

ووصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال: **جئتك من عند رجالٍ دقاقٍ، يركبون خيولاً عتاقًا، أمَّا الليل فرهبان، وأمَّا النهار ففرسان يريشون النبل، ويبرونها، ويثقفون القنا (يقوّمونها)، لو حدثت جليسك حديثًا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر.**. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به[2].

ولا يظنن ظان أننا نحن المؤمنين يجوز لنا أن نغفل إعداد العدة للجهاد من سلاح وغيره، فإن إعدادها فريضة يوجبها الإسلام علينا بقدر استطاعتنا، وأول هذه العدة طاعة الله تعالى واجتناب نواهيه، وهو ما نفهمه من عموم القوة في قول الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:60).

وقد رأينا المؤمنين في جهادهم رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار.. يشتغلون بذكر

---

(1) المد والجزر 43 عن البداية والنهاية 15/7.

(2) المد والجزر 43، 44، عن البداية والنهاية، 16/4.

الله وتلاوة القرآن، ويُعدون أسلحتهم ويهيئونها.

3 -على أن البشارة بالنصر والتمكين هي في ذاتها أمر بالجهاد والإعداد له حتى يتحقق النصر والفتح، وهو ما فهمه المؤمنون الأُوَل، حتى إنهم حينما سمعوا رسول الله ﷺ يبشر بفتح القسطنطينية تسابقوا إلى فتحها منذ عصرهم الأول، وساقوا إليها جيوشهم، وحاصروها مرة بعد مرة، وقد مات ودفن بجوارها الصحابي أبو أيوب الأنصاري، إلى أن حقَّق الله فتحها للقائد محمد الفاتح كما سنذكر في حديث فتحها[1].

وهنا تظهر الإجابة على سؤال يطرح نفسه بإلحاح: لماذا لا يتحقق وعد الله للمؤمنين في عصرنا كما تحقق لأسلافهم؟

وجوابنا: لأنهم لم يستوفوا شروطه كما استوفاها أسلافهم، فهم في عصرنا انحرفوا عن طريق الإسلام، واتبعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فتفرقوا بعد وحدتهم، وأهملوا إعداد القوة بعدما كانوا سادة في إعدادها؛ ولهذا ضعفوا بعد قوة، وتسلط عليهم عدوهم، فزادهم ضعفًا على ضعف، وخذلانًا على خذلان.

ويوم أن يعود المؤمنون إلى إسلامهم كما كان أسلافهم، ويستوفوا شروط النصر والتمكين، كما استوفاها أسلافهم، يُحقق الله لهم وعده، ويُمكّنهم في الأرض، كما حققه لأسلافهم، وفي الآيات القرآنية السابقة دليل ذلك.

* * *

(1) إشارة إلى ما رواه بشر الخثعمي أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»، قال: فدعاني مسلمة بن عبدالملك فسألني فحدثته، فغزا القسطنطينية (أخرجه أحمد رقم 18957، والبزار كما في كشف الأستار رقم 1848، وفي إسناده ضعف، وحديث فتح القسطنطينية الآتي في هذا الكتاب يفيده قوة.

الفصل الثاني
حتمية زوال إسرائيل
في
ضوء القرآن الكريم

تمهيد

1 -لا أعجب من إفاضة القرآن الكريم في ذكر قصص بني إسرائيل مُختصرة ومطوّلة، مبينًا أخلاقهم وطبائعهم، حتى قيل: كاد القرآن أن يكون لبني إسرائيل؛ لأن اليهود اعتبروا الإسلام منذ عرفوه عدوهم اللدود، والمؤمنين به أعداءهم الألدّاء الدائمين.

وقد بيَّن الله أن عداءهم للإسلام والمؤمنين دائم لا ينقطع؛ كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(البقرة: 217) وأن صراعهم مع المؤمنين سيشتعل في فلسطين والمسجد الأقصى، وجاء ذلك في خبر ياسر بن أخطب حين سأل أخاه "حُيَي" كبير اليهود عن الموقف النهائي من النبي ﷺ والإسلام: ماذا في نفسك منه؟ قال: **عداوته والله ما بقيت**[1].

وأضحت هذه الكلمة دستور اليهود الدائم في موقفهم من الإسلام في كل عصورهم.

والذي شد انتباهي أن القرآن الذي نزل في مكة أفاض كثيرًا في الحديث عن اليهود، مع أنهم لم يكن لهم في مكة تجمع قط؛ وذلك لينعتهم للمؤمنين على حقيقتهم، ويُعرفهم بتاريخهم وأخلاقهم وفكرهم وسلوكهم؛ حتى إذا لاقوهم في المدينة -وفي أي بلد آخر إلى يوم القيامة -عاملوهم بما يجب أن يعاملوهم به من حرص وحذر.. وفرق كبير بين من يقاتل عدوه وهو يعرف عنه كل شيء، ومن يُقاتل عدوه وهو لا يعرف عنه شيئًا، أو يعرف عنه عكس ما هو عليه[2].

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام، 147/2، رقم 562.. البداية والنهاية 13، دلائل النبوة 335/2.

(2) راجع: كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟، 458، بتصرف.

2 -يهود اليوم هم يهود الأمس.

وما دامت التوراة التي بين أيديهم هي التي تصوغ فكر اليهود وأخلاقهم وسلوكهم، فقد تشابهت قلوبهم في كل أجيالهم وعصورهم، ولن يتغيروا، وسيبقى يهود اليوم هم يهود الأمس، بما فيهم من عنصرية، وعداء للإسلام والمؤمنين.

ولهذا يذكر القرآن عداءهم للمؤمنين بصيغة التجديد والاستمرار في حاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، كما في قوله سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (المائدة:82).

بالإضافة إلى أن القرآن كتاب الأجيال والعصور إلى يوم القيامة، فما يقوله في شأن اليهود باق ومستمر في كل أجيالهم إلى يوم القيامة.

فما نذكره في هذه الصحائف عن اليهود الأقدمين ووعد الله للمؤمنين بالنصر عليهم ينطبق تمام الانطباق على اليهود في عصرنا وما بعد عصرنا إلى يوم القيامة.

3 -وإني لا أعجب أن يذكر القرآن المبشرات بوعد الله للمؤمنين بالنصر، وكلها تتعلق بأمور مستقبلية في عالم الغيب؛ لأن قائلها هو الله العليم الخبير.. الذي تفرّد بعلم الغيب وحده، كما يقول سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(النمل:65).

ولهذا؛ فمبشرات القرآن للمؤمنين العاملين بوعد الله لهم بالنصر حق لا باطل فيه، وصدق لا كذب فيه، كما يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت:41، 42).

4 -وقد ذكرنا في كتابنا هذا من هذه المبشرات ما رأيناه كافيًا لبيان وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين، ويغرس الأمل في نفوسهم.. وقد رتبناها حسب قربها من الموضوع فيما يلي:

البشارة بالوعد الأول
ليسلطن الله المؤمنين على اليهود فيزيلون دولتهم وعلوهم.

وفي سورة الأعراف يذكر الله عددًا من أخبار بني إسرائيل، وكلها تبين اعتيادهم معصية الله تعالي سرًا وجهرًا، وإن لم يكن بطريق مباشر فبطريق الاحتيال، وقد عاقب الله جماعة منهم أصروا إلى معصية الله بطريق الاحتيال فمسخهم قردة خاسئين، كما يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (الأعراف:166).

وبعد هذه العقوبة جعل الله عقابهم إلى يوم القيامة كلما عصوْه أن يُسلّط عليهم من عباده من يُزيل فسادهم ويَسومهم سوء العذاب، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف:167).

هذا مُوجز العقاب الذي توعّد الله به اليهود إلى يوم القيامة كلما عصوه، واشتغلوا بالإفساد في الأرض، وهو ذاته وعد الله للمؤمنين المجاهدين بالنصر عليهم، وتمكينهم من إزالة دولتهم وفسادهم.. وبيان ذلك فيما يلي:

1- أن الله أعلم اليهود بطريق الوحي إلى أنبيائهم مرة بعد مرة أنه سبحانه قضى -ولا راد لقضائه -أنهم كلما بغوا وأفسدوا في الأرض بعث عليهم عبادًا له، أولي بأس شديد يقاتلونهم، ويهزمونهم ويزيلون دولتهم وإفسادهم، وأكد سبحانه وعده هذا بمؤكدين ظاهرين:

الأول: في قوله تعالى: (**وَإِذْ تَأَذَّنَ**) وهو صيغة تفعّل من الإيذان، وهو الإعلام الذي يُبلَّغ بقوة ووضوح، فيدرك بالآذان ويعيه السامع، ومعناه: العهد المكتوب الملزم والواقع حتمًا.

الثاني: القسم الذي دلت عليه اللام والنون المشددة في الفعل (لَيَبْعَثَنَّ).

2- وهنا في قوله سبحانه (**لَيَبْعَثَنَّ**) كما في قوله سبحانه في سورة الإسراء:

(بَعَثْنَا) (الإسراء: 5) يتولى الله بعث جنوده الذين يسلطهم على اليهود المعتدين، ويُهيؤهم لذلك؛ للدلالة على شدة غضبه عليهم، وأنه الذي يتولى عقابهم بأيدي المؤمنين، وقد عدّى الله الفعل (**لَيَبْعَثَنَّ**) بعلى دون اللام للإشارة إلى قوة العقاب الإلهي، وتسلطه عليهم بما يصب عليهم العذاب صبًا، و يزيل دولتهم وإفسادهم[1].

3- وهذا العقاب يتجدد عليهم في كل عصورهم إلى يوم القيامة، كلما علوا وبغوا، كما تفيده صيغة التجدد والاستمرار في الفعل (**لَيَبْعَثَنَّ**).. وكما يبينه ختام الآية صراحة: في قوله: (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**).

قال ابن القيم مفسرًا: أي حكمنا عليهم حكمًا مستمرًا في الذراري والأعقاب على مرّ السنين والأحقاب إلى يوم القيامة[2].

وذكر أحد الباحثين: أن الله تعالى بهذا الوعد الإلهي النافذ، والقضاء الدائم يسلط على اليهود من عباده من يهزمهم ويزيل ملكهم وكيانهم، ويشردهم في الأرض.

ويظل هذا القضاء الإلهي مستمرًا على اليهود إلى يوم القيامة، كلما قام لهم كيان مصبوغ بالكفر والبغي، ولا يرفعه سبحانه عنهم إلا فترات من الزمن، وإلى حين يستردون قوتهم، ويقيمون علوهم ودولتهم، وينشرون فسادهم وبغيهم، حينئذ يعيد الله عليهم وعيده النافذ، وقضاءه الدائم... وهكذا يستمر الوعيد الإلهي عليهم إلى يوم القيامة.

وهذا يعني أن اليهود لا ينقطعون عن فسادهم وبغيهم.. وأنهم كلما علا فسادهم، وازداد بغيهم على الناس استحقوا أن يكرر الله عليهم هذا العقاب الإلهي إلى يوم القيامة.

قال سيد قطب: فهو إذن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على

---

(1) راجع: تفسير المنار، 321/9.

(2) راجع: أحكام أهل الذمة، 486/1.

اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب، والذي سيظل نافذًا في عمومه، فيبعث الله عليهم بين وقت وآخر من يسومهم سوء العذاب.

وكلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا جاءتهم الضربة ممن يسلطهم الله من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية، ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف.

ولقد يبدو أحيانًا أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزت واستطالت، وإن هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ ولا يدري إلا الله من الذي سيُسَلط عليهم في الجولة التالية وما بعدها إلى يوم القيامة؟.

لقد تأذن الله بهذا الوعيد الدائم إلى يوم القيامة -كما أخبر الله نبيه في قرآنه -معقّبًا على هذا الأمر بتقرير صفة الله سبحانه في العذاب والرحمة.

فالله سبحانه سريع في عقابهم كلما عصوه، وأفسدوا في أرضه، وبغوا على عباده، ورحيم بمن تاب إليه منهم، ورجع إلى صراط الله المستقيم، وكفّ عن الإفساد في الأرض.. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقد صدق الله وعده: حيث بعث عليهم في كل مراحل حياتهم من أزال علوهم، وشردهم في الأرض كلما عصوه، وأفسدوا في أرضه، والتاريخ -وهو شاهد صدق -يحكي من هذا قصصًا كثيرة، نذكر منها هنا ما يكفي للبيان:

بعد موت سليمان عليه السلام انقسمت الدولة اليهودية إلى دولتين متقاتلتين، إحداهما في الشمال واسمها "**إسرائيل**" والثانية في الجنوب واسمها "**يهوذا**".. وقد سلط الله على الأولى ملك "آشور" فأزالها وقتل وأسر كثيرًا من أهلها.. وسلط على الثانية ملك بابل "بختنصر" فأزالها وقتل وأسر كثيرًا من أهلها أيضًا.

---

(1) راجع: في ظلال القرآن 1386/3، في تفسير الآية الكريمة.

وبهذا العقاب الإلهي تفرَّق اليهود في كل أقطار الأرض أممًا وجماعات، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف:168).. وإلى هنا ينتهي تاريخ دولة بني إسرائيل الأولى.

ثم احتل الرومان فلسطين، وساموا من بقي فيها من اليهود سوء العذاب، وزادوهم تشريدًا على تشريد، مثل الملك الروماني "هدريانوس" الذي هدم القدس، ومحا معالمها، وبنى على أنقاضها مدينة جديدة سمّاها "إيلياء"[1].

1- ومع أن اليهود تفرَّقوا في الأرض أُممًا، ولم يعد لهم دولة، إلا أنهم ظلوا باقين على فسقهم وفسادهم، فسلط الله عليهم أهل تلك البلاد التي لجؤوا إليها.

ففي القرن الخامس الميلادي مثلاً: أمر الإمبراطور الروماني بإخراج اليهود من مدينة الإسكندرية، وهدم كنائسهم ثم نهب جميع أموالهم، وقتل الآلاف منهم بوحشية أرعبتهم في جميع الأقاليم[2].

وفي الجزيرة العربية، استقرت جماعات منهم في يثرب (المدينة)، وعندما هاجر رسول الله ﷺ إليها عاهدهم على التعايش السلمي والتعاون فيما بينهم،كما في معاهدة المدينة للوحدة الوطنية، ولكن اليهود بفسادهم خانوا العهد، وتآمروا على المؤمنين، وغدروا بهم؛ فسلط الله المؤمنين عليهم، فأزالوا وجودهم من الجزيرة العربية كلها.

ومع هذا، أوصى الإسلام بمن بقي منهم وفيًا للعهد، أن تُحترم حياته، ولا تُنْتَقَص حقوقه، يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن

(1) راجع: كتابنا "القدس والوعد المفترى".
(2) راجع: فلسطين في الميزان، 200، عادل الهاشمي.

دِيَرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:8).

والنبي ﷺ يقول: "أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

ولهذا لما فتح المؤمنون البلاد، واتسعت الدولة الإسلامية بقي اليهود فيها آمنين يتمتعون برعايتها، وقد أعطتهم ذمة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين، ومن ثم لم يجدوا صدرًا حنونا يركنون إليه، ولا كهفًا آمنًا يحتمون به سواها. في الوقت الذي كانت الدولة الصليبية كلها تتسابق إلى اضطهادهم وإنزال العذاب بهم، حتى قال أحد الكاتبين: إن كل الأمم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود، وإنزال مختلف العقوبات بهم، وكانت القسوة مع اليهود تُعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضًا عليها[2].

وقال أحد المفكرين: لولا الإسلام لفنيت اليهودية[3].

لكن اليهود بعد ذلك استطاعوا بدهائهم وفسادهم التأثير الفكري والأخلاقي على المسيحيين في أوروبا وأمريكا وغيرها حتى تغيرت أفكارهم ومواقفهم وفقًا للمصالح اليهودية، ومن ثم استخدموهم أدوات ضد الدولة الإسلامية التي آوتهم ورعتهم وأعطتهم ذمة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين؛ فخانوها بمعاونة الصليبيين الجُدُد، واغتصبوا أرضها في فلسطين، واشتغلوا بقتل

---

(1) صحيح... أخرجه أبو داود 3052، عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم، وصححه الألباني في صحيح سننه.

(2) راجع: اليهودية، د. أحمد شلبي، 73، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة لطنطاوي؛ 624.

(3) فمثلاً: عام 1298م، أمر الملك "إدوارد الأول" بطرد اليهود من إنجلترا في غضون ثلاثة أشهر، لكن الشعب الإنجليزي لم يصبر هذه المدة، واشتغل بقتلهم... وفي قلعة "يورك" أحرق الإنجليز خمس مئة يهودي، كانوا قد احتموا بها، مما اضطر الملك إلى طردهم قبل انقضاء هذه المدة، وظلوا بعيدين عن إنجلترا قريبًا من ثلاثة قرون، حتى أعادهم إليها "كرومبل" الذي اغتصب الملك من "شارل الأول" بمعاونتهم.

المؤمنين وتشريدهم فيها، وأقاموا على أنقاضهم دولتهم الثانية "إسرائيل".

وهذا بغي وفساد كبير يبشِّر بقرب وعد الله للمؤمنين الذي بشرت به هذه الآية الكريمة، وهو أن يبعث على هؤلاء اليهود عباده المؤمنين، فيهزمونهم شر هزيمة، ويزيلون دولتهم الثانية من فلسطين، يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف:167).

هذا العقاب الإلهي سيكون بأيدي المؤمنين، وستزول بأيديهم الدولة اليهودية الثانية - إن شاء الله تعالى (تحقيقً لا تعليقًا) - وآية ذلك قول الله تعالى في الآية الكريمة: **(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** فاليهود اليوم لا يُعادون إلا المسلمين، ولا يحتلون إلا أرضهم ولا يُدنسون إلا مقدساتهم في فلسطين، والمؤمنون وحدهم هم المطالبون بحكم إسلامهم أن يردوا هذا الاعتداء، ويحرروا أرضهم ومقدساتهم من هذا الدنس اليهودي الباغي، كما يقول الله تعالى لهم: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة: 191) ويقول سبحانه: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 194).. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء:75).

ولهذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ: والذي يسومهم سوء العذاب محمد ﷺ وأمته إلى يوم القيامة[1].

وقال سعيد بن جبير والسدي وقتادة وغيرهم: فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب (المسلمون) فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة [2].

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 497/3، ط دار الشعب.

(2) راجع: جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري 531/10، تحقيق: عبد الله التركي.

البشارة بالوعد الثاني
ليُمكننّ الله للمؤمنين ويرزقهم النصر والعلو

كثيرًا ما يظن الطغاة كلما علوا في طغيانهم، ولم يجدوا من يردعهم أن دولتهم إلى بقاء، وأن قوتهم لا تقوى على ردها قوة، لكن الله العزيز الحكيم، أودع في المؤمنين قوة تستعصي على الفناء، وصَوْلة تزول بها قوة الطغاة وعلوهم، ووعدهم النصر على الطغاة والظالمين.. وفي أول سورة القصص يُبيّن الله تعالى للمؤمنين هذا، فيقول:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص :2 - 6).

1 -هذه الآيات وإن كانت تقص خبرًا من أخبار بني إسرائيل الأولين، فإنها كباقي قصص القرآن سيقت للمؤمنين وحدهم؛ لتُبين لهم سُنَّة من سنن الله التي لا تتبدل، ولتلهمهم العبرة، وترشدهم إلى العمل والجهاد، والصبر والثبات، وتبشرهم بوعد الله لهم بالنصر والتمكين في الأرض؛ كما نصر المؤمنين من قبلهم؛ ولهذا جاء الخطاب لهم، في قوله سبحانه: (**نَتْلُو عَلَيْكَ**) وفي ختام الآية: (**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**).

فاللام في قوله: (**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) للتعليل.. وخص الله تعالى المؤمنين بالذكر للدلالة على أنهم وحدهم المقصودون بهذا النداء، وهم الذين يتلونه، وينتفعون بأخباره ودروسه[1].

(1) راجع: البحر المحيط، 99/7، بتصرف.

2 -والواضح من الآيات أن فرعون استبد بالأمر، وتجبّر في الأرض، وتجاوز حدوده في الظلم والطغيان، وقال لأهل مصر: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر:29).

وجعلهم طوائف وشيعًا متفرقة، كيلا يتفقون على أمر يُخالف أمره، ولا يلتقون إلا على طاعته والتبعية له، واستخدمهم في العدوان على طائفة المؤمنين الذين استضعفهم، وخصهم بالعذاب والأذى.. يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(القصص:4).

وإنما خص فرعون طائفة المؤمنين بالاستضعاف والعذاب، لأن لهم عقيدة غير عقيدته، ووجهة غير وجهته، فهم يدينون بالإسلام، وهو دين لا يقبل الشرك في العقيدة، ولا البدعة في العبادة، ولا الانحراف في الأخلاق؛ فأيقن أنهم خطر على عرشه، فشرع يصب العذاب عليهم لإبادتهم، فسخَّرهم في الأعمال الشاقة والخطرة على حياتهم، ووضعهم في السجون، وشرع -في خطة منظمة -يذبح ذكورهم من الأطفال ويستبقي نساءهم ؛ حتى يقل عدد رجالهم، وتضعف قوتهم، ويذوب نساؤهم في المجتمع، ويزول وجودهم من البلد إلى الأبد.

ويظهر من قوله سبحانه: (**يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ**) أن هذا العذاب الذي صبّه فرعون على بني إسرائيل لم يكن سببه فسادهم وبغيهم، كما لم يكن سببه انحطاط أخلاقهم وأعمالهم؛ فقد كانوا في ذلك الوقت مؤمني أهل زمانهم، وكانت القوة بيد فرعون وملئه؛ إنما كان السبب الحقيقي: العنصرية أو القبلية أو القومية التي استولت على فرعون وقومه، وخوفه على ملكه وملك أسرته الحاكمة منهم ومن يولد منهم[1].

والعجيب أن اليهود بعد ما اغتصبوا فلسطين في عصرنا شرعوا يفعلون بالمؤمنين فيها أكثر مما فعله فرعون بهم، فهم يحاصرونهم حصارًا شديدًا،

---

(1) راجع: التحرير والتنوير 69/20 بتصرف يسير.

ويخربون مزارعهم، ويهدمون مساكنهم، ويقتلونهم صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا، بذات الدافع الفرعوْني، الذي آذى به فرعون أجدادهم.. ومن يقرأ الأخبار يجدهم يكثرون من قتل الأطفال – ذكورًا وإناثا – عمدًا لا خطأً، في خطة منظمة، وقد اعترفوا بهذا بعدما نبّهت عليه بعض المنظمات الأمريكية المعنية بحقوق الأطفال، وقالوا: **إن الطفل الفلسطيني مشروع إرهابي كبير**[1].

3 -ولا يملك القادة المجاهدون إلا أن يحثُّوا المؤمنين على الاستعانة بالله وحده، وبالصبر والاحتمال، ويبشرونهم بوعد الله لهم بالنصر، ووراثة الأرض، كما يقول سبحانه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(الأعراف: 128).

إنه ليس للمؤمنين المجاهدين إلا رب العالمين، فهو الحصن الأمين، والملاذ المكين، والولي القوي المتين، وعليهم أن يعملوا ويصبروا حتى يأذن الله لهم بالنصر والتمكين، في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه، وعليهم ألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير متى يكون؟.

وعليهم أن يوقنوا أن اليهود مهما علا فسادهم، واشتد طغيانهم فمصير

---

(1) نقلت مجلة الأزهر في جمادى الأولى 1427هـ/يونيو 2006م أن منظمة حقوقية أمريكية معنية بحقوق الأطفال اتهمت الجيش الإسرائيلي بقتل أطفال فلسطين وفق خطة رسمية منظمة غايتها قتلهم والتخلص منهم قبل نموهم، وقبل أن يكونوا عناصر المقاومة الإسلامية في فلسطين، ووقتها ستقوم إسرائيل بقتلهم عن طريق الاغتيال، وفي الحالتين سيقوم اليهود بقتلهم، فالأفضل قتلهم في طفولتهم.
وقد اعترف الكيان الصهيوني بهذه الخطة الفرعونية، ولم ينكرها، وصرح رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أن القيادة العسكرية حصلت على فتوى دينية يهودية رسمية من كبير حاخامات إسرائيل، مفادها: أن قيام الجيش الإسرائيلي بقصف البيوت والمدارس الفلسطينية التي يوجد بها الأطفال الفلسطينيون أمر حلال، ولا يحتوي أي شبهة إثم، طالما أن ذلك في صالح الشعب اليهودي، وكيان دولة إسرائيل.
المثير للدهشة أن الحاخام اليهودي الأكبر في إسرائيل (إسرائيل مستجيري) أكد في فتواه التي منح بها صك الغفران لقتلة الأطفال: أن الفلسطيني يجب أن يموت في كافة الأحوال طالما أن كل فلسطيني يؤمن ولا يريد أن يتنازل عن إيمانه هذا بأن القدس حق فلسطيني أصيل. أهـ .
أليس هذا أسوأ مما فعله فرعون مع المؤمنين المستضعفين؟ ومع هذا أغرق الله فرعون وجنوده في البحر، ونجا المؤمنون المستضعفون.. وكان الخبر عبرة للناس من بعدهم .

علوهم إلى سقوط، وعاقبة دولتهم إلى زوال.. وأن الله تعالي قد قضى أن يكون ذلك بأيدي المؤمنين، فسينصرهم عليهم، ويورثهم الأرض من بعدهم، كما يقول سبحانه: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ وكما يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء: 105، 106).

وفي مثل هذا يقول سبحانه في ذات السورة في وضوح لا لبس فيه:

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: 5، 6).

ومع هذا فالمُشَاهد في وقائع التاريخ الثابتة أن الظالمين في الأرض كثيرًا ما تخدعهم قوتهم، ويغريهم سلطانهم، فينسون إرادة الله وقوته، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يشتهون، ويختارون لأعدائهم ما يكرهون، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون.

ولكن لله تعالى إرادة غير إرادتهم، وتقديرًا غير تقديرهم، كما يقول سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ (الطارق: 15 -17). فيأخذ سبحانه بأيدي المؤمنين وينصرهم عليهم، ويورثهم الأرض من بعدهم، ويمكن لهم فيها، ويجعل لهم الإمامة والقيادة فيها، كما يقول سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص:5، 6). والتمكين لهم في الأرض بعد الإمامة يعني أن الدولة والسلطة تكون لهم.

وقد قضى الله تعالى أن الشر حين يزداد ويطغى يحمل في ذاته أسباب هلاكه، والبغي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر، وإنما تتدخل يد الله تعالى وتأخذ بيد المستضعفين المُعتدى عليهم فتنقذهم، وتُنقذ عناصر الخير فيهم، وتربيهم وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين.. ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾.

وقد ذكر الله هذا الوعد بصيغة التجدد والاستمرار في قوله: (**وَنُرِيدُ.. نَمُنَّ 00 وَنَجْعَلَهُمُ 00 وَنُمَكِّنَ 00 وَنُرِيَ**) ليُبيِّن أنه متجدد للمؤمنين في حاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة.

وفي هذا بشارة للمؤمنين المجاهدين بوعد الله لهم بالنصر على اليهود المعتدين؛ حتى يرى اليهود على أيديهم ما كانوا يخافونه ويحذرونه.

* * *

البشارة بالوعد الثالث
المؤمنون هم الذين يزيلون الإفساد اليهودي الثاني
من فلسطين

وقبل أن يُهاجر النبي ﷺ إلى المدينة بعام تقريبًا أسرى الله تعالى به إلى القدس.. وصلى ﷺ في بيت المقدس بالأنبياء إمامًا، فكان هذا إيذانًا باستلامه ﷺ القدس من أكرم صفوة عرفتها الأرض، لتكون إسلامية مقدسة، تحت رعاية الأمة الإسلامية.

وفي أول سورة الإسراء يذكر الله تعالى هذا الحدث التاريخي، ويربط بين أول مسجد مُقدَّس في الإسلام، وهو المسجد الحرام في مكة المكرمة وبين المسجد الأقصى في القدس التي بارك الله فيها.. يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الاسراء:1).

وهذا الربط بين المسجدين مقْصود من الله تعالى؛ ليُبين للمؤمنين أن المسجد الأقصى مُقدَّس في الإسلام كالمسجد الحرام في مكة.. وأنه لا يجوز للمسلمين أن يُفرطوا فيه ولا في القدس، كما لا يجوز لهم أن يُفرطوا في المسجد الحرام ولا في مكة.

وفي ذات السياق من السورة يُبين الله تعالى للمؤمنين أنهم بعدما فتحوا القدس وفلسطين أصبحوا وحدهم المعنيين بحمايتها وتحريرها، وإزالة الإفساد الأجنبي منها كلما دنسها ؛ لتعود إسلامية كما كانت.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإسراء: 4 -10).

هذه الآيات – كما ذكرنا -نزلت في مكة بعد الحديث عن الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى بالقدس وفلسطين[1]، وقبل أن يعرف المسلمون الصدام المسلح مع اليهود، وفيها يخبر الله تعالى المؤمنين بأمرين:

1- أنه سبحانه أخبر اليهود بطريق الوحي على لسان أنبيائهم أنهم سيكون لهم في فلسطين علو وإفساد مرتين.
2- وأنه سبحانه سيبعث عليهم عبادًا له أولي بطش شديد فيزيلون دولتهم وإفسادهم في كل مرة، وكلما عادوا إلى الإفساد عاد عليهم بالعقاب، وهكذا إلى يوم القيامة.

أولاً: إفسادهم:

وفي إفسادهم يقول الله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: 4).

هذا إخبار من الله بما سيكون من اليهود في المستقبل في أرض فلسطين إلى يوم القيامة، وإخبار الله صدق لا كذب فيه، ولابد من وقوعه في موعده المقدر في علمه سبحانه، ولهذا ذكره سبحانه بلفظ القضاء، تأكيدًا لوقوعه في موعده المُقدَّر له.

قال الزمخشري: (وَقَضَيْنَا) أي أوْحَيْنا وحيًا مقضيًا مبتوتًا لا رجعة فيه.

أ -وقد أكد سبحانه وقوع علوهم وإفسادهم في فلسطين بالقسم الذي دلت عليه اللام، وبالنون المشددة في قوله: **(لَتُفْسِدُنَّ)**.. **(وَلَتَعْلُنَّ)**.. وبالتالي لابد

(1) وكان ذلك قبل الهجرة بعام تقريبًا.

أن يقع لهم هذا العلو، ولابد أن يكون منهم هذا الإفساد مرتين كما أعلمهم الله تعالى.

وقرن سبحانه علوهم بفسادهم؛ لما استولى على نفوسهم من المرض، وعلى قلوبهم من القسوة، وبالتالي فإن علوهم يعقبه إفساد، وكلما علوا وتمكنوا اشتغلوا بالإفساد في الأرض.

ب ـ والواقع أن إفسادهم في الأرض كثير ومشهود؛ فمرض نفوسهم وقسوة قلوبهم، وعنصريتهم تلازمهم ولا تفارقهم؛ وبالتالي لابد أن يتكرر إفسادهم بتعدد وجودهم، ولهذا ذكره الله بصيغة التجدد والاستمرار في قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (المائدة: 64).

وإنما ذكر الله إفسادهم هنا مرتين؛ لأنهما سيقعان منهم في فلسطين، فهي المقصودة بالأرض هنا؛ ولأن كلاً من الإفسادين كبير، يتجاوز فيه اليهود كل إفساد فعلوه من قبل؛ فإنه إفساد دولة.

ج -وقضى الله تعالى -ولا راد لقضائه -أنهم كلما أحدثوا فسادًا وإفسادًا أحدث لهم عقوبة تكون بمقدار إزالة إفسادهم.. وتاريخهم في فلسطين، وفي كل أرض لجؤوا إليها شاهد صدق لما نقول، كما ذكرنا في الوعد السابق.

ثانيًا: عقوبة إفسادهم الأول:

وفي عقوبة إفسادهم الأول يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾(الإسراء: ٥).

فحينما أفسد اليهود في فلسطين إفسادهم الأول، وحان موعد عقابهم سلط الله عليهم عبادًا له، أصحاب قوة كبيرة، وبطش شديد، فهزموهم شر هزيمة، وترددوا خلال ديارهم يقتلون محاربيهم، ويسبون نساءهم وذراريهم.

(أ) وذكر سبحانه عباده الذين سلطهم عليهم بلفظ: (عِبَادًا لَّنَآ) ليفيد الاختصاص، أي أنه سبحانه جعلهم له خاصة؛ ليكونوا آلة عقاب، يسلطهم على اليهود (أو على الظالمين عامة) كلما أفسدوا في الأرض، كما يقول سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام:129).

ولهذا؛ فهؤلاء العباد قد يكونون من المؤمنين، وقد يكونون من الكافرين، ولا غرو في ذلك فإن الله تعالى يذكر الكافرين بلفظ العبودية له، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾(الفرقان:17).

وأسند سبحانه بعث هؤلاء العباد إلى ذاته المقدسة في قوله سبحانه: (بَعَثْنَا) للدلالة على شدة غضبه على هؤلاء اليهود المفسدين، وأنه سبحانه هو الذي يتولى عقابهم، وإزالة علوهم وإفسادهم عن أرضه المقدسة؛ جريًا على سنته المعهودة في عقاب الظالمين المفسدين.. وسيكون ذلك بأيدي المؤمنين -إن شاء الله تعالى - كما يقول سبحانه: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة:14، 15).. ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح: 22، 23).

(ب) ووصف الله هؤلاء العباد بأنهم (أُوْلِي بَأْسٍ) للدلالة على شدة بطشهم باليهود، بما يناسب إزالة دولتهم وإفسادهم، كما يقول سبحانه: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾.. أي هزموهم هزيمة شديدة حتى لم يعد لهم قوة تدفع عنهم.. حيث أن الجوس هنا معناه: السير والتردد بين

ديارهم، يطلبون المقاتلين الهاربين لقتلهم وأسْرهم، والنساء والذرية لسبْيهم، فضلاً عن أخذهم الأموال والممتلكات، فلا يمنعهم مانع، ولا يردهم راد.

(ج) وذكر الله وعده بصيغة المصدر في قوله: (وَعْدُ) تأكيدًا لوقوعه، ثم زاده تأكيدًا بالعبارة الصريحة في ختام الآية: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

وقد صدق الله وعده، فعندما أفسد اليهود في فلسطين إفسادهم الأول سلط عليهم ملك "آشور" وملك "بابل" فأزالا دولتهم، ثم احتل الرومان فلسطين فساموهم سوء العذاب؛ حتى شردوهم في الأرض وتقطعوا فيها أممًا.. وبهذا يكون إفسادهم الأول قد زال تماما.

واستقرت جماعات منهم في الجزيرة العربية – أظنها أكبر تجمعاتهم في أرض الشتات يومئذ – وأصبح لهم فيها قوة؛ وبالتالي أظهروا فيها الفساد، فغدروا بالمؤمنين، وآذوهم أشد الإيذاء، وظاهروا المشركين عليهم؛ لقتالهم واستئصال الدولة الإسلامية من المدينة فسلط الله عليهم رسوله ﷺ والمؤمنين فأزالوا وجودهم من الجزيرة العربية كلها.

ثالثًا: إفسادهم الثاني في فلسطين:

أما علوهم وإفسادهم الثاني في فلسطين فقد أخبرنا الله به في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء: 6).

وأرى أنه هو الذي نعاصره ونشاهده، ونكتوي بناره، ونئن من آلامه في فلسطين وما حولها في عصرنا.. ويبين هذا عدة أمور:

1 -قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ أداة عطف تفيد التراخي، والبعد الزمني بين الإفسادين.. و**"الرد"** كما قال الراغب: هو إعادة

الشيء بذاته أو بحالة من حالاته[1].

"والكرّة" يعبر بها عن الدولة والسلطة والغلبة[2]. وهي مأخوذة من الكر، وهو العود والعطف على الشيء بالذات أو بالفعل.

والمعنى: أن الله رد لليهود علوهم ودولتهم في فلسطين مرة ثانية.

ولم يشهد التاريخ أن عاد لليهود علوهم ودولتهم وإفسادهم في فلسطين مرة ثانية إلا في عصرنا هذا.

2 -وقوله سبحانه: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ والإمداد لا يكون إلا من طرف آخر، أي يسّر الله لهم من يمدهم بالأموال والجنود اللازمة لبناء علوهم ودولتهم الثانية، كما يسر لهم حشد اللقطاء والذين ليس لهم نسب بالشراء حينًا أو بالخطف حينًا آخر، وتربيتهم في مزارع خاصة، يسمونها الكيبوتس، حيث إنهم لا يستطيعون بناءها بقوتهم الذاتية.

وهذا ما سجله التاريخ ورأيناه ولا زلنا نراه، فإنهم ما اغتصبوا فلسطين ولا أقاموا عليها دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني إلا بإمدادات الدول الصليبية مثل إنجلترا وأمريكا، وغيرهما، ولولاهم ما استطاعوا اغتصاب شبر من فلسطين.

ولم يسجل التاريخ إمدادات الدول الصليبية لليهود بالأموال والبنين، وخاصة لإقامة دولتهم في فلسطين إلا في عصرنا هذا[3].

3 -وبهذه الإمدادات الصليبية استطاع اليهود أن يُقيموا لهم دولة وعلوًا في أرض الإسلام في فلسطين.. واستطاعوا بهذه الإمدادات أيضًا أن يكونوا أكثر اعتداءً على أهل الإسلام أكثر من أي وقت مضى، كما يقول

---

(1) راجع: مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني 280.

(2) راجع: صفوة التفاسير، 151/2.. زوال إسرائيل حتمية قرآنية، 19.

(3) ظلت العلاقة بين المسيحيين واليهود مقطوعة ومضطربة حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وفيه ظهر تقاربهم وإمدادات المسيحيين لهم، كما يقول سبحانه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة: 51).

الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

قال الزجاج: النفير جمع نفر، وهم المجتمعون للمسير إلى الأعداء.. وقيل النفير: مصدر.. أي أكثر خروجا إلى الغزو والحرب[1].

وكلٌ منهما نراه ونشاهده بأم أعيننا، ونكتوي بناره، ونئن من آلامه، مثل:

حروب 1948م، 1956م، 1967م، والاعتداء على لبنان عدة مرات، وعلى أهل فلسطين في الجنوب اللبناني، وفي غزة 2008م وغيرها، وهو إلى اليوم متكرر لم ينقطع، وكل هذا نشاهده، ونحترق بأخباره.

ولم يشهد التاريخ كثرة اعتداء اليهود على المؤمنين واحتلال أرضهم في فلسطين وما حولها مثلما يشهده في عصرنا.

4 -وفي نهاية السورة يتمم الله سبحانه هذه البشارة فيقول: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء:104).

أجل، جاءت هذه الآية في آخر سورة الإسراء تتميما لآيات البشارة في أولها، وفيها يبين الله للمؤمنين: أنه كتب على اليهود زوال دولتهم الأولى من فلسطين وتفرقهم في أقطار الأرض، وهو معني قوله سبحانه: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أي تفرقوا في كل أقطار الأرض وأسكنوها أُمماً وجماعات كما يقول سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف:168)، حتى إذا حانت عودة دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني في فلسطين يسر لهم مجيئهم إليها فرادى وجماعات من مناطق إقامتهم في أقطار الأرض على اختلاف أشكالهم، وأقاموا عليها دولتهم الثانية، كما يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي جماعات جماعات.. وفي هذه الكرة يحدثون إفسادهم الثاني.

ولم **يحدث لليهود عودة جماعية من أرض الشتات إلى فلسطين مرة ثانية،**

---

(1) راجع: البحر المحيط 9/8، روح المعاني 18/15.

واجتماعهم فيها، وإقامة دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني فيها بهذا الذي نراه إلا في عصرنا هذا.

وهذا كله يبين أن دولة اليهود الثانية وإفسادهم الثاني في فلسطين هو الذي نعاصره ونعاينه ونحترق بناره في عصرنا هذا.

رابعًا: على من عادت كرة اليهود؟

لكن على من عادت كرة اليهود في فلسطين التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟.

الواقع أن كرة اليهود في عصرنا ما عادت إلا على المسلمين وحدهم، ودون غيرهم؛ للأسباب الآتية:

1 -أن المسلمين في العراق وبلاد الشام هم أحفاد الآشوريين والبابليين والرومانيين الذين أزالوا دولة اليهود الأولى وإفسادهم الأول، كما أن المسلمين في الجزيرة العربية أحفاد الصحابة الذين أزالوا وجودهم وإفسادهم من الجزيرة العربية، كما أن المسلمين في مصر أحفاد الفراعنة المصريين الذين أخرجوهم من مصر.

2 -وحينما فتح المسلمون فلسطين (15هـ/ 636م) وطردوا الرومان منها أضحت إسلامية خالصة إلى يوم الناس هذا، ثم اغتصبها اليهود من المؤمنين في عصرنا، وأقاموا عليها دولتهم الثانية، وقتلوا وشردوا المؤمنين منها، بأيدي الصليبيين.

بخلاف المسيحيين، فلم يسجل التاريخ أن اليهود انتصروا عليهم في معركة، أو اغتصبوا لهم أرضًا، وأقاموا عليها دولة لهم، وبالتالي فإن عودة الكرة لليهود في عصرنا ليست عليهم، بل إن المسيحيين المعاصرين في أوروبا أعانوهم على اغتصاب فلسطين من المسلمين وإقامة دولتهم اليهودية الثانية عليها[1].

---

(1) حتى قال رئيس الوزراء البريطاني "تشرشل": لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم

ولهذا؛ فإن كرّة اليهود في عصرنا عادت على المسلمين وحدهم ودون غيرهم، لأنهم أحفاد العباد الذين سلطهم الله على فساد آبائهم اليهود من قبل.

3 -واليهود أنفسهم يدركون هذا، ويعملون له، ويعالنون به.. حتى قال الزعيم اليهودي الإنجليزي "ألفريد موند": أهداف الصهيونية هي إبادة العرب جميعًا[1].

وفي عام 1967م احتل اليهود القدس وتجمهروا أمام حائط البراق، وأخذوا يهتفون مع وزيرهم الإرهابي "موشي ديان": **هذا يوم بيوم خيبر... يا لثارات خيبر وتابعوا هتافهم: حُطوا المشمس على التفاح، دين "محمد" ولّى وراح.**

وهتفوا: محمد مات... مات وخلف بنات[2].

ويومئذ قال الإرهابي المذكور: لقد استولينا على القدس، ونحن في طريقنا إلى يثرب[3].

وكشفت مصادر يهودية عن تدريب الجنود اليهود على طواقم تحمل صورة أشخاص يرتدون الكوفية العربية ويقولون: على "محمد" أطلقوا النار[4].

شعارات، لكنها معبّرة عن إدراك اليهود أن عودة دولتهم الثانية في فلسطين إنما هو على المسلمين وحدهم ودون غيرهم.

المسيحيين واليهود على السواء. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود.. إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أي مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود (قادة الغرب يقولون... 35، 36 عن مذكرات تشرشل، 129.

(1) راجع: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاتة، 814/8، تحت الآية الكريمة.

(2) راجع: قادة الغرب يقولون... سبق.

(3) راجع: المسجد الأقصى ومعركة المصير 97.. القدس والوعد المفترى، محمد السيد الشناوي، 32.

(4) راجع: مجلة "الإصلاح" الكويتية ربيع الآخر 1407هـ، ص26.

خامساً: البشارة بزوال دولتهم الثانية:

وفي دولة (إسرائيل) الثانية يقوم اليهود بإفسادهم الثاني في فلسطين، وهو إفساد كبير يقوم بقوة الدولة.. وقد امتلأ بقتل الأبرياء والضعفاء، وتخريب المزارع، وهدم المساكن والمساجد، واغتصاب الأرض، وإفساد الأخلاق.. ونحو ذلك.

ولهذا؛ لابد أن ينزل الله عليهم عقابه الأليم الذي توعدهم به في قوله سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء:7).

ولم يذكر الله في هذه الآية ما يقع من اليهود في إفسادهم الثاني في فلسطين؛ اكتفاءً بذكره من قبل في قوله سبحانه: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾00كما لم يذكر سبحانه قوة عباده الذين يبعثهم لإزالة إفسادهم الثاني، اكتفاء بذكرها في قوله: ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وزاد سبحانه في وصف قوتهم فقال: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.. وضمير الجماعة في الثانية يعود في وصف بأس الجنود في التحرير الثاني على وصف بأس العباد المذكورين في التحرير الأول.

فإذا حان موعد عقابهم على إفسادهم الثاني الذي نعاصره سلط الله عليهم عباده المؤمنين المجاهدين وهم أصحاب قوة وفدائية عالية، وبطش شديد، فيهزمونهم هزيمة شديدة، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي يدمرون علوهم تدميرًا شديدًا، ويزيلون دولتهم الثانية، وإفسادهم الثاني، ويترددون خلال ديارهم يطلبونهم، فريقاً يقتلون، ويأسرون فريقاً، بما يملأ نفوسهم رعبًا وحزنًا يفيض على وجوههم صفرة وحيرة، ومساءة ومذلة[1]، ويدخلون المسجد الأقصى منتصرين، كما دخلوه أول مرة.

---

(1) قال العلماء: إن خلجات النفوس وما يملؤها من حزن ورعب يظهر على صفحات الوجوه وفلتات الألسن.. (التفسير الوسيط، 724/5).

وهذا الوعد الإلهي واقع عليهم حتمًا في دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني بأيدي المؤمنين في موعده المقدر في علم الله تعالى، ولا يتخلف عنه، ولهذا ذكره الله بصيغة المصدر في قوله: ﴿وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾.

ويبقى هذا الوعد ملازمًا لهم في كل عصورهم إلى يوم القيامة كلما علوا وأحدثوا في الأرض فسادًا، كما يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

وإذا أسلموا مع المؤمنين أو كفوا عن الإفساد في الأرض وإيذاء المؤمنين نجوا من العقاب برحمة الله، أما إذا عادوا إلى الإفساد في الأرض وإيذاء المؤمنين عاد الله عليهم بالعقاب في الدنيا بأيدي المؤمنين، وفي الآخرة جهنم وبئس القرار، يفترشون جمرها، ويلتحفون بلهَبها، كما يقول سبحانه في ختام الآية: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء:8).

سادسًا: العباد المبعوثون لإزالة إفسادهم الثاني:

لكن من هم العباد الذين يبعثهم الله على اليهود لإزالة دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني؟.

(أ) وجوابنا أن القرآن والسنة لم ينصا نصًا صريحًا على أعيان هؤلاء العباد؛ لأن النص عليهم -كما قال العلماء -لا يزيد في العبرة شيئًا، ولا يتعلق به فائدة، لأن العبرة المقصود بيانها هي: أن الله قضى قضاء لا يرد، ووعد وعدًا لا يخلف أنهم في دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني يسلط عليهم عبادًا له أشداء يهزمونهم، ويزيلون دولتهم وإفسادهم.

قال الإمام الرازي: وأعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم بل المقصود هو أنهم (أي اليهود) لمَّا يُكثروا من المعاصي يسلط الله عليهم أقوامًا آخرين يقتلونهم ويفتنونهم[1].

(1) راجع: التفسير الكبير، 156/20.

ولهذا قال المحققون من العلماء: إن تعيين مرات إفسادهم وتعيين العباد الذين يسلطهم الله عليهم اجتهادي وليس قطعيًا[1].

(ب) لكن المفهوم من الآيات أن المسلمين المجاهدين هم وحدهم العباد الذين يبعثهم الله عليهم هذه المرة، ويُمكِّنهم من هزيمتهم، وإزالة دولتهم الثانية، وإفسادهم الثاني من فلسطين، ويحررونها من دنسهم.. **ويبين هذا قرينتان:**

الأولى: أن اليهود في دولتهم الثانية وإفسادهم الثاني الذي نعاصره لم يغتصبوا إلا أرض الإسلام، ولم يقيموا دولتهم هذه إلا عليها، ولم يعتدوا -قتلا وتشريدًا -إلا على المؤمنين؛ ولهذا فالمؤمنون وحدهم هم المكلفون شرعًا، والمعنيّون قانونًا بمحاربتهم، ورد عدوانهم، وتحرير أرض الإسلام من وجودهم، وإفسادهم كما بيناه.

الثانية: في قول الله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: 7).

فالآشوريون والبابليون والفرس والرومانيون لم يعودوا إلى فلسطين مرة أخرى بعد خروجهم منها إلى اليوم؛ حيث لم يعد لهم وجود.. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: فإنهم حينما احتلوا القدس لم يكونوا من أهل الإيمان بالله تعالى، ولهذا لم يدخلوا المسجد الأقصى عابدين، ولم يوقروه حق توقيره، إنما خرَّبوا القدس، وهدموا معابدها.

أما المؤمنون، فهم وحدهم الذين وقَّروا القدس حين فتحوا فلسطين وأمّنوا أهلها، ودخلوا المسجد الأقصى عابدين، وجدّدوا بناءه، وأعادوه مسجدًا لله كما كان.. وكانت فلسطين يومئذ تحت الاحتلال الروماني، ولم يكن لليهود فيها دولة ولا سلطان.

---

(1) راجع: التفسير الوسيط، 721/5.

وذِكْر المسجد الأقصى في أول السورة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1) يُبين أنه هو المسجد المراد في الآية السابعة من ذات السورة في قول الله تعالى: (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وهو الذي دخله المؤمنون الأولون عام 15هـ/ الموافق 638م، وسيدخله أحفادهم المؤمنون مرة أخرى -إن شاء الله- كما دخلوه أول مرة.

ولهذا؛ فالمؤمنون المجاهدون هم وحدهم الذين سيبعثهم الله على اليهود المعتدين؛ ليهزموهم ويزيلوا دولتهم وإفسادهم الثاني من فلسطين، ويدخلوا المسجد الأقصى عابدين مرة ثانية، كما دخلوه أول مرة.

ولأجل هذا ختم الله تعالى آيات البشارة بآية فيها تنبيه وإشارة وبشارة واضحة للمؤمنين وحدهم، في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء: 9، 10).

والتنبيه للمؤمنين أن القرآن الذي بين أيديهم يحمل أقوم الطرق وأهدى السبل للجهاد والتحرير، فواجب عليهم اتباعه، وإنهم إذا اتبعوه اهتدوا إلى أقوم السبل للجهاد والنصر والتمكين، كما يقول سبحانه: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9).

أجل، سيكون المجاهدون الذين يتبعون القرآن على مستوى المعركة التحريرية، في قوة إيمانهم بالله تعالى وعبوديتهم له سبحانه، وفي إعدادهم الأسلحة ذات البأس الشديد وسينصرهم الله على اليهود المعتدين، وينهضون بتدمير علوهم وإفسادهم، ويجوسون خلال ديارهم بحثًا عن الهاربين منهم،

كما يقول الله تعالى في وصفهم ووصف بأسهم: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ﴾.. ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: 7) ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾(الإسراء: 5).

ومن هذا العرض يتبين لنا: أن الله تعالى وعَدَ المؤمنين المجاهدين وعدًا لا يُخلفه: أن يمكنهم من الجهاد وإزالة الدولة اليهودية الثانية وتحرير فلسطين من الدنس اليهودي.

❖❖❖

البشارة بالوعد الرابع
سيزول الحشر اليهودي الثاني بأيدي المؤمنين

1 -تمهيد:

سورة الحشر سماها ابن عباس 5 سورة "بني النضير"؛ لأنها نزلت في شأنهم، وعنيت بالحديث عنهم، وعن نهايتهم.

ويهود بني النضير، كباقي يهود الجزيرة العربية، ليس لهم فيها عرق قديم ولا نسب ممتد، إنما كانوا لاجئين إليها؛ فرارًا من بطش الرومان بهم في فلسطين[1].

2- وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة عقد مع اليهود وغيرهم من طوائف المدينة معاهدة حسن جوار وتعايش سلمي، أو قل: معاهدة وحدة وطنية، وكان من موادها:

النصر للمظلوم (أيًّا كان دينه).. ويتعاون الجميع في دية قتل الخطأ... وأن بينهم النصرة على من دهم يثرب (المدينة)... وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها[2].

3 -لكن شخصية اليهود تأبى الاستقامة والوفاء.. ولا تتسع إلا للغدر والخيانة، فما وجدوا فرصة لخيانة المؤمنين إلا خانوهم وغدروا بهم.

ففي غزوة بدر خانوا المؤمنين؛ حيث كانوا عونًا للمشركين ضدهم، وتألموا لهزيمة المشركين، ورثوا قتلاهم.

وكان من أفحش خيانتهم حينما ذهب إليهم رسول الله ﷺ آمنًا في ديار بني النضير، يطلب عونهم في دية قتيلين قتلهما مسلم خطأ[3]، وكان عونهم واجبًا

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 6726/10، ط دار الغد.

(2) راجع: اليهود في القرآن 13.

(3) هو عمرو بن أميّة الضّمري، وقد قتل رجلين من بني عامر، ظنًا منه أنهما من الأعداء الذين قتلوا السبعين من علماء الصحابة في بئر معونة؛ فكان قتلاً خطأ وجبت فيه الدية.

حسب المعاهدة المذكورة، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هنا حتى نقضي لك حاجتك.

فجلس رسول الله ﷺ إلى جنب جدار، ومعه أصحابه الذين معه، لكن سجية اليهود في الخيانة والغدر غلبت عليهم، وتآمروا لقتله ﷺ وقالوا: أيّكم يأخذ هذه الرحى ويصعد فيلقيها على رأسه ويشدخه بها؟.

وصعد أشقاهم (عمرو بن جحاش) ليلقي الصخرة على رسول الله ﷺ؛ فأوحى الله إلى رسوله ﷺ خبرهم، وكشف له كيدهم، فقام ﷺ مسرعًا إلى المدينة، وأرسل إليهم صاحبه **"محمد بن مسلمة"** يقول لهم: **أن اخرجوا من المدينة، ولا تساكنوني بها، وقد أجّلتكم عشرًا، فمن وجدته بعد ذلك بها ضربت عنقه.**

ولم يجد اليهود مناصًا من النزول على حكم رسول الله ﷺ وشرعوا يتجهزون للرحيل، لولا أن أرسل إليهم رأس المنافقين، عبد الله بن أبي بن سلول يقول: "بأن اثبتوا، ولا تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين، يدخلون معكم في حصنكم، فيموتون دونكم".

وبذلك استقوى اليهود، واستقر رأيهم على البقاء والقتال، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدالك.

وحينئذ سار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم حصارًا شديدًا خمسة عشر يومًا لم يجدوا فيها وفاءً من إخوانهم المنافقين، **فاستولى عليهم الرعب** واستسلموا للمؤمنين، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: نحن نخرج عن المدينة... ووافقهم رسول الله ﷺ على أن يخرجوا بأنفسهم وذراريهم، ولهم ما حملت الإبل إلا السلاح [1].

ورحلوا عن المدينة إلى غير رجعة؛ فإنهم ما أحسنوا الجوار، ولا احترموا الذمّة، ولا وفّوا بالعهد، فلا حق لهم في البقاء، وليرحلوا إلى حيث شاءوا بعيدًا عن المدينة.

---

(1) راجع: الرحيق المختوم، 269: 270، وكُتب السيرة.

4 -وأنزل الله فيهم سورة الحشر، تحمل للمؤمنين العاملين البشائر بوعد الله بالنصر والتمكين في ثلاثة مواضع، منها:

البشارة الأولى: في قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (الحشر:2).

يظهر من الآية الكريمة أن حصون بني النضير كانت قوية ومنيعة، بل كانت من أمنع حصون اليهود في المدينة، وكان لليهود فيها قوة كبيرة وجمع كثير، حتى سماه الله تعالى "حشرًا أولاً".

وبلغ من عظم قوتهم ومناعة حصونهم أن المؤمنين لم يكونوا يظنون يوما أنهم سيُخرجونهم منها؛ مهزومين إلى غير رجعة.

لكن اليهود لم يشكروا لله نعمة، بل غرَّتهم قوتهم ومناعة حصونهم، وظنوها تمنعهم من بطش الله إذا جاءهم.

لكن الله تعالى خيّب ظنهم وأضل سعيهم، وأنزل عليهم عقابه من حيث لم يحتسبوا، ومن جهة لم تكن تخطر ببالهم، وبطريقة لم يكونوا يتوقعونها، حيث قذف في قلوبهم الرعب، وهزمهم من داخل أنفسهم لا من داخل حصونهم، فلم تغن عنهم قوتهم، ولم تنفعهم حصونهم، وأصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

وفي هذا الخبر عبر ودروس، يوجب الله على المؤمنين أصحاب العقول المبصرة أن يستلهموها، وينتفعوا بها، اليهود في ضوئها، كما يقول سبحانه: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾.

الدرس الأول: أن الخيانة والغدر والإفساد أخلاق أساسية ومستقرة في شخصية اليهود، فهي تلازمهم ولا تفارقهم في كل عصورهم وأينما كانوا، وتغلب عليهم كلما سنحت لهم الفرصة.

الدرس الثاني: أن عداء اليهود للإسلام والمسلمين قائم منذ بداية الإسلام، ولا ينقطع إلى يوم القيامة، مهما وادّهم المسلمون، وأحسنوا إليهم.

الدرس الثالث: وأن وصف القرآن جمع اليهود في بني النضير في المدينة بالحشر الأول يقتضي أن يكون لهم حشر ثان في أرض الإسلام أيضًا، وهو الذي نراه في فلسطين المسلمة، ويسمونه "إسرائيل".

الدرس الرابع: وكما كان لليهود في حشرهم الأول قوة وحصون، وظن اليهود أنفسهم والمؤمنون أنها تمنعهم من الهزيمة، كذلك يكون لهم في حشرهم الثاني في فلسطين قوة وحصون منيعة؛ حتى يظن المؤمنون في عصرنا أنهم في قوة تمنعهم من الهزيمة والرحيل عن فلسطين.

الدرس الخامس: وكما أزال الله الحشر اليهودي الأول بأيدي المؤمنين من جهة لم يكونوا يتوقعونها، فكذلك يزيل الله حشرهم الثاني ودولتهم الثانية من فلسطين بأيدي المؤمنين أو بأمر من عنده، وبطريقة لم يكونوا يحسبون لها حسابًا، كما يقول ربي جل في علاه: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (التوبة:52).

وروى الطبري وابن كثير عن الحسن -في مرسلاته- قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، قال: امضوا فهذا أول الحشر وأنا على الأثر [1].

ومعناه: أن لكم أيها اليهود حشرًا ثانيًا في فلسطين، وسنكون نحن المسلمين لكم بالمرصاد،وسنتعقب احتلالكم وحشركم هذا حتى نُزيله إن شاء الله (تحقيقًا لا تعليقًا)، كما أزلنا حشركم الأول.

قال شيخنا محمد الغزالي -: والسورة تفيد أن هذا أول الحشر، كأن هناك حشرًا آخر ينتظر القوم في الغد القريب أو البعيد، ونحن ننتظره معهم، فإن اليهود في غفلة من المسلمين أقاموا لأنفسهم دولة، فماذا صنعوا بدولتهم؟.. هل ذكروا الله

---

(1) راجع: جامع البيان، للطبري 22 / 499 .. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 84/8 .

بخير؟.. هل جعلوا الحضارة الحديثة تؤمن بالله واليوم الآخر؟.

إنهم انتهزوا عجز المسلمين وتفريطهم فزادوا الطين بلة، واتفقوا مع أوروبا وأمريكا على دحر تراث السماء، وعبادة العجل الذهبي، وعندما يثوب المسلمون إلى رشدهم، ويصطلحون مع ربهم فسيرثون الأرض والدولة، ويرجع بنو إسرائيل إلى الأرض التي جاؤوا منها[1].

البشارة الثانية: في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ (الحشر:3).

وهذه بشارة صريحة للمؤمنين تبين أن الله تعالى قضى على اليهود قضاءً غير مردود عنهم إلى يوم القيامة: أنهم كلما علوا وأفسدوا في الأرض سلط عليهم المؤمنين فأزالوا علوهم وإفسادهم بأحد أمرين:

1 -إما بإجلائهم عن الأرض وتطهيرها من دنسهم، كما حدث لهم في بني النضير وغيرها.

2 -وإما بقتل محاربيهم، وسبي نسائهم وذراريهم، كما حدث لهم في بني قريظة.

البشارة الثالثة: وفيها تذكر السورة ثلاث صفات أساسية ومستقرة في شخصية اليهود، وكل واحدة منها تسوقهم إلى الهزيمة وزوال دولتهم بأيدي المؤمنين، فكيف وقد اجتمعت فيهم كلها؟.

الصفة الأولى: أنهم شاقوا الله ورسوله:

كما يقول سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:4).

ومعناه: أن سبب هزيمة اليهود، وزوال حشرهم الأول بأيدي المؤمنين أنهم جمعوا مع الكفر بالإسلام: محاربتهم له، والاعتداء على المؤمنين بألسنتهم وأيديهم.

---

(1) راجع: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالي، ص 449.

ولا يزال اليهود في حشرهم الثاني في عصرنا قائمين على هذه الصفة ولم يفارقوها، بل ازدادوا في بغيهم واعتدائهم على الإسلام والمسلمين أكثر من أيّ وقت مضى؛ فلابد أن ينزل الله عليهم عقابه بأيدي المؤمنين المجاهدين، فيزيلوا حشرهم الثاني وإفسادهم الثاني من فلسطين بأحد الأمرين السابقين كما أزالوا حشرهم الأول من المدينة.

وهذه سنة الله تعالى التي لا تتغير ولا تتخلّف عنهم وعن أمثالهم من الكافرين إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه في ختام الآية: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

الصفة الثانية: أنهم جبناء[1]

وخاصة أمام المؤمنين المجاهدين؛ فالمؤمنون المجاهدون يرجون وعد الله في إحدى الحسنيين: إما النصر والسيادة، وإما الموت والشهادة، بخلاف اليهود فقد أُشربوا في قلوبهم حب الحياة الدنيا، فهم يرجونها على أية حال كانت، عزيزة أو ذليلة، كما يقول سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة:96).

ولهذا يقذف الله في قلوبهم الرعب من المؤمنين المجاهدين، فيخافونهم ويجتنبون مواجهتهم في حرب مكشوفة.. رجال إلى رجال، وسلاح إلى سلاح (طائرة إلى طائرة، ودبابة إلى دبابة... الخ).. إنما يحتمون دائمًا بقرىً محصَّنة أو بجدر يتحصنون بها، ويقاتلون من خلفها، كما يقول سبحانه: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر:14).

وهذا عرفناه وخبرناه[1].

---

(1) الجبن: وهو تهيب الأقدام على ما لا ينبغي التهيب منه (المعجم الوجيز، ج ب ن).

(1) القرى المحصنة قد تكون حقيقية... قال سيد قطب - ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في= =معركة 1948م في الأرض المقدسة بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولّوا الأدبار كالجرذان، حتى لكأن الآية نزلت فيهم ابتداء، وسبحان العليم الخبير (في ظلال القرآن 3529/6).

وقد تكون القرى المحصنة هي القوى الكبرى التي يحتمون بنفوذها، ويستمدون منها أسباب القوة وأسباب الحياة كأمريكا وغيرها.

أما الجدر فهي جمع جدار، وقد رأيناها أيضًا في عصرنا، مثل جدار "بارليف" على ضفاف قناة السويس -مصر - والجدار الإسمنتي العازل في فلسطين، الذي يسمونه الجدار الواقي.

وهذا وذاك لم يحققا لليهود حماية ولا أمنًا، فلا القرى المحصنة تحميهم من بطش الله إذا جاءهم بأيدي المؤمنين، ولا الجدار العازل في فلسطين وفر لهم الأمن من ضربات المجاهدين، ورغم هذا وذاك لا زال بطش الله يأتيهم بأيدي المؤمنين المجاهدين.

وأما جدار بارليف فقد اخترقه وأزاله المجاهدون المصريون، وتجاوزوه في لحظات في معركة 1393هـ/ 1973م.

قال أحد الباحثين العسكريين: ولقد أتى خط باريف ليعكس الفكر اليهودي الراسخ في عقولهم منذ ما قبل الإسلام، وليعيد إلى الأذهان حصون خيبر التي وصفها القرآن الكريم (في سورة الحشر) والحقيقة أن خط بارليف الذي عصفت به القوات المصرية في أكتوبر 1973م لم يكن الجهد الأول "لبارليف" بل كان المحاولة الثانية له. فقد سبق أن أطاحت المدفعية المصرية خلال حرب الاستنزاف بخطه الأول، الذي لم يكن أكثر من حصون متناثرة على هيئة دشم محصنة يبرز أكثرها فوق سطح الأرض، فدكتها المدفعية المصرية دكًا، وانتهت حرب الاستنزاف التي أدَّت فيها مدفعية الميدان المصرية دورًا تاريخيًا خلال عامي 1968، 1969م، وانتهى معها خط بارليف الأول، وعلى ضوء الدرس الذي تلقاه بارليف عن خطه الأول، وضع تصميم خطه الثاني، وبكل المقاييس العسكرية، وبكل موازين الهندسة العسكرية، وبكل معايير التسليح، حتى يمكن القول: إن خط بارليف الثاني كان أكثر خطوط الدفاع الثابتة مناعة في التاريخ، وكان أكثرها تحصينًا وأحسنها تجهيزًا، ومن ثم أغدق في الإنفاق عليه، إذ بلغت جملة تكاليفه ما يقرب من 238 مليون دولار، وتطل الاستراتيجية الإسرائيلية من خلف القناة في تحصين هذا الخط خلال تصريحات العسكريين الإسرائيليين، الذين اطمأنوا إلى استحالة عبوره أو اجتياز نقطه الحصينة.. ففي أكثر من مناسبة، صرح "ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي "وبارليف" رئيس الأركان وصاحب فكرة الخط قال: إن هذا الخط سيكون الصخرة التي يتحطم عليها عظام المصريين، وسيكون مقبرة الجيش المصري.. وشط خيال الإسرائيليين، في تصور مدى مناعة الخط، بالإضافة إلى عائق السد الترابي، وتجهيزات اتصال مياه قناة السويس، فصرح قادتهم "بأن

وإذا قاتلهم المؤمنون في معركة مكشوفة خافوهم وولوهم الأدبار، ولا ذوا منهم بالفرار مهزومين مدحورين، كما يقول سبحانه في أول السورة: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر: 2) وكما يقول سبحانه في شأنهم في سورة الأحزاب: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: 26).

وأعرب اليهود أنفسهم عن خوفهم من المؤمنين المجاهدين في تصريحات ندّت عنهم مثل قول وزير إرهابهم "موشى ديان" أثناء حرب 1948م: إننا لا قِبَل لنا بمواجهة المجاهدين المتطوعين؛ لأنهم يريدون أن يموتوا[1].

المصريين لا يعرفون أي جحيم سوف ينصبّ عليهم عندما يضعون أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة، وأن الخط غير قابل للتدمير حتى بالقنبلة الذرية.=

=وفي غرور قالت "مائير" يومها: إن تصور عبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية يعتبر إهانة للذكاء".أ هـ. (مصر بعد العبور، ص113 لعلي محبوب وزميليه). . لكن المجاهدين المصريين اقتحموه، وأبطلوا خطره، ولم يعد لنقطه الحصينة معنى أمامهم.

وفي سفر "حزقيال" (13 – 8: 16) من التوراة التي بأيدي اليهود نص يبين أن الجدران التي يتحصن بها اليهود لن تنفعهم من بطش الله إذا جاءهم بأيدي المؤمنين.

ونسوقه هنا للاستئناس به، وليس للاستشهاد، فإني لا أرى التوراة مصدرًا علميًا ولا أطمئن للاحتجاج بها، ولهذا لم أستشهد بها في الكتاب كله، وهاكم النص:

(يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ وتكونُ يَدِي عَلَى الأنبياء الذين يَرَوْنَ الباطلَ والذين يَعْرِفونَ بالكذب. في مَجْلِسِ شَعْبِي لا يَكونون، وفي كِتَاب بَيْت إسرائيلَ لا يُكْتَبُون وإلى أرض إسرائيل لا يَدْخُلونَ فَتَعْلَمون أَنَّى أنا السيد الرب؛ من أجل أنهم أَضَلُّوا شَعْبِي قائلين سلامٌ وليس سلامٌ، وواحدٌ مِنهُمْ يَبْنِي حائطا، وهَاهُمْ يُمَلِّطُونَه بالطُّفال، فَقُلْ لِلَّذِينَ يُمَلِّطُونَهُ بالطُّفَال أَنَّهُ يَسْقُطُ، . يكونُ مَطَرٌ جارفٌ، وأَنْتُنَّ يا حِجَارَةَ البَرَدِ تَسْقُطْنَ، وريحٌ عاصفةٌ تُشَقِّقُهُ، وهو ذا إذا سَقَط الحائط، أفلا يُقال لكم: أين الطينُ الذي طيَّنْتُم به؟. لِذالكَ هكذا قال السيد الرب. إنِّي أُشَقِّقُهُ بريحٍ عاصفَةٍ في غَضَبِي، ويكونُ مَطَرٌ جَارِفٌ في سُخْطِي، وحِجَارَةُ بَرَدٍ في غَيْظِي؛ لإفْنَائِهِ. فأهْدِمُ الحائطَ الذي مَلَّطْتُمُوهُ بالطُّفَال، وبالأرض، ويَنْكَشِفُ أَسَاسُهُ فَيَسْقُطُ، وتَفْنَوْنَ أنتم في وَسَطِهِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أنا الرب، فأُتِمُّ غَضبي عَلَي الحَائِط وعلى الذينَ مَلَّطُوهُ بالطُّفَالِ وأقولُ: لكم ليسِ الحائطُ بمَوْجُودٍ ولا الذين مَلَّطُوهُ أَيْ أنبياءُ إسرائيلَ الذين يَتَنَبَّأُونَ لأُورُشَلَيمَ ويَرَوْنَ لها رُؤَي سَلامٍ، ولا سَلاَمَ يقولُ السيد الرب).

(1) راجع: جريدة آفاق عربية المصرية، عدد 553، في 1423/2/5هـ -الموافق 2002/4/18م،

وحينما أسر الضابط المصري "معروف الحضري"[1] في معركة 1948م قال له ضابط يهودي: نحن لا نخاف إلا من هؤلاء الإخوان المتطوعين.

قال له معروف: ولماذا لا تهاجمونهم، وعددهم قليل، وسلاحهم ضئيل؟ قال: إن هؤلاء يريدون أن يموتوا، والذي يريد أن يموت يفعل الأعاجيب، ونحن نريد أن نعيش، نحن جئنا لاحتلال هذه الأرض لنقيم دولة، ونعيش فيها، لا لندفن فيها، ولذلك فنحن نتجنّبهم.

ومن قصص المؤمنين في هذه المعركة (1948م) أن العالم الأزهري "محمد فرغلي" - خرج على رأس ثمانية من المجاهدين وراء خطوط اليهود وسلكوا إلى مستعمرة يهودية قرب الفجر، وصعد الشيخ أعلى مكان فيها، وأذن لصلاة الفجر، وظن اليهود في المستعمرة أن المجاهدين قد داهموهم بليل، فولوا الأدبار، وفي مقدمتهم حراس المستعمرة، وفي الصباح سلم المجاهدون المستعمرة إلى الجيش المصري دون استخدام سلاح أو إراقة دماء[2].

وقد اعترف بهذا خبراؤهم العسكريون، مثل الخبير اليهودي (فان كرفيلد)، وقد سئل: ماذا سيحدث للجيش إذا دُعي لمقاتلة جيش نظامي كسوريا ولبنان؟

على رواية أحد مجاهدي معركة 1948م أبو الفتوح عفيفي إبراهيم شوشة.

(1) معروف الحضري: أحد الضباط الأحرار لحركة 23 يوليو 1952م المصرية وأحد رجال الرعيل الأول للحركة الإسلامية المعاصرة (الإخوان المسلمون)، راجع التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا 42، 43.. الإخوان المسلمون في القناة وفلسطين: 75.

وهذا من ثمار إخلاص المؤمنين لله تعالى في جهادهم له؛ والله تعالى يقول: (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ) (الأنفال:12) .. والنبي ﷺ يقول: نصرت بالرعب مسيرة شهر، يقذفه -الله - في قلوب أعدائي" (أخرجه البخاري 335، ومسلم 1163، عن جابر، والترمذي 1553 وغير، عن جابر، واللفظ له)، وهذا للنبي ﷺ ولمن تبعه من المؤمنين.. المجاهدين.. وتحديد المسافة بشهر للتمثيل لا للحصر؛ كما جاء في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ يقول: نصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر. (فتح الباري 521/1).

(2) راجع: مجلة الدعوة المصرية، عدد 3، في رمضان 1396هـ.

قال: تقديري أنه سيهرب، فإذا ما انفجرت حرب مثل حرب 1973م فإن غالبية الجيش – وليس كله – ستضع رجليها على ظهرها وتولي هاربة[1].

الصفة الثالثة: تعاديهم وتفرقهم.

في قول الله تعالى: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر:14).

إذْ أن عداوة اليهود فيما بينهم شديدة، وتفرقهم فيما بينهم لا تقارب فيه، فهم متفرقون وإن حسبهم الناس متحدين، وهم متباغضون وإن ظهروا للناس متحابين، وهم متعادون وإن ظنهم الناس متآلفين.

وهذا ليس عارضًا عليهم في جيل من أجيالهم، بل أصيل وثابت فيهم منذ نشأتهم، وملازم لهم في كل أجيالهم وعصورهم إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(المائدة:64).

العداوة: شحناء ظاهرة... والبغضاء: مرض داخل النفس غير ظاهر فهى شحناء باطنة.. وكثيرًا ما يؤدي كل منهما إلى تفرقهم وتقاتلهم.

وقد حكى القرآن افتراقهم منذ نشأتهم إلى اثني عشر سبطًا، وكل سبط بمثابة أمة مستقلة، كما يقول سبحانه: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف: 160).

والأسباط: تعني القبائل، وهم ذرية أبناء يعقوب عليه السلام الإثنا عشر، 00 والسبط: ذرية كل واحد منهم 00 قال الزمخشري: كل أمة منهم تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف[2].

وقد بلغ من شدة تفرقهم وتعاديهم أن موسى عليه السلام حينما طلب لهم السقيا، فجّر الله لهم اثنتي عشرة عينًا، وجعل لكل سبط منهم عينًا يشرب منها، ولا

---

(1) راجع: الانتفاضة والتتار الجديد ص 35 د سفر الحوالي ملحق مجلة التبيان .

(2) راجع: البحر المحيط 405/4.

تشاركه فيها الأسباط الأخرى، كما يقول الله تعالي: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾(الأعراف: 160).

وإذا كان هذا من قبيل التنظيم حتى لا يختلفوا ولا يتشاحنوا، فإنه دال على تفرقهم وعدم تآلفهم فيما بينهم، وعلى تعاديهم وتقاتلهم لأي شيء ولو على شربة ماء، ودال أيضًا على أن هذا أصيل فيهم منذ نشأتهم فلا يتغير في كل مراحل حياتهم، وأماكن وجودهم.

ذكر الأستاذ زكي شنودة أمثلة من أسفار اليهود لتفرقهم وتعاديهم الذي لازمهم في مراحل حياتهم، ثم قال: وقد استمر اليهود في شقاقهم ومؤامراتهم إلى آخر تاريخهم، حتى إنهم حين عزم الرومان على القضاء عليهم، وحاصروا "أورشليم" بقيادة "تيطس" سنة (70م) كانوا منقسمين داخل "أورشليم" إلى حزبين: حزب يتزعمه رجل يسمى "شمعون" ومعه خمسة عشر ألف مقاتل، وكان يحتل جزءًا من المدينة، وحزب آخر يتزعمه رجل يسمى "يوحنا" ومعه تسعة آلاف مقاتل، وكان يحتل جزءًا آخر من المدينة.

وقال المؤرخ اليهودي "يوسيفوس": إن أهالي أورشليم نالهم من الصراع بين هذين الحزبين أكثر مما نالهم من الرومان[1].

وفي دولتهم الثانية التي نعاصرها في فلسطين مظاهر ثابتة لهذا التفرق والتعادي: ففيها اليهود الغربيون -البيض أو"الأشكيناز" -واليهود الشرقيون وخاصة السود "السفارديم وكل منهما له مكانه في المجتمع اليهودي. أما اليهود السود فمكانهم أدنى بطبيعة الحال[2].

وفيها اليهود ذوو الأصول اليهودية الخالصة، واليهودى ذوو الأصول اليهودية

---

(1) راجع: المجتمع اليهودي 392 لزكي شنودة، وهو مسيحي عارف بطبائع اليهود.

(2) لدرجة أنه عند التبرع بالدم تنتقى زجاجات دم اليهود الأحباش السود فترَق، ويرمى الدم حتى لا يستعمل، وعندما اكتشفت هذه الفضيحة أحدثت مرارة كبيرة لدى الأحباش (القدس قضية كل مسلم: 140).

غير الخالصة، واليهود من أصول غير يهودية مطلقًا، ولكل منهم ميزات ومعاملات لا ينالها الآخرون.

إن هذا التفرق أدى إلى طرد أحد الحاخامات من المعبد، حيث أثبت بعض الأحزاب أنه ليس يهوديًا بدرجة كافية... وأدى إلى طرد سيدة يهودية من مجلس بلدية الناصرة؛ لأنهم أثبتوا أنها يهودية إلا قليلاً[1].

وهناك قصة مشهورة جدًا عن أحد الجنود اليهود، الذين حاربوا في معركة عام 1973م.. وهذا الجندي انفجر فيه أحد الألغام، ففقد ساقيه، فأرسل خطابًا إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية "جولدامائير" يقول لها: يا أرجل رجل في وزارة من النساء، قولي لي: كيف إنني إسرائيلي 100٪ ومكسح 100٪ ثم إنني يهودي 50٪؟.

ولم يتلق ردًا منها، وسبب ذلك: أن والده يهودي وأمه مسيحية.

وقصة جندي يهودي أمريكي عمل في سلاح المدرعات الإسرائيلي، ولكن لم تعترف الدولة بأنه يهودي (خالص)؛ لأن أمه مسيحية، فكتب إلى رئيسة الوزراء "جولدامائير" يقول لها: إما أن أكون يهوديًا أو أكون عربيًا، فإذا كنت يهوديًا فلماذا لا تكتبون ذلك بخط واضح في بطاقتي، وقد عملت في الجيش "الإسرائيلي" عشر سنوات، وإما أن أكون عربيًا، فلا يصح أن أكون جنديًا في الجيش الإسرائيلي... ولم يتلق ردًا[2].

وصدق ربنا سبحانه إذ يقول في شأنهم: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة:64).

---

(1) راجع: وجع في قلوب إسرائيل، 38، أنيس منصور.

(2) نفسه، 137.

الائتلاف بينهم ظاهري:

قال سيد قطب (-): والمظاهر قد تخدع فترى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم، وترى عصبيتهم بعضهم لبعض، كما ترى تجمع المنافقين أحيانًا في معسكر واحد. ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم، إنما هو مظهر خارجي خادع، وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع، فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور، وينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء وتصادم الاتجاهات. وما صدق المؤمنون مرة، وتجمعت قلوبهم على الله حقًا إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال، وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب الشتيتة المتفرقة![1][2].

وحاصل ما تبينه الآيات للمؤمنين:

أن الشخصية اليهودية تحمل في ذاتها عوامل هزيمتها، وبالتالي تحمل عوامل زوال الدولة اليهودية الثانية.

وفي ذلك بشارة بوعد الله للمؤمنين المجاهدين بزوال دولة "إسرائيل" بأيديهم، وتحرير فلسطين؛ لتعود إلى الإسلام كما كانت.. وذلك إذا انتبه المسلمون من غفلتهم وعادوا إلى إسلامهم كما كانوا.

---

(1) راجع: في ظلال القرآن 3529/6.

(2) قد يقال: إن الأمة الإسلامية في عصرنا مفترقة... ونقول: إنه ليس أصيلاً فيها ولا ملازمًا لها، إنما هو ناتج عن أمرائها الذين لعبت بهم الأهواء... سيزول – إن شاء الله – وتتحد الأمة على قلب رجل واحد كما كانت، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

البشارة بالوعد الخامس
اليهود يُغلبون بأيدي المؤمنين المجاهدين

وفي سورة آل عمران يتكرر الوعد الإلهي للمؤمنين المجاهدين بالنصر والتمكين مرتين:

الوعد الأول: في قول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾(آل عمران:12، 13).

وفي هاتين الآيتين يسوق الله للمؤمنين المجاهدين بشارته بالنصر على اليهود المعتدين، وعلى كل كافر مُعتدٍ أثيم.

ويدعم هذا أن الآيتين نزلتا في شأن اليهود خاصة، حين غرتهم قوتهم في المدينة، وأعلنوا أنهم لو حاربوا المؤمنين لهزموهم.

فعن عاصم بن عمرو بن قتادة: أن رسول الله ﷺ لمَّا أصاب من أهل بدر ما أصاب، ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال لهم: **يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا، فقد عرفتم أني نبي مرسل.**

فقالوا: يا محمد لا يغرَّنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا - يعني جُهّالاً ضعفاء - لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا[1]، فأنزل الله الآية الكريمة.. وفيها يأمر الله رسوله ﷺ وكل مؤمن في الأرض أن يقول لليهود المعتدين المستكبرين، وكل كافر معتد: إنكم يا معشر اليهود لو قاتلتم المؤمنين المجاهدين في أي عصر سيغلبونكم ويهزمونكم شر هزيمة، مهما كان علوكم في الأرض، ومهما

(1) راجع: جامع البيان، لابن جرير، 216/3، رقم 6556.

كان لكم من القوة في العدد والعدة.

وذكر الشيخ محمد أبو زهرة: أن هذه الآية الكريمة إنذار للمشركين واليهود بأن الهزيمة ستلحقهم في الدنيا، بأيدي المؤمنين المجاهدين، وأن العذاب سيشملهم في الآخرة.

وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بأن يواجههم بهذا الخطاب، ولم يوجهه (8) إليهم؛ لأن أولئك اليهود المفترين المفتخرين كانوا يدلون بقوتهم على النبي ﷺ ويغترون بها في مخاطبته ﷺ وخاصة عندما جمعهم في سوق بني قينقاع، ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم أن يصيبهم الله بما أصاب قريشًا في بدر، فقالوا: **يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك لقيت أقوامًا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا.**

ولهذا يكون من المناسب أن يتولى رسول الله ﷺ نفسه الرد عليهم، وهو الذي جُرد من المال والولد، ولا ناصر له إلا الله.

وإذا كان الاغترار من اليهود، فإنه يصح أن نقول: إن الخطاب للكفار المعتدين جميعًا الذين يغترون مثل هذا الغرور – اليهودي – وخصوصًا أن النبي ﷺ أمر بأن يخاطب بهذا الذين كفروا، سواء أكانوا من هؤلاء اليهود أم من أولئك المشركين[1].

وقد أكد الله تعالى هذه البشارة بثلاثة مؤكدات ظاهرة:

المؤكد الأول: في السياق ذاته في قول الله سبحانه قبل الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (آل عمران:10، 11).

(1) راجع: زهرة التفاسير، 1126.

ومعناه: أن المعتدين على المؤمنين من اليهود والذين كفروا لن تغني عنهم كثرة عددهم ولا كثرة أموالهم وأسلحتهم من قوة الله شيئًا، فسيهزمهم سبحانه، ويدمر دولتهم بأيدي المؤمنين المجاهدين أو بعذاب من عنده، كما فعل بفرعون وملئه والذين من قبلهم، حين كذبوا برسالته واعتدوا على المؤمنين من عباده.

المؤكد الثاني: لفظي في الآية ذاتها، في قوله سبحانه: (سَتُغْلَبُونَ) وهو صيغة التجدد في الحاضر والمستقبل، ودخول "السين" عليه يُخلِّصه للاستقبال، مما يعني أن وعد الله للمؤمنين المجاهدين بالغلبة والتمكين متجدد ومستمر لهم في حاضرهم ومستقبلهم الممتد إلى يوم القيامة، كلما حاربوا أعداءهم من اليهود وغيرهم.

المؤكد الثالث: تاريخي مشهود لليهود.

وهو في معركة بدر، حيث كان للمشركين كثرة عددية افتتنوا بها، وعدة قوية انخدعوا بها، بينما كان عدد المؤمنين المجاهدين قليلاً، وعدتهم قليلةٌ وضعيفةٌ، لكن الله القوى القاهر أمدهم بمدد من عنده، ووهبهم النصر على المشركين المعتدين، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا، ولم تغن عن المشركين كثرة عددهم، ولا قوة عدتهم، وفيهم يقول سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (آل عمران:13).

الوعد الثاني: وفي ذات السورة تتكرر البشارة للمؤمنين بأنهم مع ما ينالهم من الأذى في جهادهم لإزالة الإفساد اليهودي ينتصرون ويولي اليهود الأدبار مهزومين مدحورين، يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: 110 -112).

1 -**الآيات لا تعني إلا اليهود.**

وإذا كانت كلمة " أهل الكتاب" في الآيات تشمل اليهود والنصارى معًا إلا أنها تعني اليهود وحدهم، حتى قال الرازي: الآيات مخصوصة باليهود، وأسباب النزول على ذلك[1].. وآية ذلك:

- أن الآيات نزلت حين عمد رؤوس اليهود مثل: "كعب بن الأشرف" "وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق"، "وابن صوريا" إلى الذين أسلموا من اليهود، مثل عبدالله بن سلام وأصحابه، فآذوهم لإسلامهم.
- والآيات عللت عقوبة أهل الكتاب بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ولم يفعل هذا سوى اليهود؛ كما يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (المائدة:70).

2 - **تمهيد:**

وتبين الآيات في بدايتها أن الله أخرج الأمة الإسلامية لهداية الناس إلى صراطه المستقيم، وإصلاح أمرهم وفق شريعته، وأنه سبحانه جعلها خير الأمم بقيامها بهذه الرسالة، كما يقول سبحانه: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ) (آل عمران: 110).

قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية في الحج، وقال: يا أيها الناس، من سرَّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله فيها[2].

---

(1) راجع: التفسير الكبير، للرازي 8 / 199.

(2) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، 7/4، رقم 7500.

ولو أن أهل الكتاب – وخاصة اليهود – استجابوا للمؤمنين، وآمنوا بالإسلام، وأمروا بالإصلاح لكان خيرًا لهم وللناس، ولكنهم أصروا على كفرهم وإفسادهم وعدائهم للمؤمنين، كما يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وغايتهم في العداء للمؤمنين استئصال الإسلام من الوجود بأن يردوهم عن إسلامهم أو يزيلوا وجودهم، كما يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البقرة: 217).

3 -**البشارة بوعد الله:**

وهيهات لليهود المعتدين ومن على شاكلتهم أن يردوا المؤمنين عن دينهم، أو يزيلوا وجودهم، أو تدوم لهم الغلبة عليهم.. فحرف الشرط في قوله سبحانه (إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟) يفيد التشكيك في استطاعتهم ذلك، يعني لن يستطيعونه.. ومن ناحية أخرى فإن الله وعد المؤمنين المجاهدين النصر والتمكين في الأرض، كما يقول سبحانه في ذات السياق: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾(آل عمران: 111).

والأذى ألم خفيف لا يبلغ حد الضرّ، ثم لا يلبث أن يزول؛ فمهما اشتد كيد اليهود للمؤمنين، ومهما استمروا في العدوان عليهم فلن يضروهم إلا أذىً يسيرًا، ثم ينهزمون أمامهم ويولوهم الأدبار.

وذكر الله أذاهم بصيغة التنكير؛ ليُطمئن المؤمنين بأنه يسير، وتأثيره عارض، وقدَّمه بأداة الحصر والقصر (**إلا**)؛ ليبين أنه لا يزيد على ذلك.

قال أبو حيان: الظاهر أن قوله "أذىً": استثناء متصل[1] والتقدير: لن يضروكم إلا ضررًا يسيرًا لا نكاية فيه، ولا إجحاف لكم.

ودلت هذه الجملة على ترغيب المؤمنين في تصلّبهم في دينهم وتثبيتهم عليه،

(1) وهو ما كان المستثنى فيه من جنس المستثنى منه بخلاف الاستثناء المنقطع.

وعلى تحقير شأن الكفار، إذْ صاروا ليس لهم من ضرر المسلمين شيئًا إلا ما يصلون إليه من ضرر يسير[1].

نعم، ربما كان أذىً مؤلمًا لكنه ظاهري عارض، سرعان ما يزول ألمه، ويتلاشى أثره، ويبقى قلب الأمة حيًّا، وجوهرها صلبًا، وإرادتها الجهادية أبية، وروحها فتية، وسرعان ما تسترد عافيتها، وتعود إلى جهادها، وتتقدم إلى النصر والتمكين في الأرض.

وهذا الوعد للمؤمنين في حاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة كما تفيده أداة النفي **(لن)** فهي -كما قال العلماء -تفيد نفي الضرر المؤثر نفيًا مؤبدًا مستمرًا في الحاضر والمستقبل[2].

ونرى في عصرنا مصداق هذا الوعد القرآني في عجز اليهود المعتدين ومن يعاونهم عن القضاء على إرادة الجهاد والمقاومة في المؤمنين، وكل ما يقدرون عليه إصابة أبدانهم وبيوتهم وممتلكاتهم بالأذى[3].

4- الوعد بنصر المؤمنين:

4 -وفي المعركة الفاصلة بين المؤمنين واليهود ينزل الله هزيمته على اليهود المعتدين بأيدي المؤمنين المجاهدين، كما يقول سبحانه: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

وهذه الجملة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ خبرية معطوفة على جملة الشرط وجوابها قبلها؛ للإشعار بأن هذا ديدنهم وأنهم لن ينتصروا على المؤمنين العاملين لا في قتال ولا في غيره ما دام المسلمون مستقيمين على إسلامهم.

قال أبو حيان: وهذه الجملة كالمؤكدة للجملة قبلها؛ إذْ تضمنت الإخبار أنهم لا تكون لهم غلبة ولا قهر ولا دولة على المؤمنين؛ لأن حصول ذلك إنما يكون

---

(1) راجع: البحر المحيط 32/3.

(2) راجع: زهرة التفاسير 1360 نقلا عن الكشاف.

(3) راجع: وعود الإسلام، 160.

سببه صدق القتال والثبات فيه، والنصر المستمر من الله، وكلاهما ليس لهم.

وأتى بلفظ الإدبار لا بلفظ الظهور؛ لما في الإدبار من الإهانة دون ما في الظهور؛ ولأن ذلك أبلغ في الانهزام والهرب[1].

وذكر الرازي في تفسيره: أن هذه الآية اشتملت على الإخبار عن غيوب كثيرة، منها أن المؤمنين آمنون من ضرر اليهود المعتدين، وأنهم لو قاتلوا المؤمنين لانهزموا، ولا يحصل لليهود قوة ولا شوكة بعد الانهزام، وكل هذه وقعت كما أخبر الله عنها، فإن اليهود لم يقاتلوا المؤمنين – قتالاً حقيقيًا – إلا انهزموا، وما أقدموا على محاربة وطلب رياسة إلا خُذلوا[2].

وتقع أيضا كلما قامت حرب حقيقية بينهم وبين المؤمنين المجاهدين.

ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح:22، 23).

قال علماء الأزهر: المراد من سنته وطريقته تعالى أن يكون النصر والعاقبة لأنبيائه – عليهم السلام – والمؤمنين العاملين في السابق ولن تتغير سنة الله وطريقته مع المؤمنين العاملين في اللاحق، فالغلبة والعاقبة لهم عليهم لا محالة إلى يوم القيامة.

وفي هذا تثبيت لفؤاد المؤمنين، وإنزالٌ للطمأنينة في نفوسهم، وبشارة ووعد بأن النصر لهم، كما أن فيه تهديدًا للمعتدين من اليهود والذين كفروا بأن الدوائر تدور عليهم بأيدي المؤمنين[3].

---

(1) راجع: البحر المحيط، 32/3.

(2) راجع: التفسير الكبير، 8/ 199.

(3) راجع: التفسير الوسيط، 1007/9.

5- **أسباب هزيمة اليهود:**

وفي أسباب هزيمة اليهود يقول الله تعالى مبشرًا المؤمنين ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

الذلّة هي: الخزي والهوان والهزيمة النازلة بهم من عدوهم الذي يهزمهم.

وفي هذا إخبار بأن الله تعالى ضرب على اليهود الهزيمة والهوان أينما علوا وبغوا، ومعنى ضربها عليهم أينما غُلبوا: أنها تحيط بهم وتلازمهم أينما بغوا واعتدوا على المؤمنين في أيّ مكان وأيّ زمان، ولا ترتفع عنهم إلا في حالة من اثنتين، كما يقول سبحانه: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

(أ) فقوله سبحانه ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: إمّا بإيمانهم بالإسلام ودخولهم في جماعة المؤمنين، وإمّا ببقائهم على دينهم، ودخولهم في ذمة المؤمنين، يتمتعون برعايتهم وأمنهم.

وقد امتد لهم هذا الحبل وتمتعوا به في ظل الدولة الإسلامية ثلاثة عشر قرنًا، حتى قطعوه منذ العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري، حيث نقضوا عهدهم مع المؤمنين وخانوا ذمتهم، واغتصبوا أرضهم في فلسطين وأقاموا عليها دولتهم الثانية بالبغي والعدوان.

(ب) وقوله سبحانه ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: هو لجوؤهم إلى قوة غالبة، يحتمون برعايتها ويستقوون بسلطانها، ويعتدون بقوتها على المؤمنين، وهذا دأبهم دائمًا في كل مراحل حياتهم، في ماضيهم، وحاضرهم[1]. ولا يفارقهم في

---

(1) وهذا دأبهم دائمًا منذ نشأة الدولة الإسلامية.

(أ) ففي العام الخامس الهجري لجؤا إلى المشركين في مكة وما حولها باعتبارهم قوة غالبة يومئذ وحرضوهم على المؤمنين لمحاربتهم في المدينة (في غزوة الأحزاب).

(ب) وبعد ما أصبح المؤمنون قوة غالبة تفتح البلاد الإسلامية لجأ اليهود إليهم وأحسنوا استقبالهم في البلاد التي فتحوها، بل دخلوا معهم في جيوشهم، وقاتلوا معهم في فتح الأندلس، واستقبلوهم فيها استقبالاً حسنًا، وأنقذوا بذلك عموم اليهود من عذاب المسيحيين، حتى قال

مستقبلهم، وخاصة في مواجهة المؤمنين.

أجل، فلولا هذا الحبل البشري الممدود لليهود ما استطاعوا أن يحتلوا فلسطين ويقيموا عليها دولتهم الثانية.

وقد أكد هذا زعماؤهم أنفسهم مثل "وايزمان" فقد قال في مؤتمر صهيوني بلندن في 1917/5/16م... إنه بينما هدفنا النهائي هو خلق دولة يهودية، فإن الطريق لتحقيق ذلك يكون على مراحل متداخلة، وإحدى هذه المراحل التي أرجو أن تكون نتيجة لهذه الحرب (العالمية الأولى) هي: أن فلسطين سوف تتمتع بحماية قوة ضخمة وكبيرة، مثل: بريطانيا، وتحت جناح هذه القوة يصبح اليهود قادرين على إقامة جهاز إداري وتنفيذي ينجز أهدافهم الصهيونية، **بينما لا نزعج أنفسنا بالمصالح المشروعة لغير اليهود (تأمل!)، وإنني فخور بأن أعلن في هذا الاجتماع موافقة الحكومة البريطانية على هذه الخطة،** أهـ.[1]

العالم اليهودي "إسرائيل ولفنسون": وينبغي أن لا يغيب عن البال أن الخسارة التي لحقت بيهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التي اكتسبها اليهود من ظهور الإسلام، فقد أنقذ الفاتحون المسلمون الآلاف من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية، وكانوا يقاسون ألوانًا شتى من العذاب (راجع: الصهيونية بين الدين والسياسة، للهراوي 287)، ولهذا قال بعض الباحثين: لولا الإسلام لفنيت اليهودية.

(ج) ولما ضعفت الدولة الإسلامية، وظهر نجم بريطانيا تحولوا إليها، وحالفوها واستعانوا بها لاغتصاب "فلسطين".

(د) وبعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن مركز القوة قد تحول إلى أمريكا فتوجهوا إليها، رامين بكل ثقلهم المالي والإعلامي والتنظيمي، واستعانوا بها لبقاء دولتهم في فلسطين وفي الضغط على العرب، ثم في احتلال العراق (2003م) ثم في ضرب لبنان (2006م).

(هـ) وبعدما أفل نجم شاه إيران وظهر نجم الخميني وثورته تحولوا إليه، وذهب إليه عدد من اليهود بعد انتقاله من النجف في العراق إلى باريس (فرنسا) في 3 تشرين الأول 1978م، وحصلوا منه على وعد بعدم المساس باليهود في إيران، ووعدهم الخميني بتوجيه تعليمات إلى رجاله في إيران بعدم المساس باليهود.. وخرج خمسة آلاف من يهود طهران وعلى رأسهم الحاخام الأكبر لاستقبال الخميني، ويهتفون: "**اليهود والمسلمون إخوان**" وكانت الدول الكبرى تتحرك في مصلحة الخميني ضد الشاه بناء على تعليمات اليهود... وهكذا شأن اليهود دائمًا.. (راجع: اليهود والتحالف مع الأقوياء، 85:91).

(1) راجع: ممنوع من التداول 40/1 ... وكتابنا: القدس والوعد المفترى، 80.

وقبل بدء الحرب اليهودية على لبنان عام 1982م اجتمع "بيجن" رئيس الوزراء اليهودى مع "ألكسندرهيج" وزير خارجية أمريكا (أكبر دولة صليبية في عصرنا) اجتماعًا مغلقًا، لم تسجل وقائعه، وبعد انتهاء الاجتماع بينهما عبّر "بيجين" عن انطباعه، فقال: لقد اعتاد "ابن جوريون (زعيم يهودي) على القول: إنك لابد أن تستعين بدولة عظمى، لكي تتخذ سياسة تنطوي على مخاطر الحرب[1].

وظاهر من اعتداء اليهود على المؤمنين في لبنان عام (1427هـ/ 2006م) أنه ما تم إلا برعاية أمريكا وتحت نفوذها، وهي التي هيأت لهم الدعم المادي والدعم العربي العلماني.

أجل، **وهذا الحبل البشري هو الممدود لهم الآن، وهو الذي يستقْوون به على المؤمنين، ويتبين في الآتي :**

(أ) **الحبل الصليبي**، وقد امتد لهم أولاً بيد بريطانيا منذ سنة 1917م حتى مكنتهم من اغتصاب فلسطين، وإقامة دولتهم الثانية على أنقاض المؤمنين، ولولاها ما استطاع اليهود اغتصاب شبر واحد من فلسطين.

ولا يزال الحبل الصليبي ممدودًا لهم بيد أمريكا، ومن يعاونها من الدول الأوربية؛ حيث تمدهم بأسباب القوة والحياة.

(ب) الحبل العربي العلماني، وقد امتد لهم أولاً بيد الولاة العلمانيين المتخاذلين الخاضعين للهيمنة الصليبية واليهودية.

والتنكيل بالمؤمنين المجاهدين في دولنا العربية لا يتم بيد هؤلاء الولاة العلمانيين إلا رعاية لأمن الدولة اليهودية في حاضرها ومستقبلها؟!.

وهل سكوت هؤلاء الولاة العلمانيين - إن لم نقل تشجيعهم - على اعتداء الدولة

---

(1) راجع: الحرب النفسية، د. أحمد نوفل 65/3 الحرب المضللة 25 لزئيف شيف وزميله، ترجمه: غازي السعدي.

اليهودية على المؤمنين في فلسطين وغيرها إلا رعاية لأمن الدولة اليهودية وبقائها؟.

ومع هذا كله فهذه الحبال مهما كثرت وقويت، فهي في منطق الله تعالى حبل واحد، وهو حبل ضعيف.. هش، سرعان ما ينقطع ويزول بأقل ضغطة أو جذبة بيد المؤمنين.

إنه حبل الناس، فيه ضعف الناس، وإن ظهر أمام أعينهم قويًا، وله أجل محدود مهما طال عمره، والله تعالى يقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:34).

وأجله قريب – إن شاء الله –، وما على المؤمنين إلا أن يعتصموا بإسلامهم، ويعملوا لقطعه، وإذا صدقوا العزم سهل عليهم قطعه – إن شاء الله –، وحينئذ تلفظ الدولة اليهودية أنفاسها، وتزول عن فلسطين إلى غير رجعة، كالجنين في بطن أمه حين ينقطع عنه الحبل السري الذي يمده بماء الحياة، فيموت وينزل سقطًا ليدفن في التراب.

6 -ويقول سبحانه: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾.

ومعناه: أن الله عاقب اليهود لأجل معاصيهم واعتدائهم على المؤمنين بعقوبتين استقرتا في شخصيتهم، وكل منهما تلازمهم ولا تفارقهم، وتؤدي إلى هزيمتهم وزوال دولتهم بأيدي المؤمنين إلى يوم القيامة، وهما إنزال غضبه عليهم، وضرب المسكنة عليهم.

قال الشيخ محمد أبو زهرة: إن بواء اليهود بغضب من الله وضرب المسكنة عليهم لا استثناء فيه، بل هو مستمر عليهم إلى يوم القيامة ما داموا على حالهم[1].

(أ) وغضب الله عليه يعني نقمته وعذابه، وقد حذرهم الله منه، في قوله: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾(طه:81).

---

(1) راجع: زهرة التفاسير، 1364.

لكنهم عصوا الله وطغوا في معاصيهم واعتدائهم على المؤمنين إلى يومنا هذا؛ فلزمهم غضب الله ونقمته، وهم إلى الآن في هويّهم لم يستقروا بعد على قرار، ولا يزالون يتجلجلون في أسفل سافلين حتى يزول علوهم، وتسقط دولتهم في هاوية سحيقة بأيدي المؤمنين.

(ب) والمسّكنة: حالة من الضعف والقهر والانكسار النفسي، فهي تنشأ من داخل النفس لا من خارجها.

ومعنى ضَرْبها عليهم: أنها تحيط بهم وتلزمهم وتتحكم في حركاتهم حتى تؤدي بهم إلى الهزيمة والسقوط، وهي هزيمة من داخل النفس، كما أن الذلة هزيمة من خارجها.

7 ـ وسبب هذا كله: هو ما أخبرنا الله به من معاصيهم في ختام الآيات، في قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 112).

ولا يزال يهود اليوم هم يهود الأمس، قائمين على كفرهم بآيات الله في القرآن، وفسادهم في الأرض، واعتدائهم على المؤمنين بغير حق، ولهذا لابد أن ينزل الله عليهم عقابه بأيدي المؤمنين المجاهدين، فيهزمونهم ويزيلون دولتهم، وخاصة أن المؤمنين على ما يشوبهم من معاصٍ لا يزالون بخير، وسيظلون عليه إلى يوم القيامة – إن شاء الله.

وقد لاحظت أن الله تعالى جعل وعده للمؤمنين بالنصر على اليهود المعتدين في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران:111) وسطاً بين الآيتين:

الأولى: الآية قبلها، وقد خصّت المؤمنين، وبيّنت أسباب نصرهم وعلوهم في قيامهم بحقوق الله تعالى عليهم في قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:110).

الثانية: الآية بعدها، وقد خصت اليهود، وحدّدت أسباب هزيمتهم، وزوال

دولتهم في فسادهم ومعاصيهم لله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران:112)[1].

وهذا كله تأكيد لوعد الله للمؤمنين بالنصر، وتحرير أرض فلسطين من الاحتلال اليهودي الأثيم.

(1) راجع: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، ص202.

البشارة بالوعد السادس
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ

وفي سورة الأنفال يُبين الله للمؤمنين ما يجب عليهم عمله مع اليهود الغادرين.. فيُوجب عليهم أخذ الحذر منهم، وأخْذهم بالشدة كلما خانوا وغدروا.. ويُحرِّم عليهم الانخداع بزخرف قوتهم؛ فإنهم لا يُعجزون، والله تعالى ينصر عباده المؤمنين كلما وصلوا بحبله عُراهم، واستقاموا على صراطه المستقيم، وأعدوا للجهاد عدته، واستوْفوا للنصر شروطه.. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(الأنفال: 55-60).

1 -هذه الآيات وإن كانت في ظاهرها تتحدث عن الذين كفروا بوجه عام فإنها تعني اليهود بالحديث والوصف بوجه خاص.. **وآية ذلك**:

(أ) أنها نزلت في شأن اليهود كما جاء في عدد من الروايات:

فعن ابن عباس 5 أنها نزلت في شأن اليهود في قريظة، فقد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم "بدر" ثم قالوا له: نسينا وأخطأنا، ومع هذا عاهدهم رسول الله ﷺ مرة ثانية فنقضوا عهده، ومالؤا المشركين على المؤمنين مرة أخرى يوم "الخندق" وركب زعيمهم "كعب بن أسد" إلى المشركين، وحالفهم على محاربة المؤمنين[1].

(1) راجع: البحر المحيط 503/4، روح المعاني 21/10، جامع البيان 27/10 رقم 19137.

وهكذا عاهد النبي ﷺ اليهود مرة بعد مرة، وكلما عاهدهم نقضوا عهده، وغدروا بالمؤمنين، بخلاف مشركي العرب فلم يعاهدوا المؤمنين إلا مرة واحدة، في صلح الحديبية ثم نقضوها، ولهذا فاليهود وحدهم هم الذين يعنيهم الله بقوله في الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

قال الشوكاني: هؤلاء هم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ أن لا يعينوا الكفار، فلم يفوا بعهدهم[1].

وقال مجاهد: هم قريظة، مالؤا المشركين على النبي ﷺ والمؤمنين يوم الخندق.

2 -وفي بداية الآيات يذكر الله تعالى أن اليهود المعتدين يحملون في ذواتهم أسباب هزيمتهم بأيدي المؤمنين:

فوصفهم **أولاً**: بالدّواب العجماوات، بل شر منها؛ لأجل كفرهم بالله ومعاصيهم له، وهو ما لم تعرفه الحيوانات العجماوات.

ووصفهم **ثانيًا**: باعتياد الغدر ونقض العهد، وأنه يتجدد منهم كلما سنحت لهم الفرصة؛ ولا يتقون عواقبه.

قال الألوسي: قوله ﴿يَنقُضُونَ﴾، صيغة الاستقبال؛ للدلالة على تعدد النقض وتجدده واستمراره، وكونهم على نيته على كل حال، أي: ينقضون عهدهم الذي أخذ منهم في كل مرات المعاهدة[2].

وقال الشوكاني: عطف الله المستقبل في قوله: ثم ينقضون على الماضي في قوله: "عاهدت"؛ للدلالة على استمرار النقض منهم[3].

وهذا حال اليهود الذي يلازمهم ولا يفارقهم أينما كانوا، وفي أيّ عصر كانوا، ويؤكده الله تعالى بصيغة التجدد والاستمرار، فيقول: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

(1) راجع: فتح القدير 448/2.
(2) راجع: روح المعاني 21/10.
(3) راجع: فتح القدير 448/2.

خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة:13).

ولا يزال يهود اليوم هم يهود الأمس في هذه الصفات من الخيانة والغدر.

وفي عصرنا ينصبون شباك خداعهم وغدرهم على الولاة العلمانيين في ديار العروبة والإسلام، فقسموا أنفسهم إلى "حمائم" "وصقور"، فجماعة "الحمائم" يحملون وجهًا ماكرًا، ويتظاهرون باللين والحوار، ويعقدون معاهدات السلام.. أما جماعة "الصقور" فيحملون وجهًا كالحا متشددًا، ويشتغلون بالغدر والخيانة ونقض المعاهدات التي عقدتها جماعة الحمائم.. وجميعهم يشتغل بالاعتداء على المؤمنين.. فهؤلاء يعقدون المعاهدات السلمية ثم يذهبون، وأولئك يأتون وينقضون ويغدرون، وهكذا ذات الخداع والغدر القديم يكرّرونه مرة بعد مرة، بصورة مُشابهة أو مُغايرة[1].

وليقل لي العرب كم عهدًا ومعاهدة وفى لهم اليهود بها؟.

قال الشيخ محمد الغزالي: اسمع إلى الإحصاء الرسمي المصري لغدرات اليهود على حدود مصر وحدها: في سنة 1949م وعقب اتفاق الهدنة مباشرة وقع (116) اعتداء.. وفي سنة 1950م وقع (44) اعتداء.. وفي سنة 1951م وقع (187) اعتداء.. وفي سنة 1952م وقع (155) اعتداء.. وفي سنة 1953م وقع (174) اعتداء.. وفي سنة 1954م وقع (259) اعتداء.. وفي سنة 1955م وقع (276) اعتداء.. الخ[2].

أما معاهدة: كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1979م.. فبعدها اعتدى اليهود على الجنوب اللبناني غيلة، وقتلوا المسلمين العُزْل ـ نساءً وأطفالاً وشيوخًا ـ في مذبحة (صبرا وشاتيلا) المشهورة.

2 ـ اتفاقية مدريد عام 1992م 3 ـ اتفاقية أوسلو عام 1993م.

---

(1) وما الأمم المتحدة وقرارتها إلا شيء من هذا، فإذا أصدرت هذه الأمم المتحدة قرارها ضد اليهود بعد مناقشات تضيع فيها الأوقات نقضه اليهود، أو يوقفه حلفاؤهم بما يُسمى "الفيتو"، أما إذا أصدرت قرارها ضد العرب والمسلمين فهو القرار الصحيح الذي يُنفَّذ على الفور!! .

(2) راجع : اليهود المعتدون للشيخ محمد الغزالي 200 ط . دار القلم .. دمشق .

4 ـ اتفاقية واي ريفر 1998م. 6ـ اتفاقية شرم الشيخ عام 1999.

وغير ذلك كثير من الاتفاقات والمعاهدات.. واليهود في كل مرة يغدرون وينقضون.

والواجب على المؤمنين إذا أحسوا منهم أمارات الغدر والخيانة فليردّوا إليهم عهدهم علانية ويتحللوا من قيوده، ويكونوا معهم على تساوٍ في التحلل منه، كما يقول سبحانه: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ صدق الله

ولهذا، فلا انتصار للمؤمنين على اليهود المعتدين، ولا تحرير لفلسطين إلا بالجهاد والضربة الموجعة التي تكسر شوكتهم، وتردع مَنْ خلفهم ممن يعاونهم ويُظاهرهم، كما يقول سبحانه: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ صدق الله

3 -البشارة بوعد الله:

وفي قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[1]..بشارة بوعد الله للمؤمنين بالنصر على اليهود المعتدين والتمكين لهم في أرض فلسطين من بعدهم.

ولهذا لا يجوز للمؤمنين أن ينخدعوا بظاهر قوة اليهود المعتدين، ويظنوا أن الدنيا قد دانت لهم، وأنهم قد حازوا القوة والغلبة لمجرد سبقهم ببعض القوة، وإحرازهم النصر في بعض المعارك، ولا يجوز لهم أن ييأسوا من قتالهم، والنصر عليهم ؛ فإنهم لن يعجزوا قوة الله تعالى، وهو معين المؤمنين المجاهدين، وناصرهم

---

(1) قرأ ابن كثير وغير، (**ولا تَحْسَبَنَّ**) بالتاء خطاباً للنبي ﷺ وكل مؤمن في الأرض إلى يوم القيامة، وهو ما نرجحه، ورجحه من قبل شيخ المفسرين "الطبري"، فقال: "والصواب من القراءات في ذلك عندي: قراءة من قرأ "ولا تحسبن" (جامع البيان 31/10)، والخطاب في الآيات يرجح هذا، فكله خطاب للنبي ﷺ وكل مؤمن، كما في قوله سبحانه: (عاهدت – تثقفنهم – فشرد – تخافن – فانبذ).
وقرأ حفص: "ولا يحسبن" بالياء (السبعة في القراءات 307 لابن مجاهد).

بما معهم من قوة.

قال الألوسي: وفي هذه الآية إشارة إلى أن الله سبحانه سيمكن المؤمنين منهم في الدنيا، وادعى الخازن أن المعنى على العموم في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بعذاب النار[1].

وفي مثل هذا يقول الله تعالي: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (النور:57).

وقوله سبحانه: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (آل عمران: 196، 197).

4 -وما على المؤمنين إلا أن يعدوا للجهاد عدته، ويهيئوا للنصر أسبابه وشروطه بقدر استطاعتهم، وسيحقق الله لهم وعده بما معهم من قوة. كما يقول سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (آل عمران: 60).

وجاء الأمر في قوله سبحانه (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم) للوجوب.. يعني أن إعداد القوة المُسْتطاعة فريضة على المؤمنين، ولا يجوز لهم ترك ذلك عمدًا أوإهمالاً أو كسلاً.

فإن أطاع المؤمنون ربهم وأعدوا ما في استطاعتهم من قوة، وانطلقوا لله مجاهدين أكمل الله لهم ما عجزوا عنه كما حدث في غزوة بدر، وإن عصوا ربهم ولم يُعدوا ما في استطاعتهم من قوة عمدًا أو كسلاً وإهمالاً عاقبهم الله بالحرمان من النصر، وسلط عليهم عدوهم.

وجاءت كلمة (**قُوَّةٍ**) بصيغة العموم؛ لتشمل كل قوة يستطيعها المؤمنون؛

---

(1) راجع: روح المعاني 21/10.

ولهذا فسرها ابن عباس بأنواع الأسلحة.

ولقي رجل "مجاهد بن جبر" (التابعي المعروف) بمكة، وهو يتجهز للغزو ومعه جوالق (أوعية) فقال مجاهد: هذا من القوة[1].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: فكل قوة مستطاعة يجب على الأمة أن تتضافر على إيجادها، وإلا أثمت كلها، ولم ينج من الإثم فقيرها وغنيها، ولا قويها وضعيفها، فالقادر بقدرته، والضعيف بلسانه[2].

وذكر علماؤنا: أن القوة تختلف في الزمان والمكان، فالواجب على المسلمين في هذا العصر صنع المدافع والطائرات والقنابل بأنواعها المختلفة، والدبابات، وإنشاء السفن الحربية، والغواصات ونحو ذلك من القوة المطلوبة في وقت الجهاد، كما يجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوة الحرب[3][4].

وهذه القوة من شأنها أن تقذف في قلوب اليهود المعتدين ومن يعاونهم الرعب من المؤمنين، مما يحملهم على كف أيديهم عنهم في حالة السلم، والانهزام أمامهم في المعركة، كما يقول سبحانه: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

---

(1) راجع: جامع البيان 32/10 رقم 16158.

(2) راجع: زهرة التفاسير 3141.

(3) راجع: تفسير المراغي 24/10.

(4) وما جاء في الحديث: **(إلا أن القوة الرمي)** (أخرجه مسلم 4923 وغير، عن عقبة بن عامر) لا ينفي أن غير الرمي من القوة معتبر ومطلوب، كما أن قوله ﷺ: "الحج عرفة" (متفق عليه) لا ينفي اعتبار غير، من أركان الحج.

على أن الرمي - كان ولا يزال وسيظل - هو القوة المستخدمة في أسلحة القتال مع تطورها، ولهذا يأمر النبي ﷺ المؤمنين بالمداومة على استخدامه والتدريب عليه؛ حتى يبقى حيًّا في ذاكرتهم، وليِّنًا على أيديهم .. وينهى رسول الله ﷺ المسلم أن يترك استخدامه والتدريب عليه حتى ينساه، يقول ﷺ: **(من علم الرمي ثم تركه فليس منا.. أو قد عصى)** (أخرجه مسلم 4926 وغير).

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.. وهو الذي يشار إليه بقوله (السلام المسلح)[1].

5 -وسجلت سورة الأحزاب أن الله تعالى حقق وعده للمؤمنين جزئيًا، وبقي لهم باقي الوعد إلى يوم القيامة.

وقد أشرنا إلى أن يهود بني قريظة حينما غدروا بالمؤمنين، ونقضوا عهدهم، وجاؤوا بالمشركين في جيش كبير، وحاصروا المؤمنين في المدينة لقتالهم، وإزالة وجودهم منها، وظنوا في ذلك عزهم ومجدهم حتى قال كبيرهم حيي بن أخطب لكعب بن أسد (من قادة اليهود): ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر، وببحر طام (كثير الماء)، وجئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال من رومة (اسم مكان) وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم على جانب "أحد"، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدًا ومن معه[2].

لكن الله تعالى خيب ظن هؤلاء اليهود الغادرين وأضل سعيهم، وهيأ للمؤمنين أسباب النجاة والنصر، ونصرهم بغير قتال، ورد أعداءهم إلى ديارهم، يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، كما يقول سبحانه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(الأحزاب:25).

---

(1) وقد أشار الإمام الرازي إلى هذا فقال: "إن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهّلون للجهاد، ومستعدون له، ومتملكون لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد المؤمنين في أمور كثيرة، أهمها:

1 ـ أن الأعداء لا يقصدون دخول دار الإسلام.

2 ـ وكثيرًا ما تكون قوة المؤمنين داعية لهم إلى اعتناق الإسلام (وقد قيل: المغلوب مولع بتقليد الغالب).

3 -إن المنافقين في الداخل والكافرين في الخارج يخافون المؤمنين، فلا يعينون سائر الكافرين المعتدين عليهم.

4 -أن يصير ذلك سبباً لمزيد من الزينة في دار الإسلام (أي يؤدي إلى الاستقرار الاقتصادي= =والأمن الاجتماعي في الأمة) راجع: (التفسير الكبير 191/15 بتصرف) وهذا كله من النصر المطلوب.

(1) كان ذلك في غزوة الأحزاب (راجع: تاريخ الطبري 47/2، وتفسير 165/21، رقم 2839، وفاء الوفا 303/1).

وحينئذٍ أسرع المؤمنون إلى تأديب اليهود في بني قريظة، وحاصروهم حتى خذلهم الله، وهزمهم بأيدي المؤمنين، ونزلوا على حكم الله الذي جاء على لسان سعد بن معاذ ﷺ وقد ارتضوه حكمًا، وحكم ﷺ بقتْل محاربيهم، وسبْي نسائهم وذراريهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سماوات)[1].

وقد حقق الله وعده للمؤمنين المجاهدين بالنصر والعلو على اليهود المعتدين، وفيهم يقول سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾(الأحزاب:26، 27).

وكان لليهود في قريظة صياصي -أي حصون -قوية ومنيعة؛ حتى إنهم لم يكونوا يظنون يومًا أنهم تاركوها مهزومين، لكن الله تعالى خذلهم، وأنزلهم منها مهزومين، بأيدي المؤمنين إلى غير رجعة.

قال ابن كثير: "وقذف في قلوبهم الرعب" وهو الخوف الشديد؛ لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ والمؤمنين، ورامو قتلهم؛ ليعزّوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، وانقلب الفال، فقد انشمر (رجع) المشركون؛ ففازوا بصفقة المغبون (الخاسر)، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[2].

6 -البشارة بوعد الله:

في قول الله سبحانه: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 229/3 رقم 1389، تاريخ الطبري 588/2، والحاكم 134/2 رقم 2570، وصححه ووافقه الذهبي، وأصله في البخاري ومسلم.

(2) راجع: تفسير ابن كثير 399/6.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الأحزاب:27).

وبهذا الفتح، أورث الله عباده المؤمنين أرض يهود بني قريظة وديارهم وأموالهم.. وبقي لهم وعد الله ممتدًا إلى يوم القيامة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ أي: ويفتح لكم، ويورثكم أرضًا أخرى من أعدائكم اليهود والذين كفروا لم تطأها أقدامكم بعد.

وقد تعددت أقوال العلماء في هذه الأرض الموعودة للمؤمنين ولم تطأها أقدامهم:

وأعدل الأقوال: أنها كل أرض فتحها الله للمؤمنين المجاهدين ويفتحها لهم في المستقبل الممتد إلى يوم القيامة.. ويبين هذا: أن كلمة أرض جاءت في الآية بصيغة التنكير؛ لتفيد العموم بغير تخصيص أرض دون أرض، في الحاضر والمستقبل.

قال أبو حيان: ولا وجه لتخصيصها بأرض دون أرض[1].

وقال بهذا كثير من علماء السلف، مثل الحسن البصري الذي قال: هي الروم وفارس، وما فتح الله على المؤمنين[2] – أي بعد ذلك إلى يوم القيامة.

وقال عكرمة: يزعمون أنها خيبر، ولا أحسبها إلا كل أرض فتحها الله على المسلمين، أو هو فاتحها إلى يوم القيامة[3] اهـ.. أو هي ما ظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة[4]. وبمثل هذا قال عروة بن الزبير[5].

---

(1) راجع: البحر المحيط، 219/7.. جامع البيان للطبري 189/21، بتصرف.
(2) راجع: جامع البيان 189/21 رقم 28481 – الدر المنثور للسيوطي، 592/6.
(3) راجع: الدر المنشور 592/6.
(4) راجع: الجامع لأحكام القرآن 5421/7، روح المعاني 180/21.
(5) راجع: روح المعاني 180/21، التفسير الوسيط 174/7.

وقال أبو حيان: وعد صادق في فتح البلاد كالعراق والشام واليمن ومكة، وسائر فتوح المسلمين.. قال عكرمة: أخبر الله تعالى أنه قد قضي بذلك [1].

واختار هذا القول المحققون من علماء الإسلام في الأزهر[2].

وعبر سبحانه بالإرث دون غيره؛ للبيان بأنه تمليك دائم للمؤمنين، لا يقبل الفسخ ولا الإقالة.

وهذا وعد الله للمؤمنين المجاهدين في عصرنا وبعد عصرنا، وخلاصته: أن الله تعالى سيمكنهم من هزيمة اليهود المعتدين وإنزالهم من حصونهم، وإزالة دولتهم الثانية من فلسطين مهما كانت مناعتها وقوتها، وتعود فلسطين إلى الإسلام كما كانت إرثًا لا يقبل الفسخ ولا الإقالة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

قال أبو حيان: وختم الله هذه الآية بقدرته على كل شيء فلا يعجزه شيء - مهما علا واشتد - وكأن في ذلك إشارة إلى فتحه على المسلمين الفتوح الكثيرة، وأنه لا يستبعد ذلك، فكما ملَّكهم هذه فكذلك هو قادر على أن يملكهم غيرها من البلاد[3].

---

(1) راجع: البحر المحيط 219/7.

(2) راجع: في التفسير الوسيط 174/7.

(3) راجع: البحر المحيط 119/7.

البشارة بالوعد السابع
سيأتي الله بالفتح بأيدي المؤمنين

وحينما يتردَّى المجتمع الإسلامي في الضعف يظهر فيه جيل الهزيمة.. وفي سورة المائدة يبين الله للمؤمنين سمة من سمات هذا الجيل، وهي: خُذلان المؤمنين، والولاء لأعدائهم.

وفي ذات السياق يُبشِّر الله تعالى المؤمنين بأن هذا الجيل مهما خذل المؤمنين، ووالى أعداءهم؛ ليتخذ منهم قوة ونصرة عند الحاجة، فسيأتي الله بالفتح والتمكين بأيدي المؤمنين المجاهدين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويبوء جيل الهزيمة بالخذلان والهوان.. يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (المائدة:51، 52).

هذا النص القرآني ينهى المؤمنين صراحة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء أي أصفياء ونصراء، فلا يجوز مصافاتهم مصافاة الأحبة، ولا يجوز أن ينصروهم ولا ينتصرون بهم على المؤمنين، ولا يجوز إخبارهم بأخبار المؤمنين.. والنهْي في الآيتين لا يعني إلا التحريم الجازم.

قال المحققون من علماء الإسلام: في هاتين الآيتين: بهذه الجملة تأكيد لوجوب الابتعاد عن موادتهم، وتعليل للنهي عن مولاتهم، كما يتأيد بآيات أخرى مثل قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ (آل عمران:28).

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 118).

وهذه علة صريحة في تحريم موالاة اليهود والنصارى، فإنهم لن يُوادوا المؤمنين أبدًا، ولن يتباطئوا أو يتكاسلوا في إلحاق العنت والأذى بهم كلما سنحت لهم الفرصة.. أي سيُسارعون إلى ذلك.

وكثيرًا ما يظهر عداؤهم على فلتات لسانهم، وما تخفيه صدورهم أكبر وأخطر؛ ولهذا حرّم الله على المؤمنين موالاتهم.

ومهما كان الخلاف بين الكافرين في العقيدة والمصالح فإنهم إذا عادوا المؤمنين اتحدوا ضدهم وتناسوا خلافاتهم، كما يقول سبحانه: (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ).

وليس المراد من الآية الكريمة أن يكون بعض اليهود لبعض النصارى أولياء؛ لانتفاء الموالاة بين الفريقين أصلاً، كما يقول سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (البقرة:113).. إلا في عداوتهم للمؤمنين، فهم فيها بعضهم أولياء بعض، ولهذا يؤكد الله في القرآن على نبذ الولاية لهم، وتأكيد الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين، ويؤكد هذا قول الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال:73)[1].

والذين يعصون الله تعالى من أبناء الأمة ويوالون اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنهم منهم في التحزب على الله ورسوله والمؤمنين.. فهم جيل الهزيمة والخذلان.. والله ورسوله منهم براء.

قال الشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله): إن تولي الكفار أعداء الإسلام واتخاذ النصرة منهم على المؤمنين، وجعل الولاية لهم دون المؤمنين طريق إلى الارتداد؛ لأن من

---

(1) راجع: التفسير الوسيط 2/1091، بتصرف يسير.

يعتز بغير عزة الله تعالى ينقص من إيمانه بقدر موالاته لأعداء الله تعالى، واستمراره في الموالاة وإعطاء الولاية، وقد قال سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(المجادلة:22)[1].

ومع أن تحريم موالاة اليهود والنصارى واضح في الآية الكريمة، ومع وضوح خطر موالاتهم على المؤمنين إلا أننا نجد الذين في قلوبهم مرض من أبناء أمتنا، وخاصة من ذوي المال والحكم يسارعون في موالاتهم، وتقديم التنازلات لهم ولو ضد مصلحة أمتهم؛ ليتخذوا عندهم عدة ويدًا يدعمون بها سلطانهم، ويرعون بها مصالحهم عند الحاجة، **شعارهم: تنازل أكثر تحكم أطول، أو تملك أكثر.**

---

(1) راجع: زهرة التفاسير 2247، 2248... يرى الشيخ أبو زهرة أن موالاة اليهود والنصارى طريق إلى الردة، ويرى شيخ المفسرين الطبري أنها ردة عن الإسلام حقيقة، قال: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه، وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه (جامع البيان 297/6).

وقال الشيخ أبو زهرة: وهنا يسأل سائل: ما الموالاة التي تجر إلى الارتداد؟

ونقول في الإجابة: إن الموالاة التي تقضى إلى الارتداد مراتب:

أعلاها: أن يستنصر بهم على أهل الإيمان، كما كان يفعل بعض الملوك في الماضي، وكما فعل بعض الوزراء الذين مالؤا التتار على المؤمنين، حتى تمكنوا من أهل بغداد وغيرها من المدائن الإسلامية تقتيلاً وتذبيحًا، وهذه المرتبة أحسب أنها في ذاتها ردة، وليست ذريعة إليها فقط.

المرتبة المتوسطة: أن يواليهم في أوطانهم، ويستنصر بهم، ويجعل ولايته لهم من غير معاونة لهم على أهل الإيمان، ولا تمكين لهم من رقاب المؤمنين، وتكون هذه للمستضعفين في أرضهم، وهؤلاء قد يفيض بهم الاستضعاف إلى أن يكونوا منهم، وبذلك يسيرين في طريق الخروج عن الدين.

المرتبة الأخيرة: أن نقدس تعاليمهم، ونحوّل مجتمعنا الإسلامي بما يشبه مجتمعهم، حتى يكون ما عندهم أمرًا غير قابل للمناقشة، وما عندنا ولو كان من هدي الإسلام يكون قابلاً للنقض بل للاستهانة ووضعه دبر الآذان، مما نراه من بعض المثقفين الآن في الديار الإسلامية، الذين لا يتبعون أعداء المسلمين ويقلدونهم في الصناعات والعلوم الكونية، بل يقلدونهم في أهوائهم وشهواتهم ومجونهم ومعابثهم، ويحسبون ذلك تقدمًا، وما هو إلا ارتداد إلى الحيوانية البهيمية، والأدهى من ذلك أن يعتبروا قوانينهم محكمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ويجعلوا شرع الله هملاً مطويًا في زوايا النسيان (زهرة التفاسير، 2249).. **ألا يقرأ العلمانيون العرب هذا؟**

جاء عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود، كثير عددهم، وحاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأوالي إلى الله ورسوله.

قال عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية موالي اليهود.. وفي رواية: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود.. أنا رجل لابد لي منهم.

فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا الحُباب، ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه)... قال ابن أبي بن سلول: إذن أقبل[1].

وفي هؤلاء المرضى يقول سبحانه: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (المائدة:52).

والتعبير بقوله سبحانه: (فَتَرَى) تصوير للحالة الواقعة في قلوبهم، كأنها أصبحت ظاهرة مرئية يظهرها الله لذوي البصيرة من المؤمنين فلا تخفى عليهم، فيعرفونهم بسيماهم على صفحات وجوههم وفلتات لسانهم، كما يقول سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ (محمد:29، 30).

قال عثمان بن عفان: ما أسرّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[2].

كما أن التعبير بهذا الفعل (فَتَرَى) يدل على تجدّد واستمرار وجود هؤلاء الذين في قلوبهم مرض في كل أجيال المسلمين، وفي كل عصورهم وأقطارهم إلى يوم القيامة.

وعلة هؤلاء المرضى في موالاة اليهود والنصارى في قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ

---

(1) مرسل... أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان، 295/6، رقم 12075، والواحدي في أسباب النزول رقم 495، وغيرهما.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 304/7.

نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾.

قال السيد محمد رشيد رضا (-): أي نخشى أن نقع في مصيبة كبيرة، مما يدور بها الزمان، أو من المصائب والدواهي التي تحيط المرء إحاطة الدائرة بما فيها فنحتاج إلى نصرتهم، فنحن نتخذ لنا يدًا عندهم لننتفع بها إذا مسّتنا الضراء.

والمراد أنهم يخشون أن تدول الدولة لليهود وأعداء المؤمنين على المؤمنين فيحل بهم العقاب، لأنهم في شك من نصر الله للمؤمنين وإظهار الإسلام على الدين كله، وهكذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان.

وهو الذي جعل كثيرًا من وزراء بعض الدول - في أمتنا - منذ قرن أو قرنين ما بين روسي أو إنجليزي أو ألماني أو أمريكي أو يهودي في سياسته، كل منهم يتخذ له يدًا عند دولة قوية يلجأ إليها إذا أصابته دائرة، حتى تغلغل نفوذ هذه الدول في أحشاء هذه الدول الضعيفة - من أمتنا - فأضعفن استقلالها في بلادها، ويُخشى ما هو أكبر من ذلك: من خطر نفوذهم فيها، وحتى صار بعض رجالها الصادقين لها يرون أنفسهم مضطرين إلى الاستعانة بنفوذ بعض هذه الدول على بعض، وأما الذين احتل الأجانب بلادهم بأي صورة من صور الاحتلال وأي اسم من أسمائه فأمر منافقيهم أظهر، فهم يتقرّبون إلى الأجانب بما يضر أمّتهم، حتى فيما لم يكلفوهم إياه، ويسمون هذا تأمينًا لمستقبلهم، واحتياطًا لمعيشتهم، ولو التزموا الصدق في أمرهم كله، فلم يلقوا أمتهم بوجه والأجانب بوجه، لكان خيرًا لهم، وأقرب إلى الجمع بين مصلحة البلاد ومداراة الأجانب، ولكنه النفاق يخدع صاحبه بما يظن صاحبه أنه يخدع غيره، ويسلك سبيل الحزم لنفسه... وهو الذي يحمل بعض المنافقين الخائنين على نهب مال أمتهم ودولتهم، وإيداعه في مصارف أوروبا، لأجل التمتع به إذا دارت الدائرة على دولتهم[1].

ومن قبل الوزراء العرب في عصرنا فعل بعض قادة الأندلس فعلتهم؛ حتى

(1) راجع: تفسير المنار، 356/6، 357.

تفرقت الأندلس ووهنت وزالت.

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: سئل فقهاء غرناطة (آخر قِلاع الإسلام في الأندلس) عن عصابة من قوّاد الأندلس وفرسانهم لجؤوا إلى صاحب قشتالة (عدوهم الصليبي) واستنصروا به على المسلمين، واعتصموا بحبل جواره، وسكنوا أرض النصارى، فهل يحل لأحد من المسلمين مساعدتهم، ولأهل مدينة أو حصن أن يُؤوهم؟. (سحقًا.. سحقًا).

فأجابوا: بأن ركونهم إلى الكفار واستنصارهم بهم قد دخلوا به في وعيد قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ (المائدة:51).. فمن أعانهم فهو معين على معصية الله تعالى ورسوله ﷺ، هذا ماداموا مصرّين على فعلهم، فإن تابوا ورجعوا عمّاهم عليه من الشقاق والخلاف فالواجب على المسلمين قبولهم.

قال ابن عاشور: هذا الذي فعلوه وأجاب عنه الفقهاء هو أعظم أنواع الموالاة بعد موالاة الكفر.

وقال ابن عطية: وأمّا من تولاهم بمعتقده فهو منهم في الكفر والخلود في النار[1].

البشارة بوعد الله تعالى

ورد الله على هؤلاء المرضى عللهم الفاسدة، وقطع أطماعهم البائرة في قوله سبحانه: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ (المائدة:52).

وكلمة (عَسَى) في كلام الله تعالى وعد منه بالأمر المتحقق وقوعه عاجلاً وآجلاً؛ ليُوقن المسلمون وقوعه، فيأملونه ولا ييأسوا منه.

والمراد **بالفتح**: نصر الله للمؤمنين المجاهدين بأيديهم وجهادهم.

---

(1) راجع: التحرير والتنوير 210/6، 211.

وبالأمر من عنده: قضاؤه على علو اليهود المعتدين بكارثة ينزلها عليهم.

قال ابن عطية: ويظهر أن هذا التقسيم إنما هو لأن الفتح الموعود به مما ترتب على سعي النبي ﷺ والمؤمنين، وبسبب جدهم وعملهم، فوعدهم الله تعالى: إما بفتح بمقتضى تلك الأعمال، وإما بأمر من عنده يهلك أعداء الشرع، وهو أيضا فتح لا يقع للبشر فيه تسبب[1].

وقال أبو حيان: هذه بشارة للرسول ﷺ والمؤمنين بوعد الله لهم بالفتح والنصرة على أعدائهم[2].

وقال علماء الأزهر: هو وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين إلى يوم القيامة بأن يحقق الله لهم الغلبة على أعدائهم، والقضاء عليهم.

والمراد بالفتح الذي يأتي به الله: نصره سبحانه لرسوله ﷺ على من عاداه، وإعزاز الإسلام، وإظهار المسلمين على أعدائهم أو فتح بلاد المشركين للمسلمين.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ أو أن يأتي الله بأمر من عنده وهو القضاء على اليهود، وقطع دابرهم، واستئصال شأفتهم بقارعة تصيبهم.

والحق أن كل ذلك قد حققه الله - ولا يزال يحققه وسيحققه - للذين آمنوا بمحمد ﷺ وأيقنوا بصدق رسالته.

وكلمة (**عَسَى**) من الله وعد واجب التحقق جريًا على سنن العظماء الأكرمين: لأن الكريم إذا أطمع في خير فعله، فما بالكم بأعظم العظماء، وأكرم الأكرمين[3].

وبهذا التعبير يأمر الله تعالى المؤمنين العاملين أن يوقنوا بوعده لهم بالنصر

---

(1) راجع: البحر المحيط 520/3.

(2) راجع: نفسه.

(3) راجع: التفسير الوسيط، 1093/2، 1094.

والتحرير، ويعملوا لأجله آملين في نواله.

تأكيد البشارة

ولقد جاء الله بالفتح يومًا، وتكشفت نوايا، وخسرت فئات، ونحن على موْعد من الله قائم، بأن يجيء الفتح للمؤمنين كلما استمسكوا بعروة الله وحده، ولم يتخذوا وليًا إلا الله ورسوله والذين آمنوا، كما يقول سبحانه: في ذات السياق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: 54 -56)

وفي هذه الآيات الثلاث عبر ودروس:

1 -أن المؤمنين المجاهدين الذين يوالون الله ورسوله والذين آمنوا هم حزب الله الذين يصطفيهم الله لرعاية دينه، والجهاد في سبيله، وهم الذين يُحقق لهم وعده في الغلبة والتمكين.

2 -وأن هؤلاء المجاهدين لا يخلو منهم عصر من العصور إلى يوم القيامة.

3 -وأن الجيل الحالي من أبناء الأمة إذا لم يوال الله ورسوله والذين آمنوا، ويجاهد لنصرة الإسلام والمؤمنين فسوف ينزل الله عليه عقابه الأليم، ويأتي بآخرين من المؤمنين، الذين لا يتخذون وليًا إلا الله ورسوله والذين آمنوا، ويجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ويحقق لهم وعده، ويرفع بهم دينه.

وقد وعد الله المؤمنين هذا الوعد منذ فجر الإسلام، في قوله سبحانه في سورة الأنعام، وقد نزلت في مكة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنعام:89).

ومعناه: أن الإسلام دين الله تعالى، ولن تنطفئ جذوته، ولن تتوقَّف مسيرته، ما دام في الدنيا نفس يتردد، فإن كفر به قوم أو آمنوا به ولم يقوموا بواجب إبلاغه للناس، والدفاع عنه أتى الله بقوم آخرين يُؤمنون به وينهضون بواجب إبلاغه للناس.. والسعيد من اختاره الله للإيمان به، والنهوض برسالته.

قال الألوسي: فإن يكفر بها - أي برسالة الإسلام- هؤلاء الكافرون ومن تبعهم إلى يوم القيامة فلا اعتداد بهم أصلاً، وقد وفقنا للإيمان بها قومًا مستمرين على الإيمان بها والعمل بما فيها، والقيام بحقوقها، وفي إيمانهم بها غنية عن إيمان هؤلاء الكافرين[1].

ومصداق هذا رأيناه في عصرنا رأينا الدولة الإسلامية بعدما تفرقت أقطارها، وتحكم فيها الذين في قلوبهم مرض.. هؤلاء الذين يوالون اليهود والنصارى، وابتعدوا بالأمة عن منهج الإسلام وقادوها إلى الخسران والبوار.. ففي هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا وفق الله مجموعات كبيرة من العلماء والشباب المؤمنين العاملين في شتى أقطار الأمة لحمل الإسلام فكرًا وسلوكًا والاشتغال بالدعوة إليه، والجهاد لرفع رايته، وسجلوا ظاهرة العودة إلى الإسلام من جديد بعدما شاع اليأس منها، وانتشرت على أيديهم ثقافة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله بعدما خفت صوتها، ونشأت بهم الحركات الإصلاحية في أقطار الأمة، والحركات الجهادية في دار الحرب في "فلسطين وأفغانستان والعراق ولبنان" وغيرها.

نذكر منهم الإمام الشهيد حسن البنا في مصر، والمجاهد الشهيد عمر المختار في ليبيا،والشهيد عز الدين القسام في فلسطين، والإمام عبد الأعلى المودودي في باكستان، وأبو الحسن الندوي في الهند، وغيرهم كثير، ولا تزال المسيرة ماضية.

وسوف تستمر هذه الصحوة الإسلامية المُباركة، وتتنامى وتنتشر - إن شاء الله - حتى يحقق الله وعده للمؤمنين المجاهدين بالنصر والتمكين.

---

(1) راجع: روح المعاني 216/7 بتصرف يسير

البشارة بالوعد الثامن
اليهود يجمعون أسباب هزيمتهم

وممّا يبشر الله المؤمنين به في سورة المائدة أيضًا: أن أعداءهم من اليهود وغيرهم يجمعون في ذاتهم أسباب هزيمتهم وخذلانهم؛ فقد قطعوا صلتهم بالله تعالى، ونسبوا له سبحانه نقائص كثيرة، ويسعون في الأرض فسادًا، وحين يجمع المسلمون أسباب النصر والتمكين وينطلقون في سبيل الله مجاهدين سيمكنهم الله من هزيمتهم، وإزالة علوهم وفسادهم من أرض الإسلام.

يقول الله تعالى في شأن انحطاط اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(المائدة:64).

فمع أن الله تعالى خالق الخلق، وعطاياه تغمرهم، ولا قيام لهم إلا بفضله فإن اليهود قوم يغلب عليهم الجحود وسوء الأدب والبذاءة في حق الله تعالى، فاتهموه زورًا وبهتانًا، بالبخل، كما يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ ۘ﴾.

وقد عاقبهم الله بإفكهم هذا بعقوبتين شديدتين، وكل واحدة منهما تلازمهم وتودي بهم إلى الهزيمة بأيدي المؤمنين:

العقوبة الأولى: أن الله تعالى لعنهم، كما يقول سبحانه: (وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟)

واللعن - كما قال الراغب -: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى وتوفيقه على سبيل السخط[1].

ومن يلعنهم الله لا يكونون إلا مخذولين مهزومين، ولا يجدون من دون الله وليًا ولا نصيرًا، كما يقول سبحانه في شأنهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن

(1) راجع: مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني.

﴿ تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ (النساء:52).

قال الشيخ محمد أبو زهرة: فلن تجد للملعون الذي طرده الله من رحمته نصيرًا ينصره من الناس، و(لن) هنا لتأكيد النفي.. قال الزمخشرى: إن لن تفيد تأكيد النفي أبدًا أي أنهم لن ينصرهم الله، ولن يجدوا أبدًا نصيرًا من الناس تستمر نصرته، وإذا استطاعوا أن يستنصروا بأمثالهم في هذه الأيام فإن الخذلان والهزيمة وراءهم - إن شاء الله تعالى -، وهم أشد مقتًا عند الله وعند الناس هذه الأيام، كما كانوا في كل ماضيهم، والله المنتقم الجبار، وقد أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين بأنهم إذا كان لهم أحيانًا نصيب من الملك، فهو غير مستقر ولا دائم، وسيكون ظلمًا كبيرًا للناس ولا يرضى لعباده أن يستمر فيهم ظلم[1].

العقوبة الثانية: وألقى بينهم العداوة والبغضاء

وألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (المائدة: 64).

فلن تتوافق قلوبهم على حق أبدًا، وسيظلون متباغضين متعادين مفترقين إلى يوم القيامة كما ذكرناه في قول الله تعالى: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر: 14).

ولعنة الله عليهم، وإلقاؤه العداوة والبغضاء بينهم لا استثناء فيه، فهو مستمرٌ فيهم - في كل أجيالهم وعصورهم وأماكنهم - إلى يوم القيامة؛ مما يُوقعهم في الضعف والهزيمة بأيدي المؤمنين.

ولا يجوز للمؤمنين أن يخدعهم هذا التوافق والتساند بينهم في عصرنا؛ فهو في ظاهر أمرهم؛ وقد أملته عليهم المصالح؛ وخاصة في معاداتهم المؤمنين، ويوم أن يلتزم المؤمنون بإسلامهم، وينتبهوا من غفلتهم، وتكون لهم القوة والغلبة،

(1) راجع: زهرة التفاسير 1715.

سيرونهم على حقيقتهم في العداوة والبغضاء والتفرق فيما بينهم، كما يخبرنا الله تعالى عن حالهم.

البشارة بوعد الله:

ولهذا يقول الله تعالى مبشرًا المؤمنين بوعده لهم: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة:64).

وكل من كلمتي (**كُلَّمَا.. وَيَسْعَوْنَ**) تُفيد تجدد واستمرار سعيهم الدؤوب للإفساد في الأرض، وإشعال نار الفتن والحروب، وكلما خاب سعيهم مرة سعوا مرة أخرى، وهكذا كأنها فطرة فيهم تلازمهم، ولا تفارقهم إلى يوم القيامة.. والله وراءهم بالمرصاد يضل مكرهم، ويخيّب سعيهم.. فكلما أوقدوا نارًا للحرب[1]، أطفأها سبحانه بأيدي المؤمنين، فإنه سبحانه لا يحب المفسدين.

ولهذا اعتبر العلماء هذه الآية بشارة بوعد الله للمؤمنين المجاهدين بالنصر على اليهود المفسدين.

قال السدي: كلما أجمعوا أمرهم على شيء يكيد المؤمنين فرقه الله، وأطفأ حدهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب[2].

---

(1) الحرب ضد السلم، وليست مرادفة للقتال، فالقتال أخص، والحرب أعم منه وأشمل، فالإخلال بالأمن، وإثارة الفتن والنزاعات والإغراء بالقتال ونحوه، هو نار الحروب التي يشتغل اليهود بإشعالها، ولهذا سمى الله تعالى قطع الطريق واغتصاب الأموال محاربة لله ورسوله كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:33).

(2) راجع: جامع البيان للطبري 324/6، رقم 12171.

وقال الألوسي: هذا تصريح بما أشير إليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه إلى المسلمين[1].

وذكر السيد محمد رشيد رضا: أن الآية بشارة للمؤمنين بأن الله يخذل اليهود في كل ما يكيدون به للمؤمنين الصادقين، فإما أن يخيبهم ولا يتم لهم ما يسعون إليه من الإغراء والتحريض، وإما أن ينصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، وكذلك كان - وسيكون إن شاء الله - وصدق الله وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده[2].

* * *

(1) راجع: روح المعاني 183/6.

(2) راجع: تفسير المنابر 379/6... في ظلال القرآن 929/2، 930.

البشارة بالوعد التاسع
ليُظهرن الله المؤمنين على اليهود المعتدين

ومن أظهر الآيات التي تحمل للمؤمنين البشارة الإلهية بالنصر على أعدائهم والتمكين والعلو في الأرض من بعدهم، هذه الآيات التي نزلت في المدينة، بعدما أذن الله لهم بالجهاد العسكري.. يقول الله تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(الصف: 8، 9).. ويقول سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:32، 33)[1].

هذه الآيات من السورتين (الصف والتوبة) نزلت في المدينة، وهي تحمل للمؤمنين العاملين بيانًا وبشارة من الله تعالى:

أولاً: البيان:

1 -فالآيات تبين للمؤمنين العاملين أن الذين كفروا وخاصة من أهل الكتاب[2] هم أعداؤهم التاريخيون، وأنهم لا يكفون عن عدائهم وكيدهم لهم، بالسيف حينًا، وباللسان أحيانًا أخرى، ولا يفترون ولا يملّون؛ طمعًا في إطفاء نور الإسلام، إما بارتداد المؤمنين عنه، وإما بالقضاء عليهم، كما يقول الإمام محمد عبده: خنق دعوة الإسلام وحصْد نبتته[3].

---

(1) نزلت سورة الصف قبل سورة التوبة، كما رتبناها (البرهان 193/1)

(2) ضمير الجماعة في قوله سبحانه: (يريدون.. يطفئوا) في السورتين يعود إلى اليهود والنصارى، فسياق الحديث قبل الآيات في شأنهم، وهما أقرب مذكور لهذا الضمير

(3) راجع: تفسير المنار 335/10.

أجل، قد تخبو عدوتهم للإسلام والمسلمين يومًا، وقد يُهادنون المؤمنين حينًا، لكن ليعدوا العدة لقتالهم، ويتحينوا الفرصة للانقضاض عليهم.

هذه حقيقة الحقائق التي يبينها الله تعالى في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ وقوله (يُرِيدُونَ) تعبير عن إرادتهم المكنونة في أنفسهم التي لا يراها المؤمنون إلا في عدائهم الظاهر، الذي يتجدد في كل أجيالهم وعصورهم؛ مما يدل على أن عداءهم هذا أصيل وثابت في نفوسهم، لا يفارقهم في كل عصورهم وأجيالهم وأماكنهم.

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بيان عن هدفهم الحقيقي من هذا العداء، وهو إطفاء نور الإسلام من الدنيا، إما بارتداد المؤمنين عنه، وإما بالقضاء عليهم كما ذكرنا.

2 -وهم يعتمدون لتحقيق هدفهم هذا على سلاحين اثنين:

الأول: اللسان: بتكذيب الإسلام، والتشكيك في سلامة عقيدته، وعدالة شريعته، وبث البدع والخرافات في مجتمعه، مما يشوهه في نفوس المؤمنين من ناحية، ويصد الناس عنه من ناحية أخرى.

قال ابن حجر: يريدون إبطال شأن الإسلام وإخفاء ظهوره بكلامهم وأكاذيبهم[1].

الثاني: مقاتلة المؤمنين بأيديهم، كلما استطاعوا إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه بصيغة التجدد والاستمرار: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البقرة: 217).

وكل من الأمرين يصح التعبير عنه بإرادة إطفاء نور الله تعالى؛ لأنه تمثيل

(1) نقله الآلوسي في روح المعاني 88/28.

لحالهم معه[1].

البشارة بوعد الله:

ومع هذا تحمل الآيات للمؤمنين العاملين البشارة بوعد الله بظهور الإسلام وعلوه على كل الأديان، وانتصارهم وعلوهم على المعتدين عليهم من اليهود وغيرهم، ويبين ذلك ما يلي:

1 -أن الله تعالى نسب الإسلام إلى ذاته المقدسة في قوله ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ ودين الله أعلى وأجل من أن ينال منه هؤلاء المعتدون ولو اجتمعوا له.

و"إن" في قوله سبحانه من الآية السابقة: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ (البقرة: 217) تفيد التشكيك في قدرتهم، وبيان عجزهم عن إزالة الإسلام، وردة المسلمين عنه.

فمهما كثرت جموعهم وأسلحتهم، ومهما جمعوا أفواههم، ومهما اشتدوا في النفخ والكيد فلن ينالوا من الإسلام، ولا من المؤمنين نيلاً يستأصل وجودهم.

ولهذا، يرى كثير من العلماء أن قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ سخرية بهم، واستهزاءً بحالهم فهم بخيبة عقولهم، وضلال سعيهم كمن ينفخون بأفواههم في قرص الشمس ليطفئوا نورها، أو ليحجبوا حرارتها؛ ظنًا منهم أنهم يستطيعون ذلك، وأنَّى لهم ذلك وهم الضعفاء المهازيل؟!.

2 -ويذكر الله وعده هذا للمؤمنين صريحاً في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

3 -ويؤكده سبحانه مرة أخرى في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح:28).

وهذه الآية مستأنفة تبيّن للمؤمنين ثلاث حقائق:

---

(1) راجع: تفسير المنار 333/10.

الأولى: شهادة الله للإسلام بأنه نور الله، وأنه الهدى ودين الحق.. وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

الثانية: ومادام الأمر كذلك فهي تأكيد لوعد الله بظهور الإسلام، ونصر المؤمنين.

قال أبو حيان: أي ليجعل الإسلام أعلى الأديان كلها وأظهرها، وإن كان معه غيره كان دونه.

وهذا الفوز لا يحتاج إلى نزول عيسى عليه السلام بل كان هذا في صدر هذه الأمة، وهو كذلك باق -إن شاء الله- إلى يوم القيامة[1].

الثالثة: وظهور الإسلام ونصر المؤمنين كما يكون بالدعوة، وإقامة الحجة يكون أيضًا بالقتال، وهو المراد هنا.

قال الرازي: اعلم أن ظهور الإسلام على غيره من الأديان قد يكون بالحجة، وقد يكون بالكثرة والفوز، وقد يكون بالغلبة والاستيلاء، ومعلوم أنه تعالى بشر بذلك، ولا يجوز أن يبشر الله إلا بأمر مستقبل غير حاصل. وسيحصل.

وظهور هذا الدين بالحجة مقرر ومعلوم -منذ بدايته- فالواجب حملهُ على الظهور والغلبة[2].

4 -والوعد هنا متجدد ومستمر للمؤمنين في حاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، ولهذا جاء بصيغة التجدد والاستمرار في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ..وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

والذي ينعم النظر في الآيتين يرى: أن الوعد في سورة الصف: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أظهر في الحاضر، والوعد في سورة التوبة أظهر في المستقبل،

---

(1) راجع: البحر المحيط 34/5.

(2) راجع: التفسير الكبير، 41/16.

ولهذا أكـــده سبحـــانه بقوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ حتى لا يرتاب فيه مرتاب، ولا ييأس منه مؤمن[1].. ويجتمع منهما الوعد بظهور الإسلام ونصر المؤمنين في الحاضر والمستقبل الممتد إلى يوم القيامة.

وقد حدث هذا بالفعل، وسيحدث في المستقبل بعون الله تعالى، كما يقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد:17)[2].

و قال الألباني - تعليقاً على هذه الآية: تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزّى"، فقالت عائشة: يا رسول الله، إنْ كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33، الصف: 9) أن ذلك تامًا، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله[3]

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره بحيث لا تدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام، بإذن الله وتوفيقه[4].

وقال الأستاذ حسن البنا -: إن هذا الوعد وعد دائم متجدد وباق، وأنه سنة من سنن الله تعالى التي لا تتخلف، والتي تقررت بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الرعد:17).. ويقول

---

(1) راجع: تفسير المنار، 337/10 بتصرف.

(2) راجع: التفسير الوسيط 1694/4.

(3) أخرجه مسلم 7228 في كتاب الفتن من صحيحه وهو في صحيح الجامع 7683.

(4) راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة 31/1 رقم (1).

سبحانه تعالي: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الانبياء:18).

وقد جرت سنة الله تعالى أن كل شيء له سبب، وأن إرادته سبحانه تتحقق بأخذ العباد بالأسباب، فإذا أخذ المسلمون في أي عصر من العصور بأسباب القوة، فإن ذلك ـ ولاشك ـ إيذانٌ من الله (تبارك وتعالى) بظهور دينه على كل الأديان، وعلو شريعته على كل الشرائع في هذا العصر[1].

ولهذا يأمر الله المؤمنين في سورة الصف أن يعدوا للأمر عدته، ويهيئوا للنصر أسبابه، ويجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويعدهم سبحانه على على ذلك النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف: 13 -10).

قال الشيخ المراغي: أي ولكم على هذا فوز في الدنيا بنصركم على عدوكم، وفتحكم للبلاد وتمكينكم منها، حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاربها[2].

ويمضي السياق في ذات السورة ليبيّن للمؤمنين صدق وعد الله لهم بالنصر والتأييد في مثال عملي سبق لأسلافهم المؤمنين حينما نذروا أنفسهم لنصرة دين الله فنصرهم الله تعالى.. يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (الصف:14).

فإن اتبع المسلمون إسلامهم ونصروه فنصرهم الله كما نصر أسلافهم

---

(1) راجع: من تراث الأمام البنا، الكتاب الثالث/291.

(2) راجع: تفسير المراغي 91/28.

الحواريين.

وفي سورة التوبة يبشر الله المؤمنين بوعده، ويأمرهم أن يقولوا لأعدائهم:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾(التوبة:52).

التربص هو التمهل في انتظار ما يُرجى أو يُتمنَّى وقوعه.. أي إنكم لا تنتظرون بنا أيها اليهود ومن يعاونكم إلا أحسن ما نرجوه ونسعى إليه في المستقبل القريب أو هو إحدى الحسنيين: إما النصر والسيادة، وإما الموت والشهادة،والنبي ﷺ يقول: « تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[1].

ونحن ننتظر باليهود المعتدين أسوأ ما يكرهونه ويخافونه ويفرون منه: أن يصيبهم الله بعذاب من عنده بأيدينا نحن المؤمنين في قتال يمكننا الله فيه من هزيمتهم، وإزالة دولتهم، كما يقول سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾(التوبة:14).. أو بالكوارث والنوازل التي يُنزلها الله بهم، كما يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الرعد:31).

أليس في هذا بشارة للمؤمنين المجاهدين بوعد الله لهم بالنصر على اليهود المعتدين وتمكينهم في الأرض من بعدهم؟.

وأختم الكلام في هذا الوعد بكلمة طيبة للأستاذ سيد قطب - قال: وقد صدق الله وعده، فقد ظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله؛ فدانت له معظم الرّقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من

---

(1) صحيح .. أخرجه البخاري تر برلخ تر ، ومسلم 1876 ، وغيرهما عن أبي هريرة .

الزمان، ثم زحف زحفًا سلميًا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقية، حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية الأولى، ولا يزال يمتد بنفسه دون دولة واحدة -منذ أن قضت الصهيونية الدولية، والصليبية الدولية على الخلافة الأخيرة في تركيا على يدي البطل الذي صنعوه -وعلى الرّغم من كل ما يرصد له في أنحاء الأرض من حرب وكيد، ومن تحطيم للحركات الإسلامية الناهضة في كل بلد من بلاد الإسلام على أيْدي أبطال آخرين من صنع الصهيونية الدولية والصليبية الدولية على السواء.

وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها، ظاهرًا بإذن الله على الدين كله؛ تحقيقًا لوعد الله، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل[1].

* * *

(1) راجع: تفسير "في ظلال القرآن"، في تفسير الآية الكريمة.

البشارة بالوعد العاشر
نصر المؤمنين على اليهود المعتدين

وفي القرآن الكريم مبشرات ووعود قرآنية عامة بنصر المؤمنين المجاهدين، غير ما ذكرناه، وهي كثيرة كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج:38).

قال الرازي: هذه الآية بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم[1].

والشرط المطلوب من المؤمنين: أن يكونوا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حقًا.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(الروم:47).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾ (الصافات: 171 -175).

وفي هذه الآيات نرى أن الله قضى (ولا راد لقضائه) ووعد(**ولن يُخلفَ وَعدَهُ**) أن ينصر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويرزقهم الغلبة على أعدائهم، وأكد سبحانه ذلك بأداة التأكيد المتكررة في الآيات (**إنّ**).

قال الرازي: يبين سبحانه أن وعده لرسله ولجنوده المؤمنين بالنصر والغلبة قد تقدم -أي سبق به القضاء -والدليل عليه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ (المجادلة:21).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ (غافر:51).

وأما النصر والغلبة فقد تكون بقوة الحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء، وقد تكون بالدوام والثبات، فالمؤمن -وإن صار مغلوبًا في بعض الأوقات بسبب ضعف

---

(1) راجع: التفسير الكبير 39/23.

أحوال الدنيا لديه فهو الغالب -في باقي الأوقات[1].

وقال الألوسي: وظاهر السياق يقتضي أن غلبة المؤمنين في الدنيا، وأنه بطريق القهر والاستيلاء والنيل من الأعداء، إما بقتلهم أو تشريدهم أو إجلائهم عن أوطانهم أو استئسارهم، ونحو ذلك... والجملتان دالتان على الثبات والاستمرار.

واستمرار الغلبة للجند مشروط بما تشعر به الإضافة "جندنا" فلا يُغْلَب أتباع المرسلين في حرب إلا لإخلالهم بما تشعر به الإضافة بميل ما إلى الدنيا، وضعف في التوكل على الله تعالى أو نحو ذلك[2].

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات: 175) أي حين يهزمهم الله، وينزل عليهم بأسه بأيدي المؤمنين المجاهدين، فضلا عمَّا ينتظرهم من عذاب الله في الآخرة.

قال الرازي: والمراد من الأمر المشاهد بأبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة: الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة، وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك[3].

وقال الشوكاني: وهذا الوعد لجند الله المؤمنين بالنصر والغلبة، لا ينافيه انهزامهم في بعض المواطن، وغلبة الكفار المعتدين لهم، فإن الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الأعداء وغلبتهم لهم، وخرج الكلام مخرج الغالب، على العاقبة المحمودة لهم على كل حال، وفي كل موطن، كما يقول سبحانه: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: 128)[4].

---

(1) راجع: التفسير الكبير 172/26.
(2) راجع: روح المعاني 156/23.
(3) راجع: التفسير الكبير 172/26.
(4) راجع: فتح القدير 583/5.

وعد الله بهزيمة الكافرين المعتدين.

ويُكْمُل الله وعده للمؤمنين بالنصر والتحرير، وإحباط كيد اليهود المعتدين، ورد عدوانهم، وإنزال الهزيمة بهم، وإزالة دولتهم بأيدي المؤمنين ـ والله سبحانه لا يخلف الميعاد ـ كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:36).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (المجادلة:5).

وقوله سبحانه: (**كُبِتُوا**) بمعنى سيُكبتون أي سيُعذبون ويهلكون بالهزيمة بأيدي المؤمنين في الحاضر وفي المستقبل.

قال المراغي: وفي هذا بشارة للمؤمنين بظهورهم على عدوهم ونصر الله لهم[1].

وقال الشوكاني: وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي "كبتوا" تنبيها على تحقق وقوعه في المستقبل كما تحقق وقوعه في الماضي[2].

ذكر القرطبي قول مقاتل: قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولها رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم.

فقال رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول: أتظنون فارس والروم مثل القرى التي غلبتم عليها؟. والله إنهم لأكثر عددًا، وأشد بطشًا من أن تظنوا فيهم ذلك[3].

وعندئذ أنزل الله تعالى تأكيد وعده للمؤمنين بالنصر والتحرير، في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:20، 21).

---

(1) راجع: تفسير المراغي 8/28، 9.

(2) راجع: فتح القدير 264/5 بتصرف يسير.

(3) راجع: الجامع لأحكام القرآن 6721/10، 6722.

قال عطاء: (**الأذلين**) يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة[1].

وكلمة (لَأَغْلِبَنَّ) محاطة بالتوكيد في أولها بالقسم وفي نهايتها بنون التوكيد الثقيلة؛ زيادة في توكيد وعده سبحانه للمؤمنين بالنصر والغلبة.

قال المراغي: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي قضى الله وحكم في أم الكتاب (اللوح المحفوظ) بأن الغلبة بالحجة والسيف وما يجري مجراهما تكون لله ورسله، ومن بعدهم النبي محمد ﷺ ثم تكون لأتباعه من بعده ما داموا على سنته، محافظين على الحدود التي أمروا بها، وجاهدوا عدوهم جهادًا خالصًا لله تعالى على نحو جهاد الرسل، لا لطلب ملك وسلطان ولا لطلب دنيا ومال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي إن الله الذي له الأمر كله قوى على نصر رسله والمؤمنين، ولا يغلب على مراده، فمتى أراد شيئًا كان ولم يجد معارضًا ولا ممانعًا، كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس:82، 83)[2].

كل هذه الآيات ونحوها تبشر المؤمنين المجاهدين بوعد الله لهم بالنصر على اليهود المعتدين، وتحرير فلسطين من احتلالهم إلى غير رجعة.

وفي مثلها يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:55).

ويقول سبحانه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:6).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ (فاطر:5).

ويقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر:77).

---

(1) راجع: فتح القدير 5/275.

(2) راجع: تفسير المراغي 28/ 26، 27.

الفصل الثالث
حتميّة زوال إسرائيل
في
ضوء السنة النبوية

تمهيد

1 ـ أما أحاديث النبي ﷺ المبشرة بنصر المؤمنين العاملين على أعدائهم في مستقبلهم فكثيرة... وكلها تخبر بأمور غيبية تتعلق بمستقبل المؤمنين في مواجهة أعدائهم، وكلها تخبر بنصر المؤمنين العاملين.

وهذه لا يقولها الرسول ﷺ من عند نفسه، فهو لا يعلم الغيب بذاته، والله وحده عالم الغيب، كما يقول سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (النمل:65).

وإنما يخبر الله تعالى رسوله ﷺ بها، وبما شاء من أمور الغيب؛ تصديقًا لنبوته، وتثبيتًا للمؤمنين، وتبشيرًا لهم بما ينتظرهم من خير إذا أحسنوا العمل بإسلامهم، وإنذارًا لهم بسوء العاقبة إذا ابتعدوا عن العمل به، والله تعالى يقول: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: 26، 27).

2 ـ ولهذا فنحن المؤمنين نؤمن بصدق هذه الوعود المستقبلية، ونوقن بوقوعها، بأيدينا أو بأمر من عند الله سبحانه، كما أخبر بها رسول الله ﷺ.. وقد تحقق بعضها، وبقي بعضها نترقب وقوعه، في موعدها الذي قدره الله لها؛ فما كذب الله رسوله ﷺ وما كذبنا رسول الله ﷺ.

3 ـ ونذكر في هذا الفصل عددًا من هذه الأحاديث بما يكفي لبيان وعد الله للمؤمنين بالنصر والتحرير والتمكين.

البشارة بالوعد الأول
عودة الخلافة الإسلامية الراشدة

دوام الحال من المُحال؛ كما يقول ربنا سبحانه : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:140).

فكما تفرّق المسلمون بعد وحدتهم، وكما ضعفوا بعد قوتهم، سيتحدون وتعود لهم دولتهم وقوّتهم مرة أخرى، وكما تسلط عليهم اليهود وعبيدهم واحتلوا أرضهم ستعود لهم الغلبة والقوة عليهم، ويحرّرون أرض الإسلام من رجسهم وفسادهم - إن شاء الله - هذا وعد الله للمؤمنين، ولن يخلف الله وعده.

عن حذيفة بن اليمان 3 قال: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ،ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ» ، ثُمَّ سَكَتَ ﷺ [1].

1 -والملك العاض أو العضوض هو الذي يصيب الناس بالظلم والعسف،كأنه أنياب تعضهم في حياتهم ومعاشهم، وهو أشبه شيء بالحكم الملكي في عصرنا.

والملك الجبري هو القائم على الاستبداد في الحكم والجبروت والطغيان على الناس، وهو أشبه شيء بالحكم الجمهوري في عصرنا.

---

(1) حسن... أخرجه أحمد 356/30، برقم 18406، واللفظ له، والطيالسي في مسنده 438، والهيثمي في مجمع الزوائد 341/5 برقم 8960، وعزاه للبزّار والطبراني في الأوسط، ووثق رجاله.

2 -على أن مرحلة الحكم العضوض على ما فيها من عيوب كثيرة أضرَّت بالأمة لم تكن كلها شرًا مطلقًا، بل تخللها خير كثيرٌ انتفعت به الأمة.. ففيها مع ذلك كثيرٌ من الفتوحات الإسلامية التي نشرت الإسلام في أرجاء الأرض.

وتخللها مراحل مباركة في الحكم والسياسة، مثل: مرحلة عمر بن عبد العزيز في الدولة الأموية، ومرحلة هارون الرشيد في الدولة العباسية، ومرحلة صلاح الدين الأيوبي فيما بعد، وغيرهم كثير.

وازدهرت فيها الحركة العلمية للأمة ازدهارًا كبيرًا، فكان منها الفقهاء والمحدّثون والمؤرّخون والأدباء وعلماء الطب والرياضيات والجغرافيا والفلك، وغيرهم.

وكان المجددون يظهرون في الأمّة بين حين وآخر، فرادى وجماعات؛ ممّا كان له تأثيره الإيجابي على حركة الحياة والأحياء، كما يأتي في الحديث التالي.

3 ـ والحديث على كل حال يبشر المؤمنين العاملين بزوال عهود الاستبداد والظلم والطغيان، وعودة الخلافة الإسلامية الراشدة التي تعيد للأمة وحدتها وحريتها ورشدها ونصرها.

4 ـ وهذا يلزم منه عودة الوحدة والقوة للأمة الإسلامية كما كانت، وعندئذ لا تقبل الأمة الاعتداء عليها، كما لا تقبل احتلال أرضها، بل ستجاهد وتعمل لتحرير أرضها المحتلة في فلسطين وغيرها، وتفتح البلاد للإسلام كما كانت في سابق عهدها.

* * *

البشارة بالوعد الثاني
ظهور المجدّدين

وفي حديث آخر يبشر النبي ﷺ المؤمنين العاملين بوعد الله لهم بالنصر على أعدائهم والتمكين في الأرض إلى يوم القيامة، وأنهم كلما تعثروا أو ضعفوا أو تغلب عليهم أعداؤهم قيّض الله لهم كل مئة سنة مَن يُجدد لهم إسلامهم، ويعيد لهم قوتهم، وينهض بهم، ويقودهم إلى الجهاد والنصر والتمكين في الأرض.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» [1].

ويتبيّن هذا الوعد المذكور في العناصر الآتية:

أولاً: معنى البعث:

قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ". يعني: أن الله تعالى هو الذي يختار لها المجدد، ولا يختار سبحانه إلا من هو أهل للقيام بالتجديد، وهو أعلم بمن يختار لدينه ولأمته، كما يقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام:124).

ويكون معنى بعثه: تهيئة الأسباب المواتية، وإتاحة الظروف الملائمة لظهوره، وظهور حركة التجديد للإسلام، والإحياء للأمة، وفق سنن الله تعالى التي لا تتبدل.

فليس معنى بعث المُجد إذن إظهار المجدد بخارقة من خوارق العادات، فيهبط من السماء فجأة، أو تنشقُّ عنه الأرض بغتة؛ لتغيير ما بالناس، وإن لم يغيروا ما بأنفسهم[2].

---

(1) صحيح... أخرجه أبو داود 4291، والحاكم 568/4، برقم 8593 الخطيب في تاريخ بغداد 59/2، رقم 454، وهو في صحيح الجامع 1874، والأحاديث الصحيحة برقم 364.

(2) من أجل صحوة راشدة 20.

ثانيًا: من يقوم بالتجديد؟.

و"من" في الحديث تصلح للجماعة كما تصلح للفرد، يعني أن المُجدد الذي يقوم بالتجديد قد يكون فردًا ذا همَّة، وقد تكون جماعة عاملة، كل فرد منها يقوم بالتجديد في مجال علمه وعمله، وخاصة أن الفرد مهما أوتي من مواهب وقدرات على العطاء والتجديد محدود الطاقة والقدرة والعطاء، بخلاف الجماعة العاملة بالتجديد، ولهذا وصف الله تعالى الهداة إلى الحق بأنهم أمة، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾(الأعراف:181).

ثالثًا: ماذا يعني رأس المئة؟

وقوله ﷺ: «**على رأس كل مئة سنة**»... لا يعني التجديد بالسنة الأولى بعد المئة، إنما يعني -كما ذكر الطيبي والكرماني: انقضاء المئة وبداية المئة التالية والمجدد عالم مشهور ومشار إليه، وقائم بالتجديد.

بل ذكر المناوي أنه قد يكون في أثناء المائة من هو كذلك، بل قد يكون أفضل من المبعوث على رأس المائة... وأن تخصيص رأس القرن إنما هو لكونه مظنة انخرام علمائه غالبًا، وظهور البدع، ونجوم الدجالين (أي ظهور الكذابين)، فيحتاج إلى تجديد الدين[1].

وهذا كلام وجيه، فقد يتخلل المئة من العلماء وولاة الأمر المجددين من هم أكثر قدرة على التجديد والإحياء ممن هم على رأس المئة.

ولهذا قال بعض العلماء: إن قيد الرأس اتفاقي، وأن المراد أن الله تعالى يبعث في كل مئة سنة، سواءً كان في أول المئة، أو في وسطها، أو في آخرها[2].

---

(1) فيض القدير 12/1.

(2) عون المعبود 262/11.

رابعًا: معنى التجديد:

ومعنى التجديد في الحديث ليس إنشاء إسلام جديد لا يعرفه القرآن والسنة، إنما هو العودة بالإسلام إلى عهده الأول... إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد.

وذلك بإزالة ما علق به من بدع إضافية، أو بإعادة ما تركه المسلمون من فرائضه، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله.. إلخ.

قال المناوي: التجديد يعني: أن يجدد ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن.. فيُبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله ويكسر أهل البدعة[1].

وقال في مجالس الأبرار: والمراد من تجديد الدين للأمة: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما[2].

خامسًا: محل التجديد:

ومعنى هذا أن التجديد كما يكون في الحركة العلمية كالفقه والتشريع ونحوه، يكون في الأمور العملية كالقيادة والعسكرية، بما يجدد للأمة قواها العملية والعسكرية فكرًا وسلوكًا، ويدفعها إلى الجهاد في سبيل الله لحماية ثرواتها، وتحرير أرضها، ونصرة الإسلام ونشره في أرض الله.

ولهذا ذكر العلماء أن التجديد يكون في كل فن، وفي كل أمر، ولا يختص بالفقه وحده، فإن انتفاع الأمة بأولي الأمر في الحكم والتوجيه والجهاد

---

(1) فيض القدير 10/1 – 281/2، 282.

(2) عون المعبود شرح سنن أبي داود 263/11، ط، دار الفكر.

أظهر وأقوى، ولهذا عد العلماء عمر بن عبد العزيز مجدد المئة الأولى، وهو من أهل الحكم، حيث أقام سنن العدل، وأبطل تقاليد الجور.

ورأينا عالمًا مثل الشيخ عبد المتعال الصعيدي - كتب كتابًا[1] جمع فيه عددًا من المجددين في قرون الأمة في مجالاتها المختلفة فذكر منهم الخلفاء الراشدين الخمسة في القرن الأول الهجري، والمأمون العباسي ابن هارون الرشيد (ت 218هـ/833 م) في القرن الثاني الهجري، والواثق العباسي (ت 222هـ/ 846م) في القرن الثالث الهجري.. وسليمان القانوني (ت 930هـ/1533م)، عاشر خلفاء الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري، وكلهم من أهل الحكم والقيادة.

وذكر منهم الإدريسي في علم الجغرافيا.. وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الأندلسي المصري (ت 808 هـ / 1405م) واختراعه علم الاجتماع البشري، وتأريخه للحضارة البشرية بصفة عامة، وللحضارة الإسلامية بصفة خاصة. وغيرهم كثير.

وفي القرن الخامس عشر الهجري أرى حركة التجديد قد نشطت في علوم كثيرة، على يد عدد من العلماء الوعاة، مثل: سيد قطب، وعبد العزيز بن باز، وأحمد شاكر، ومحمد ناصر الدين الألباني، ومحمد أبو زهرة، وسيد سابق، ومحمد الغزالي (رحمهم الله جميعًا)، ويوسف القرضاوي ومحمد عمارة (حفظهما الله) وغيرهم، كل منهم في مجال علمه.

وبقي التجديد في مجال الحكم والقيادة لإعادة فرائض الإسلام المتروكة، وأهمها فريضة الجهاد في سبيل الله؛ لتعود الأمة إلى شبابها، فتحرّر أرضها،

---

(1) المجددون في الإسلام، ط، مكتبة الآداب بمصر.

وتزيل دولة اليهود من فلسطين.

وأرى هذا التجديد والإحياء قريبًا إن شاء الله، وقد ظهرت أمامي تباشيره، فالصحوة الإسلامية آخذة في الصعود، ومهما حاولوا إخماد جذوتها، أو إيقاف مسيرتها فلن يفلحوا إذًا أبدًا... إنها حركة التجديد الإحيائي.. قادمة.. قادمة ولو ببطء، حتى تصل إلى الحكم والقيادة عاجلاً أو آجلاً، وعندها يتحقق وعد الله للمؤمنين العاملين بزوال دولة اليهود من فلسطين إلى غير رجعة[1].

وإذا قام المؤمنون العاملون بواجبهم في الإعداد للجهاد، واستجماع أسباب النصر، وصبروا وصابروا مهما كانت المعوقات والمتاعب رزقهم الله النصر والفتح والتمكين.

وفي تقديري حسب هذا الحديث أن هذا ـ والله أعلم ـ يكون في الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الهجري ــ إن شاء الله ــ فإنهم أقاموا إسرائيل 1948م/1367هـ، ومِنْ ثَمَّ تزول هذه الدولة اليهودية الثانية (إسرائيل) بعد عام 1468هـ تقريبًا، وقد تزيد على القرن الخامس عشر الهجري قليلاً لكن لا تتجاوزه كثيراً ـ إن شاء الله ـ.. اللهم إلا إذا حدثت أمور غريبة على الأمة لم تكن

---

(1) أرى أبناء الصحوة الإيمانية الآن يصعدون إلى مراكز القيادة وصناعة القرار، مثلما حدث في تركيا، حيث تبوأ حزب العدالة والتنمية وقادته (عبد الله جول، ورجب طيب أردُغان) قيادة تركيا بعد أن طغت عليها العلمانية عشرات السنين.. وفي فلسطين اختار الشعب الفلسطيني قادته من أبناء الصحوة الإسلامية، مُمثلين في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وفي الصومال يتصاعد التيار الإسلامي للوصول إلى الحكم ومراكز صناعة القرار.. إلخ.

وفي صفر 1432هـ/ ديسمبر 2010م.. وفي يوم الثلاثاء 21 من صفر الخير عام 1432هـ الموافق 25 من يناير 2011م نجح الشعب المسلم في تونس ومصر من إزالة الطاغوت عن زمام السلطة، وأماكن صناعة القرار، ورفع شعاره الذي يجب أن يجعله منهج عمل: (الشعب يريد الوحدة الإسلامية).. (الشعب يريد تحرير فلسطين).. وهذه بشائر على طريق النصر.. أسأل الله تعالى أن تجد من المؤمنين مَنْ يُحول هذه الشعارات إلى عمل، ولا يجعلها كلامًا للاستهلاك الشعبي.. اللهم آمين.

في حُسْبانها، بأن توضع عراقيل شديدة في طريق صحوتها الإسلامية، أو عملت دسائس الأعداء عملها بين المؤمنين؛ فتخاذلوا وتركوا واجبهم في الجهاد والإعداد له، واستسلموا لليأس والخذلان، وعندئذ يتأخر ظهور التجديد والتحرير إلى حين.. نعم إلى حين فقط، فسريعًا ما تعود الأمة إلى رُشْدها، وتقوم بحركة التجديد والإحياء.. ومِنْ ثَمَّ تنهض بجهادها وتُحرير أرضها .

البشارة بالوعد الثالث
المجاهدون المنصورون

ومن البشارات الإيمانية التي يجب أن يَعيَها المؤمنون ما بَيّنه النبي ﷺ: أن الجهاد لإعلاء الإسلام ماضٍ إلى يوم القيامة ولن ينقطع، وإن تخلفت عنه طائفة من المؤمنين قامت به طائفة أخرى؛ حتى يرزقها الله النصر والتمكين في الأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾(الأنعام:89).

وفي ذلك روى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»[1].

قَالَ مُعَاذ بن جبل رضي الله عنه: وَهُمْ بِالشَّامِ[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ، يَرْفَعُ اللَّهُ قَوْمًا وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"هُمْ أَهْلُ الشَّامِ"[3].

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: إِنِي سَئِمْتُ.. أو أَسَمْتَ (تركت) الْخَيْلَ، وَأَلْقَيْتُ السِّلاَحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وقُلْتُ: لاَ قِتَالَ.

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري 71، 3641، والطحاوي في شرح المشكل 1683، ومسلم وأحمد وغيرهم كما في صحيح الجامع، 7290، عن عدد من الصحابة، كما في صحيح الجامع، من رقم 7287: 7296.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري، 3641.

(3) صحيح... أخرجه أبو نعيم في الحلية 319/9، رقم 14003، واللفظ له، والبخاري في التاريخ الكبير 248/4، وغيرهما.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ع وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلاَ إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟.

قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» [2].

و(الطائفة.. والعصابة) تعني الجماعة من الناس بغير حد في العدد، كما قال الفيروزبادي: الطائِفَةُ الواحِدُ فَصاعِداً [3].

وذكر العسكري في الفروق: أَن الطَّائِفَة فِي الأَصْل الْجَمَاعَة الَّتِي من شَأْنهَا الطوف فِي الْبِلَاد.. وَيجوز أَن يكون أَصْلهَا الْجَمَاعَة الَّتِي تستوي بهَا حَلقَة يُطَاف عَلَيْهَا ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى سميت كل جمَاعَة طَائِفَة [4].

وكلمة طائفة أو عصابة يُراد بها تعظيم شأن هذه الطائفة المنصورة في القوة والنصر والتمكين، وإن قل عددها وعتادها؛ حيث أن فيهما معنى القوة والترابط

---

(1) صحيح... أخرجه أحمد 16965، والنسائي في الكبرى 4401، والطبراني في الكبير 6358، وغيرهم... ومعنى أسمت الخيل: أي تركتها تسوم أي ترعى... ومعنى يزيغ قلوب أقوام: أي يميل عليهم قلوب أعدائهم فيقاتلونهم، ويرزق الله المؤمنين النصر عليهم، والغنيمة منهم.
ومعنى "عقر دار المؤمنين"أي أصلها المجاهد.

(2) صحيح... أخرجه أحمد 22320، والطبراني في الكبير 7643، وفي مسند الشاميين 860، والألباني في الأحاديث الصحيحة 270 (1/540)، وغيرهم.

(3) راجع: القاموس المحيط (1 / 833).

(4) راجع: الفروق اللغوية للعسكري (1 / 278).

والتلاحم والتعاون، واتحاد الهدف، وقيادة واحدة، كما في قوله ﷺ : (على الحق، أو على أمر الله).

قال السندي : الطَّائِفَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَالتَّكْثِيرُ لِلتَّقْلِيلِ أَوِ التَّعْظِيمِ لِعِظَمِ قَدْرِهِمْ وَوُفُورِ فَضْلِهِمْ وَيَحْتَمِلُ التَّكْثِيرُ أَيْضًا فَإِنَّهُمْ وَإِنْ قَلُّوا فَهُمُ الْكَثِيرُونَ فَإِنَّ الْوَاحِدَ لَا يُسَاوِيهِ الْأَلْفُ بَلْ هُمُ النَّاسُ [1].

هذه الأحاديث تبشر المؤمنين بعدة وعود نوجزها فيما يلي:

1ـ أن الأمة الإسلامية باقية ولن تموت إلى يوم القيامة، وأن الخير باق فيها، ولن ينقطع عنها إلى يوم القيامة، فلن تخلو من قائم لله بالحجة، ومستمسك بالمحجة، وناصر للإسلام إلى يوم القيامة.

2 ـ وأن الحرب بينها وبين أعدائها من اليهود ومن يعاونهم مستمرة ومتجددة إلى يوم القيامة، كلما خمدت حرب نشبت حرب أخرى كما يفهم من رواية أبي هريرة: «تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ».

3 ـ قد يتخاذل بعض المسلمين، لكن تبقى طائفة منهم ـ قلّت أو كثرت ـ قائمة على دين الله تعالى، تجاهد لأجله، ولا يثنيها عن الجهاد ما أصابها من متاعب.

نعم، قد يصيبها أذى من أعدائها، أو من بعض المسلمين المتخاذلين، بترك نصرتها حينًا، أو باضطهادها وموالاة أعدائها حينًا آخر، لكنها لا تتأثر بذلك، وتبقى ثابتة على دينها وجهادها لأجله، كما جاء في رواية أبي إمامة:

(لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ

---

(1) راجع : حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1 / 7) .

ويُؤيد هذا أن كلمة (عصابة)تعني القوة .. قال الفيروزبادي : وتَعَصَّبَ: شَدَّ العِصابَة، وأتَى بالعَصَبِيَّةِ، وتَقَنَّعَ بالشيءِ ورَضِيَ به، كاعْتَصَبَ به. (راجع : القاموس المحيط 1 / 115) .

كَذَلِكَ).

قال السندي : (خالفهم.. وخذلهم) أَيْ لَمْ يُعَاوِنْهُمْ وَلَمْ يَنْصُرْهُمْ مِنَ الْخَلْقِ فَإِنَّهُمْ مَنْصُورُونَ بِاللَّهِ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل: 128) أَيْ فَلَا يَضُرُّهُمْ عَدَمُ نَصْرِ الْغَيْرِ لهم [1].

4 ـ وهذه الطائفة لا ينحصر عملها في القتال وحده بل تعمل في كل مجالات الحياة التي تستجمع بها شروط النصر، كعلوم الشريعة والزراعة والصناعة وغيرها، والله تعالى يقول: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**) (الكهف:30).

وعمل الصالحات يشمل كل أعمال الخير والجهاد التي تبقي الأمة عالية منصورة، ولهذا قال الإمام النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآخرون آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأمة[2].

وأحسب أن هذه الطائفة المجاهدة هي التي يعنيها الله تعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:54).

---

(1) راجع : حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1 / 7) .

(2) راجع شرح النووي لصحيح مسلم 69/13 تحت رقم4927 .

ولهذا أتمنى من إخواني أبناء التيار الإسلامي العامل (مدرسة الإخوان المسلمون .. ومدرسة السلفية .. ومدرسة الجماعة الإسلامية في مصر وباكستان، وغيرها) أن يكون اختلافهم اختلاف تنوع وتخصص في وسائل العمل ، لا اختلاف تضاد وتعادي في الهدف .. أي يجعلوا من أنفسهم وسائل وأدوات للوصول للهدف الإسلامي المشترك ، الذي يجب أن يتفقوا للعمل لأجله ، وهو إقامة المجتمع الإسلامي الذي يتحاكم إلى شريعة الإسلام ، ويعمل لتحرير أرضه .

5 -وأن الحرب بين هؤلاء المؤمنين المجاهدين واليهود المعتدين في فلسطين وما حولها قادمة... قادمة؛ ومهما حاول بعض الضعفاء والمتخاذلين من أبناء الأمة الاستجابة للتخاذل وموالاة الأعداء، رفع راية السلام (الاستسلام) أو قل رفع راية التخاذل فلن يفعلوا شيئاً سوى تأجيلها إلى حين، لكنها قادمة، وفي هذا المكان، في فلسطين وما حولها، كما يدل عليه الحديث في تعيين مكان الطائفة المجاهدة: (وَهُمْ بِالشَّامِ.. وفي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ).

وفي هذا دلالة على أن المجاهدين في بيت المقدس وما حوله ومن يعاونهم من المؤمنين هم من هذه الطائفة المجاهدة مع توالي العصور والأجيال.

6ـ وهذه الطائفة المجاهدة يرزقها الله النصر على اليهود المعتدين ومن يعاونهم مهما كانت قوتهم، ويرزقها منهم الغنيمة، كما جاء في رواية أبي أمامة: "لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ". وفي رواية سلمة بن نفيل: ((ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ... فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ (أي الغنيمة) حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ع وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)).

ويدعم هذا: ما رواه أُبَي بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلاَدِ وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ»[1].

7ـ ووعد الله لهذه الطائفة المجاهدة بالنصر والتمكين مستمر لها في كل عصورها إلى يوم القيامة، كما يدل عليه رواية معاوية: (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ).. ورواية أبي أمامة، وسلمة بن نفيل: (حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)).

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما

---

(1) صحيح... أخرجه أحمد 1224/، والبيهقي في الشعب 6835، وابن حبان 405، صحيح الجامع 2825.

زالوا يحملونه منذ زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث[1].. أي إلى يوم القيامة.

وفي هذا كله بشارة بوعد الله للمؤمنين المجاهدين بالنصر على اليهود المعتدين، وتمكينهم من إزالة دولتهم الثانية من فلسطين، مع ما يصيبهم من أذى اليهود ومن يُناصرهم أو يُظاهرهم.

ومع ما في هذه الأحاديث من أخبار مُبَشِّرة إلا أنها في طيها أمر للمؤمنين بأن يقوموا بالجهاد ولا ينقطعوا عنه، فإن تخاذلت عنه طائفة منهم أو عجزت يجب أن تقوم به طائفة أخرى، كما يقول الله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾(الأنعام: 89).

وبصدق إخلاصهم لله تعالى وحسن اتباعهم لدينه، واستجماعهم أسباب القوة والنصر يرزقهم الله نصره الذي وعدهم.

* * *

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 69/13، تحت رقم 4927.

البشارة بالوعد الرابع
نصر المؤمنين المجاهدين على اليهود المعتدين

وإذا استجمع المؤمنون شروط النصر والتمكين، وجاهدوا في سبيل الله بوصفهم مسلمين، لتكون كلمة الله هي العليا، وأزالوا عن حياتهم ومعركتهم أفكار الجاهلية ورواياتها، أيّدهم الله بنصره، وسخّر لهم جنوده من الجمادات والنباتات وغيرها، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: 31).

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَر: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودي وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[1].

وفي رواية: لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[2].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[3].

مضت ثلاثة عشر قرنًا من تاريخ الإسلام، وقارئ هذا الحديث يعجب مما تضمنه من نبأ لا يراه في الواقع المشهود نظرًا لحال المسلمين وحال اليهود في عصرنا.

فمنذ أن أصبح للصليبيين قوة ودولة اضطهدوا اليهود اضطهادًا شديدًا، حتى إن اليهود لم يجدوا ملاذًا آمنا يُؤون إليه، ولا كهفًا حصينًا يحتمون به سوى الدولة

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري، 3593، ومسلم 7267، وغيرهما.

(2) صحيح... أخرجه مسلم 7264، وغيره.

(3) صحيح... أخرجه البخاري 2926 مختصرًا، ومسلم 7268، واللفظ له، وأحمد 9398 وغيرهم.

الإسلامية، فعاشوا فيها آمنين، وقد أعطاهم المؤمنون ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة المؤمنين ثلاثة عشر قرنًا من تاريخ الإسلام.. باعتبارهم أهل كتاب، فلم يحدث قتال بينهم وبين المؤمنين، وكيف يُقاتل المؤمنون الذين يحمونهم، ويعيشون في كنفهم أهل ذمّة؟.

لكنّا رأينا في عصرنا صدق هذا الخبر، ورأيناه يبشر بوقوع معركة، بل معارك فاصلة بين المؤمنين واليهود.

أجل، رأينا اليهود قد استعانوا بالصليبيين ـ لأول مرة في تاريخهم ـ واغتصبوا فلسطين المسلمة، وأقاموا عليها دولتهم الثانية بالبغي والعدوان، وقتلوا وشردوا المؤمنين منها ـ وهم أهلها الشرعيون ـ وحوَّلوا مساجدها إلى ملاهى وحظائر للحيوانات، ومعابد ومساكن يهودية، وغدا المسجد الأقصى أسيرًا تحت أيديهم، ويعملون لهدمه؛ ليبنوا على أنقاضه معبدهم الوثني المزعوم (هيكل سليمان) [1].

وهم إلى الآن يقاتلون المؤمنين بكل ما أوتوا من قوة، ويبذلون المال وهم أبخل الناس به، ويجودون بأنفسهم وهم أحرص الناس على حياة، لكنهم يأخذون الأمر جدًا لا هزل فيه، ويخططون ويجمعون وينفذون، وبين أيديهم تعاليم التوراة وأحكام التلمود، والمسلمون في غمرة لاهون، وغفلة ساهون.

البشارة بوعد الله

ومع هذا يبشر النبي ﷺ المؤمنين المجاهدين في هذا الحديث بوعد الله لهم بالنصر والتمكين.. ونجمله فيما يلي:

(أ) أن اليهود في هذه المعركة الفاصلة سيبدءون المؤمنين بالعدوان والقتال، كما صرح الحديث بذلك في قوله: (تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ).

وهذا يعني أن اليهود سيكون لهم دولة وقوة، يُكْثرون بها من الاعتداء على

(1) راجع كتابنا: القدس والوعد المفترى.

المؤمنين، وما ينتهون من اعتداء عليهم حتى يبدءون اعتداءً آخر.. وهكذا. كما يقول سبحانه ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء: 6) وهو ما نراه في عصرنا رأي العين.. فإن أكثر معارك المؤمنين واليهود يبدؤها اليهود.

(ب) وأن المؤمنين سيخوضون هذه المعركة الفاصلة تحت راية الإسلام، لنصرته، ويُلقون عن أنفسهم رايات الجاهلية التي أوْهنتهم كالقومية العربية، والمصرية والسورية والمغربية وغيرها، ولهذا جاء في الحديث: أن الحجر والشجر يناديهم بوصفهم مسلمين عبادًا لله وحده، فيقول: "يا مسلم، **يا عبد الله**"، ولا يقول: يا مصري، ولا يا سوري، ولا يا مغربي، ولا يا اشتراكي.. إلخ.

(ج) ولهذا يمد الله المؤمنين بمدد من عنده، ويسخر لهم الجمادات والنباتات والحيوانات جنودًا لهم، ويمكنهم من هزيمة اليهود المعتدين، حتى يزيلوا علوهم ودولتهم، ولا يجد اليهود من دون الله وليًا ولا نصيرًا.. لا يجدون غير الأشجار والأحجار يختبئون خلفها، ظنًا منهم أنها تقيهم بأس الله الذي جاءهم بأيدي المؤمنين، ولكنها تكشفهم، وتخبر المؤمنين عنهم، وتنادي المؤمنين: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله!!

فهل ينطق الحجر والشجر بلسان المقال؟

آية من آيات الله، وما ذلك على الله بعزيز.. أو ينطقان بلسان الحال بمعني أن كل شيء يدل عليهم، ويكشف عنهم، وأيًا كان المراد، فالمعنى أن كل شيء سيكون في صالح المسلمين، وضد أعدائهم اليهود، وأن النصر على اليهود آت لا ريب فيه، وأن أسطورة القوة التي لا تقهر، التي يعيشها اليهود لن تستمر، وأن الذين اغتصبوا أرضنا في فلسطين وغيرها بقوة السلاح، وسلاح القوة سيخذلهم الله الذي يملي للظالمين، ثم يأخذهم أخذًا شديدًا أليمًا، ولن تغني عنهم ترسانتهم

النووية التي يُدلُّون بها، كما لم تغن حصون أسلافهم من بني النضير عنهم شيئًا حين جاءهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، كما يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (الحشر:2)[1].

وهل هذه الآية لا تحدث للمؤمنين إلا والدنيا مولّية والساعة عن قريب قائمة وإن لم يستوفوا شروط النصر؟.

الواقع أن هذه الآية سُنَّة إلهية من سنن الله تعالى.. ويمْنحها سبحانه للمؤمنين المجاهدين كلما اتبعوا إسلامهم، واستجمعوا عُدَّة الجهاد، وشروط النصر في أي عصر.

وليس في الحديث أن كلام الحجر والشجر من علامات قيام الساعة، أو أنه إذا حدث تقوم الساعة، بل كل ما فيه أن المؤمنين لن يظلوا ضعفاء متفرقين، ولا بد أن يأتي لهم عصر يستجمعون فيه شروط النصر، وينصرهم الله على اليهود المعتدين، ويسخر لهم كل شيء، حتى الجماد والحيوان والنبات يكون معهم ضد اليهود[2].

---

(1) المبشرات بانتصار الإسلام: 34 -36.

(2) ذكرت جريدة "المسائي" المصرية في الجمعة 1427/7/10هـ ـ 2006/8/4م أيام الاعتداء اليهودي على أرض الإسلام في لبنان وقيام مقاتلي حزب الله بمقاتلتهم.. قالت: غزة.. (أ ش أ) سجل الجيش الإسرائيلي منذ يومين نوعًا جديدًا من التمرد على أوامره عندما رفضت قافلة من حيوان (اللاما) دخول الأراضي اللبنانية بصحبة مجموعة من جنود وحدة "جولاني" وذكرت صحيفة "يديعودت أحرونوت" أن عددًا من جنود (جولاني) أعدوا قافلة من حيوان (اللاما) الذي يستخدمه الجيش في نقل العتاد والمؤن لقواته المتوغلة في بعض أنحاء الجنوب اللبناني، وبعد أن حمّلوها بالعتاد المطلوب، واقتربوا إلى موقع للتسلل بالقرب من مستوطنة (زرعيت) رفضت حيوانات (اللاما) الدخول، وأصرت على رفض أوامر الجنود، الذين حاولوا بكل الوسائل حثها على فعل ذلك؛ مما أجبرهم على إلغاء المهمة، والعودة إلى قاعدتهم..

وفي عصرنا تكلم الشجر وأخبر عن اليهود في فلسطين :

وفي عام 1423هـ/2002م جاءت الأخبار من فلسطين المحتلة أن شجرة تكلمت وأخبرت المجاهدين عن يهودي اختبأ خلفها.

وهذا لا نستبعده؛ فإن الله على كل شيء قدير، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك، وإخواننا المجاهدون في فلسطين أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الذين حدثت لهم هذه الكرامة من الله تعالى أجدر بهذا التكريم الإلهي؛ فهم مرابطون مجاهدون، وصابرون مصابرون، وقد أزعجوا اليهود وآلموهم، ولم يولوهم الأدبار، ولم يبدلوا تبديلاً مع ما يصيبهم من لأواء.

وهاكم الخبر كما أوردته جريدة آفاق عربية الصادرة في الخميس 1423/3/4هـ/ الموافق 2002/5/16م قالت: هذا التقرير الإخباري سوف يثير الكثير من التساؤلات والحوارات والنقاشات بين التأييد والمعارضة.. هل نطق الشجر فعلاً في "رام الله" بفلسطين؟! وهل هذا معناه أن علامات الساعة قد بدأت تظهر؟!.. "آفاق عربية" حرصت على نقل القصة الكاملة من مصدرها، فاتصلنا بالشيخ "أحمد ياسين" -الزعيم الروحي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" -الذي أكد أن "ما حدث من نطق الشجر في "رام الله" هو إحدى بشارات النصر الكثيرة، وليست هي الأولى، فبعض شهدائنا الذين سقطوا في الميدان عند دفنهم كانت رائحة المسك تفوح من أجسادهم ودمائهم، حتى إن بعض الإخوان غمسوا المناديل في

وأضافت الصحيفة: أنه وخلافًا للمرات السابقة واجه جنود (جولاني) المرافقون لحيوان (اللاما) وبعد مسيرة دقائق معدودة داخل الأراضي اللبنانية صعوبات في التعامل مع حيوانات القافلة العسكرية بعد أن رفضت إحداها التي تقدمت الركب أوامر الاستمرار بالتقدم. =

= ورغم محاولات الجنود المستمرة بتغيير ترتيب حيوانات (اللاما) ووضع من كانت في المؤخرة في مقدمة الركب ظنًا منهم بأن الأمر يتعلق بواحدة فقط، فإن جميع حيوانات (اللاما) أجمعت على رفض الأوامر؛ مما أجبر الجنود على العودة إلى داخل إسرائيل.

ويُشار إلى أن حيوان (اللاما) الجبلي وموطنه الأصلي أمريكا الجنوبية يستطيع الواحد منه أن يحمل وزنًا كبيرًا من المعدات في مناطق ذات تضاريس وعرة، كما أنه لا يصدر أصواتًا، ويحتاج للطعام مرة واحدة فقط كل يومين.

دماء إخوانهم الشهداء، واحتفظوا بها، وما زالت رائحة المسك تفوح منها حتى الآن!

وقال الشيخ "ياسين" في الاتصال الهاتفي الذي أجريناه معه: إن بشارة الرسول ﷺ بنطق الحجر والشجر تحققت، وسيشهد المستقبل غيرها من البشارات، وهو ما يؤكد لنا أن نصر الله قادم لا محالة، ويعزز ذلك من معنوياتنا المرتفعة، ويعد تقوية لصفوف المقاومة الفلسطينية، ويعني لنا بلا شك أن عدونا سينهزم ويندحر بإذن الله، فنحن نوقن بحديث رسول الله ﷺ بأنه «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[1].

وأشار "أحمد ياسين" إلى أن نطق الشجر هو بداية فقط تؤكد أن أهل الحق سينتصرون، لن يضرهم أي متخاذل أو متهاون، مصداقًا لحديث رسولنا الكريم: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟.

قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[2].

وتعود تفاصيل الواقعة إلى ما حدث عند حوالي الساعة الثامنة من صبيحة أحد أيام الهجوم الصهيوني على "رام الله"، حيث خرج ثلاثة شبان فلسطينيون في طريقهم إلى المستشفى المركزي الموجود في "رام الله" ليتفقدوا مصاباً لهم كان قد أصيب في قصف جوي، قامت به قوات العدو الصهيوني، إلا أنهم عند منتصف الطريق رأوا مستوطنًا يهوديًا يقف على أحد الأرصفة، فنظروا إلى بعضهم وقرروا قتلهُ، وبدءوا يقتربون منه بهدوء حتى لا يشعر بهم، لكن المستوطن فر منهم قبل أن يصلوا إليه، إلا أن

(1) صحيح... سبق تخريجه هنا.

(2) صحيح... سبق تخريجه هنا.

الفلسطينيين الثلاثة قاموا بمطاردته حتى أدخلوه أحد الشوارع المغلقة ليتمكنوا من محاصرته، لكنهم لم يجدوا أحدًا، وكأن المستوطن (أي المُغتصِب) لم يدخل هذا الشارع، وعندما فشلوا في إيجاد أي أثر له، وبينما هم عائدون سمعوا صوتًا يناديهم، فلما التفتوا إلى مصدر الصوت، لم يجدوا أحدًا فظنوا أنه يخيل لهم ذلك، إلا أن الصوت تكرر أكثر من مرة، فاستطاعوا في المرة الأخيرة أن يحددوا مصدر الصوت، وعرفوا أنه يأتي من خلف أحد الأشجار القريبة، فظنوا أن أحد المصابين من جرّاء القصف الصهيوني يستنجد بهم، فذهبوا لإنقاذه إلا أنهم حين وصلوا إلى مكان الشجر سمعوا صوتًا غامضًا يأمرهم بالنظر خلفها لرؤية اليهودي وقتله، فلما نظروا إلى خلف الشجرة وجدوا بالفعل اليهودي فحاصروه، وعاجله أحدهم بعدة طعنات حتى فارق الحياة، وانطلقوا من المكان حتى لا يراهم أحد من جنود الاحتلال، وقرروا الذهاب إلى المستشفى وإخبار المسؤولين بما حدث.

وفي غضون ساعات قليلة كان الخبر قد ذاع في أنحاء مدينة "رام الله"، ووصل إلى مسامع اليهود الذين أربكهم الخبر كثيرًا، وأثارت الظروف الغامضة التي قتل فيها ذلك المستوطن مخاوف الجنود الإسرائيليين، بل إن عددًا منهم انسحب من موقعه.

وتجدر الإشارة إلى أن قناة "الجزيرة" القطرية كانت قد بثت الخبر في صدر نشراتها الإخبارية واعتبرته إيذانًا بظهور إحدى علامات الساعة في فلسطين، وأثار الخبر موجات من التفاؤل والأمل بين صفوف الشعب الفلسطيني بأن نصر الله قريب.

وتعليقًا على ما رواه الشيخ "أحمد ياسين"، أكد الدكتور عبد العظيم المطعني (رحمه الله) ـ أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ أننا لا نتردد في قبول ذلك، فهناك حديث وارد بهذا المعنى، والرواية لا تتعارض مع الحديث؛ لأنه لم يحدد أن الشجر إذا نطق ستقوم الساعة غدًا، وليس من شك في أن ما مضى من عمر الدنيا هو أكبر مما بقي، ولذلك يجب ألا نشك في حدوث ذلك، خاصة إذا صدر عن الشيخ "أحمد ياسين"، كما أنها فأْل حسن، وإحدى بشائر النصر إن شاء الله[1].

---

(1) راجع كتابنا: فتنة هرمجدون بين ضعف الدليل وتعسف التفسير 131 : 134، ط دار التراث.

البشارة بالوعد الخامس
فتح البلاد الغربية للإسلام

ومن بشارات النبي ﷺ للمؤمنين المجاهدين بالنصر والتمكين: البلاد التي بشّرهم ﷺ بفتحها في مستقبلهم، منها ما تحقق لهم فتحه، ومنها ما لم يتحقق بعد؛ وسيتحقق - إن شاء الله - في موعده الذي قدره الله له.

عن أَبي قَبِيلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص ﷺ، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّة؟!. فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حِلَقٌ. قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا.. قَالَ:

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ ؟!.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً»[1]... يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ.

مدينة هرقل هي القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية القديمة، وعاصمة الكنيسة الشرقية، وهي الآن استانبول عاصمة تركيا الإسلامية.

ورومية هي " رُومَا " - كما في معجم البلدان - وهي عاصمة "إيطاليا" الآن.

ويفهم من سؤال الصحابة: أنهم كانوا قد علموا من رسول الله ﷺ أنهم سيفتحون للإسلام المدينتين، ويدخل أهلهما فيه، وقد أيقنوا ذلك، ولكنهم يُريدون أن يعرفوا: أي المدينتين يفتحونها للإسلام قبل الأخرى، فأخبرهم رسول الله ﷺ: أن مدينة هرقل (أي القُسْطَنْطِينِيَّةَ) ستُفتح أولاً [2].

وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع ذلك للمؤمنين في المستقبل، وبعد وفاته ﷺ.

1 - **الفتح الأول:** وقد تحقق الفتح الأول للمؤمنين كما أخبر النبي ﷺ على

---

(1) حسن... أخرجه أحمد 6645، والحاكم 8662 وصححه، ووافقه الذهبي والألباني في الأحاديث الصحيحة رقم 4، وغيرهم.

(2) راجع: المبشرات بانتصار الإسلام، 30.

يد الفتي العثماني المسلم المجاهد محمد بن مراد، وهو ابن الثالثة والعشرين، الذي عرفه التاريخ باسم "محمد الفاتح".

وفتح الله بجيشه وقيادته مدينة هرقل (القُسْطَنْطِينِيَّةَ) في القرن التاسع الهجري، وبالتحديد في يوم الثلاثاء في عشرين خلت من شهر جمادى الأول سنة 857هـ، الموافق 1453/5/29م، أي بعد ثمانية قرون ونصف من إخبار النبي ﷺ بفتحها، فيما رواه بِشْر الْخَثْعَمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ [1].

2 ـ **الفتح الثاني**: وهو فتح البلاد الغربية الصليبية وعاصمتها "روما" (وهي عاصمة الكنيسة الغربية) في إيطاليا ـ وقد بقي للمؤمنين ـ ونحن على يقين من وقوعه كما وقع الفتح الأول، وننتظره ونعمل له، ونترقبه بين حين وآخر.

وحينها يستعيد المؤمنون وحدتهم، ويستجمعون قوتهم، ويستوفون شروط النصر، ويحررون أرضهم المحتلة في فلسطين وغيرها من رجس اليهود، وحينئذٍ ينساحون في البلاد الأوربية مجاهدين فاتحين، ويحقق الله لهم الفتح الثاني المذكور إن شاء الله، ويدخل الإسلام أوروبا مرة أخرى فاتحًا بعد أن خرج منها مرتين، مرة من الأندلس، ومرة من البلقان، لكنه سيستقر فيها هذه المرة، بعد أن يَفتح المسلمون عاصمتها الدينية "روما" وتكون كلها للإسلام.

قال العلامة الألباني: ولا شك أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة وتتحد الأمة، وتعلو قواها الاقتصادية

---

(1) أخرجه أحمد 18957 ، والبزار (1848) كما في كشف الأستار ، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (1155) وغيرهم .. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 10384 ، وعزاه للطبراني ، وقال : رجاله ثقات .

وفي إسناده ه عبد الله بن بشر الخثعمي، وهو مجهول ؛ فقد انفرد بالرواية عنه الوليد بن المغيرة المعافري، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقد اختلف على زيد بن الحباب في اسمه واسم أبيه ونسبه.

والعسكرية، وهذا ما يبشرنا به النبي ﷺ [1].

ويرى العلامة القرضاوي: أن هذا الفتح الثاني لا يتحقق في عصرنا بجيوش عسكرية، وإنما بجيوش الدعوة باللسان والقلم، حيث يدخل أهل هذه البلاد في الإسلام أفواجًا، حتى تكون كلها للإسلام، كما حدث للتتار، وأهل ماليزيا وإندونيسيا وغيرها.

قال حفظه الله: وظني أن هذا الفتح سيكون بالقلم لا بالسيف والسنان، وأن العالم سيفتح ذراعيه وصدره للإسلام بعد أن تشقيه الفلسفات المادية والأيديولوجيات الوضعية، ويتطلع إلى مدد من السماء، وهدى من الله، فلا يجد إلا الإسلام طوقًا للنجاة.

والفتح السلمي له أصل في الإسلام، فقد سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحًا، بل فتحًا مبينًا، وأنزل في ذلك سورة الفتح، وفيها يقول سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح:1).. وسأل الصحابة رسول الله ﷺ: أفتح هو يا رسول الله؟.. قال: (نعم، هو فتح)[2].

وعلى كل حال فالحديث يبشرنا باستعادة المؤمنين وحدتهم وقوتهم... وبانتصارهم على اليهود المعتدين وتحرير فلسطين من احتلالهم ورجسهم.

* * *

(1) راجع: الأحاديث الصحيحة 33/1 رقم 4.
(2) راجع: المبشرات بانتصار الإسلام ص 30، 31.

البشارة بالوعد السادس
فتح أقطار الأرض للإسلام

ومن البشارات التي يذكرها النبي ﷺ للمؤمنين: أن الله سيفتح لهم بجهادهم بلادًا كثيرة، منها ما تحقق فتحه للمؤمنين المجاهدين وعرفناه، ومنها ما سيتحقق فتحه لهم في مستقبلهم، وفي موعده المُقدر له إن شاء الله تعالى (تحقيقً لا تعليقًا).

أولاً: عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ...»[1].

ومعنى قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ»، أي ضُم إلى رسول الله ﷺ الأرض بعضها إلى بعض، وجمعها له حتى رأى مشارقها ومغاربها.

وهل زوى الله الأرض لرسوله ﷺ حقيقة أو على سبيل المجاز؟

قال السندي: جُمعت وضم بعضها إلى بعض، وهو يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أنه الإدراك فيكون مجازًا، فإنه لما أدرك جميعها صار كأنه جمعت له حتى رآها.

والمراد من الأرض ما سيبلغها ملك الأمة لا كلها، يدل عليه ما بعده[2].

وقال القرطبي: إن الله زوى لي الأرض.. أي جمعها الله لي، حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

---

(1) صحيح... أخرجه مسلم 7187، وأحمد 78/37، رقم 22395، وابن حبان 7238، وابن ماجه، 3952، وغيرهم... وأخرجه أحمد عن شداد 17115، وغير».. وتكملة الحديث: "وَإِنِي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَلا يُهْلِكَهَا بسَنَةٍ بعَامَّةٍ، وَألا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَلا أُهْلِكَهُمْ بسَنَةٍ بعَامَّةٍ، وَألا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

ومعنى: البيضة: مجتمعهم وموضع سلطانهم.. والسِّنة: الجدب والقحط.

(2) شرح السندي على سنن ابن ماجه 328/4، 329.

وظاهر هذا اللفظ يقتضي أن الله تعالى قوّى إدراك بصره ﷺ، ورفع عنه الموانع المعتادة، فأدرك البعيد من موضعه، كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه[1].. وكما قال: إني لأبصر قصر المدائن الأبيض[2].. ويحتمل أن يكون الله مثّلها له فرآها.. والأول أوْلى[3].

ومعنى هذا أن القرطبي يرى أن الله جمع مشارق الأرض ومغاربها لرسوله ﷺ حقيقة حتى رآها حقيقة.. آية من آيات الله. والله على كل شيء قدير.

وقد تحقق للمؤمنين في السابق شيء من هذه البشارة، وفتحوا بلاد فارس والروم، كما جاء في الحديث: (وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ) [4].

وعلى أيَّة حال، ففي الحديث بشارة للمؤمنين بالغلبة والنصر وفتح البلاد للإسلام، وتعود فلسطين للإسلام ـ كما كانت من قبل ـ بعد أن يُزيلوا عنها دولة اليهود.

قال الإمام النووي: وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع.. وأما في جهتي الجنوب والشمال، فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب[5].

وأقول: هذا استنباط غير سديد، فليس في الحديث ما يمنع من انتصار المؤمنين وامتداد الإسلام في كل أقطار الأرض... شمالها وجنوبها كشرقها وغربها.

وقد ذكرنا أن الله تعالى وعد بظهور الإسلام على كل الأديان في عموم

---

(1) في حديث الإسراء الشهير، وهو في الصحيحين.

(2) أثناء حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وهو حديث صحيح.

(3) المفهم في شرح صحيح مسلم 216/7.

(4) قال القرطبي: قوله: "وأعطيت الكنزين" يعني كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما، وقد دل على ذلك قوله ﷺ": ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله" (صحيح، متفق عليه، كما في صحيح الجامع 846 عن أبي هريرة وغيره).
وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب – أي الدينار الذهبي – وعبر بالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الفضة والجواهر (أي الدرهم الفضي)... وقد ظهر ذلك (المفهم 216/7).

(5) شرح النووي 18 / 222 تحت رقم 7187.

الأرض كلها، كما يقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف:9).

ويبين هذا أن الإسلام دين الله للناس جميعاً في كل أقطار الأرض ـ شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها ـ كما يقول سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:1).

والنبي ﷺ يقول: « وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1].

ويؤكد هذا ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ الْبَارِحَةَ إِذْ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ حَتَّى وُضِعَتْ فِي يَدِي».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَقِلُونَهَا[2].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أوتي مفاتيح خزائن الأرض أي كلها شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا.

وقول أبي هريرة في نهاية الحديث يبين أن هذه البشارة بوعد الله تعالى كما تحقق شيء منها للمؤمنين في السابق يتحقق باقيها لأحفادهم المؤمنين العاملين في اللاحق إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى (تحقيقاً لا تعليقاً).

قال النووي: هذا الحديث من أعلام النبوة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته،

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن جابر بن عبد الله كما في صحيح الجامع 1056.. وتمامه من بدايته: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ.. إلخ.

(2) صحيح... أخرجه البخاري 6998، ومسلم 1168، وأحمد 7632، وأبو يعلى 6287 وغيرهم.

ووقع ـ ويقع إن شاء الله تعالى ـ كما أخبر ﷺ، ولله الحمد والمنة[1].

ويقوّي هذه البشارة ما جاء عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ الْخَزَائِنَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي وَبَيْنَ التَّعْجِيلِ، فَاخْتَرْتُ التَّعْجِيلَ»[2].

ثانيًا: ويقوّي ذلك أيضًا الحديث الذي رواه تَمِيمٍ الدَّارِيّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ[3].

وفي هذا الحديث بشارتان بوعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين

الأولى: أن المؤمنين العاملين لا بد أن ينتصروا على أعدائهم من اليهود وغيرهم، ويحرروا أرض الإسلام من رجسهم، وينشروا الإسلام في أقطار الأرض، في حواضرها وبواديها[4]، حيث بلغ الليل والنهار.

الثانية: ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار للإسلام يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وماديّاتهم وسلاحهم، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، وفتح بلادهم للإسلام.... وهذا ما يبشرنا به الحديث[5].

ومع ما في الحديث من البشارة للمؤمنين بالنصر والتحرير ففي طيه أمْر لهم بأن يكونوا أهلا لهذه البشارة، ويعملوا لنوالها، بأن يصلوا بحبل الله عُراهم، ويُعدوا للجهاد عدته، ويستوفوا للنصر شروطه، وينطلقوا لله تعالى مجاهدين ؛ فعندئذ يُحقق الله لهم وعده بالنصر والتحرير.. وإلا فلأي شيء يهب الله نصره للكسالى والجاهلين ؟!.

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي 8/5، 9.

(2) مرسل... أخرجه عبدالرزاق في المصنف 99/11، رقم 20024.

(3) صحيح... أخرجه أحمد 154/28، رقم 16957، والحاكم 477/4، رقم 8326، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة رقم 3، وغيرهم.

(4) المدر: الطين اللزج المتماسك الذي تُبنى به البيوت في الحضر، والوبر... الشعر أو الصوف الذي تقام به الخيام بيوتًا لأهل البادية.

(5) الأحاديث الصحيحة للألباني في 32/1، رقم 3.

البشارة بالوعد السابع
خبر المهدي

بقي أمر لابد من التنبيه عليه، وهو أن كثيرًا ممن يكتبون عن نصر المؤمنين على اليهود يذكرون دائمًا خبر المهدي المنتظر، الذي يأتي والدنيا تُودع آخر أحقابها.. ويروون في ذلك أحاديث مثل الحديث الذي رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَانًا... ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا»[1].

ونحن لا اعتراض لنا على خبر المهدي، وأنه يأتي بعد عهود الجور والفساد، فينصر الله به الإسلام، ويقيم به العدل بعد الجور، والإصلاح بعد الفساد، والنصر بعد الهزيمة.. وهذا من مبشرات النبي ﷺ بأن المؤمنين مهما ظهر فيهم من ظلم أو ضعف، فهم إلى خير دائمًا إلى يوم القيامة.

أجل، لا اعتراض لنا على خبر المهدي المنتظر، لكن الذي نخافه ونحذر منه أن يترسّب في ذهن المؤمنين: أنّهم سيظلون مهزومين منكوبين، ولن يستطيعوا النصرعلى عدوهم، ولن يُحرروا أرضهم المحتلة حتى يأتي هذا المهدي المنتظر، الذي يأتي والدنيا مولية، والساعة على الأبواب قائمة؛ مما يترتب عليه أن تقعد الأمّة عن القيام بالجهاد في سبيل الله، وعن تهيئة الأسباب للنصر والتمكين؛ يأسًا من القدرة عليها قبل ظهور المهدي، أو انتظارًا للمهدي حتى يأتي، ويحقق لها ما عجزت عنه أو يئست منه.

وإذا كان انتصار المؤمنين مرهونًا بظهور المهدي فما فائدة فرائض الإسلام

---

(1) صحيح... أخرجه أحمد 11313، وابن حبان 6823، والحاكم 8669، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وعده الألباني في الأحاديث الصحيحة 1529 من المتواتر عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

التي أمر الله المؤمنين بإقامتها إلى يوم القيامة؟.

أجل، ما فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع ؟!.. وما فائدة الأمر بالجهاد في سبيل الله ؟!.. وما فائدة الأمر بإعداد المُستطاع من القوة.

والله تعالى حينما يأمر المؤمنين بالجهاد، ويعدهم النصر والظهور يجعله سبحانه تشريعًا مطلقًا ووعدًا مطلقًا في كل عصورهم إلى يوم القيامة، وليس مقيدًا بوجود المهدي أو عيسى ابن مريم، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(الحج: 40، 41).

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف:9).

ولهذا قال أبو حيان: وهذا الفوز لا يحتاج إلى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، بل كان هذا في صدر هذه الأمة، وهو كذلك باق فيها إن شاء الله إلى يوم القيامة[1].

وقد ذكرنا في حديث: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ»: أنه لا يعني أن ذلك عند قيام الساعة، إنما يعني أن المؤمنين كلما أعدوا العدة واستجمعوا شروط النصر في أي عصر أو مكان، وانطلقوا لله مجاهدين يحقق الله لهم وعده بالنصر والتمكين.

والذي أريد أن أقوله للمؤمنين: إن الله فرض عليهم العمل ليستجمعوا شروط النصر حتى آخر أنفاسهم أو حتى تلفظ الدنيا آخر أنفاسها كما يقول سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر:99).

---

(1) البحر المحيط 34/5.

والنبي ﷺ يقول: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[1].

وجاء في عدد من الأحاديث أن الساعة تقوم والناس في أعمالهم قائمون، مثل حديث: وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ **(ناقته)** فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهْوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا»[2].

أجل، إن بيننا وبين المهدي المنتظر بحساب الليل والنهار في الدنيا سنين وسنين ـ مئات أو ألوفًا أو ملايين ـ عِلْم ذلك عند الله، والمؤمنون ـ إلى أن تقوم الساعة ـ تحكمهم سنة الله في النصر والهزيمة، والعلو والهبوط، فإن استجمعوا شروط النصر، وأقاموا جهادهم لله تعالى؛ نصرهم الله ومكنهم من إزالة دولة اليهود الثانية، وإن أعرضوا عن شروط النصر فلم يستجمعوها، وتركوا الجهاد في سبيل الله، مكّن الله عدوهم منهم، ولا يبالي بهم، كما يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد: 7 -9).

* * *

---

(1) صحيح.. أخرجه أحمد وغيره عن أنس كما في صحيح الجامع 1424.. والفسيلة: الشتلة الصغيرة من النخل.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري 6506، وأحمد 9059،وابن حبان 259، وغيرهم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُوس

نَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا.... إلخ.

الفصل الرابع
حتميّة زوال إسرائيل
في ضوء التاريخ

تمهيد

هذا عن بشارة القرآن والسنة النبوية الصحيحة، أما عن بشارة التاريخ الإنساني والإسلامي من لدن آدم عليه السلام، فإن وقائعه الثابتة تقف شاهد صدق لوفاء الله تعالى بوعده للمؤمنين العاملين بالنصر على أعدائهم وتمكينهم في الأرض من بعدهم على مرِّ العصور، واختلاف الأجيال والأقطار.

1 ـ وقد أورد الله في القرآن قصص الأمم السابقة مع أنبيائه؛ ليبين للمؤمنين أنه سبحانه كما حقق وعده بالنصر لأسلافهم المؤمنين المجاهدين يحققه لهم إذا عملوا عملهم، وجاهدوا جهادهم.

2 ـ ومطلوب من المؤمنين أن يعوا هذه الوقائع التاريخية، ويستلهموا منها العبر والدروس في أسباب سقوط الأمم وعلوها، ويعملوا في ضوئها، كما يقول سبحانه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: 36، 37).

وفي نهاية قصة يوسف عليه السلام التي تجلى فيها وفاء الله بوعده للمؤمنين بالسعة بعد الضيق، وبالتمكين بعد الابتلاء، يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف:111).

وكثيرًا ما يعقب الله تعالى على نهاية الظالمين بتعقيبات تبرز ما وراءها من دروس وعبر للمؤمنين، مثل قوله سبحانه بعد قصة ثمود: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (النمل: 52، 53).

وإذا كان عامة الناس يشتغلون بذكر القصص؛ ليُشغلوا بها فراغ أوقاتهم،

ويُخفِّفوا عن أنفسهم سأمها، فإن خاصتهم يتذاكرونها؛ ليعتبروا بها، وينتفعوا بدروسها، بما يغرس فيهم الأمل، ويدفعهم إلى العمل.. والسعيد من اعتبر بغيره، وانتفع بأحداث نفسه.

3 ـ ونذكر هنا ثلاث وقائع تاريخية ثابتة تُبين وفاء الله بوعده للمؤمنين العاملين بالنصر بعد اليأس، وبالسعة بعد الضيق، وبالعزة بعد الذلة.. وهذه الوقائع على الترتيب هي:

واقعة الردة... واقعة الصليبيين في حطين... واقعة التتار في عين جالوت.

أولاً: واقعة الردة

بعدما توفي رسول الله ﷺ ارتدت قبائل كثيرة من العرب، واتبعوا أدعياء النبوة الكذابين مثل: سجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، الذي انتشر زفر فسقه في اليمامة وما حولها حتى أزكم الأنوف..

وقال الصحابة لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، ألا تسمع إلى ما قد انتشر من الملعون الكذاب بأرض اليمامة؟.. فكان أبو بكر يطمئنهم، ويغرس فيهم الأمل بوعد الله، قال: لا تعجلوا، فإني أرجو أن يكون الله (تبارك وتعالى) قد أذن في هلاكه[1].

وطوائف أخرى منعت الزكاة لأحد بعد رسول الله ﷺ وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله ما كان فينا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورّثنا بكرًا إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر[2]

وقد انتشر هؤلاء وأولئك في الجزيرة العربية حتى لم يبق فيها للإسلام إلا قرى قليلة مثل مكة والمدينة.

قال النووي: لم يكن يسجد لله تعالى في بسيطة الأرض إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد "عبد قيس" في البحرين في قرية يقال لها: "جواثا"[3].

ولم يكتف المرتدون بارتدادهم، بل زحفوا على المدينة وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وهدَّدوا المؤمنين فيها حتى أصبحوا ـ كما قال عروة بن الزبير ـ كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية؛ لفقد نبيهم، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم.

وهكذا اشتدت المحنة بالمؤمنين، وتوقعوا هلاكهم بين حين وآخر، حتى نال

---

(1) راجع: كتاب الردة للواقدي 172، 173 ط دار الفرقان الأردن.

(2) راجع: تاريخ الرسل والملوك: 246/1. البداية والنهاية 317/6.

(3) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم 152/1 تحت رقم 125.

منهم الضعف نيلاً، وقال أحد الصحابة لأبي بكر:

يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (الموت).

لكن أبا بكر الصديق -ذلك الرجل الرقيق البكّاء -أبى أن يستسلم لهذا الخذلان، وثبت كالطود، وزأر كالليث، وقال قولته المعبرة: أيُنقض الدين وأنا حيّ؟

وأشار عليه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أن يترك مانعي الزكاة وما هم عليه، ويتألّفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ثم بعد ذلك يزكون، لكن أبا بكر ﷺ أَبَى كل الإباء، وأصرَّ على أن يُقاتل مانعي الزكاة كما يُقاتل المرتدين.

وقَالَ له عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ ـ ما نعي الزكاة ـ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[1].

فقال أبو بكر ﷺ بصوت عال: مه يا عمر، رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك؟.. أجبّار في الجاهلية وخوّار في الإسلام ؟ بماذا عسيت أن أتألفهم؟.. بسحر مفتعل، أو بشعر مفترى؟... هيهات. هيهات، مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحي، فوالله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي[2].

وفي رواية البخاري وغيره: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً ـ أو قال عناقًا (أي عنزًا صغيرًا) ـ كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.[3].

---

(1) صحيح..... أخرجه البخاري 1399، ومسلم 124 واللفظ له.

(2) راجع: الإسلام والقضية الفلسطينية – عبد الله علوان 81، 82.

(3) صحيح.. أخرجه البخاري 1399.

ووقف أبو بكر ﷺ خطيبًا في المؤمنين يبشرهم بوعد الله لهم بالنصر، فقال: إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ وقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:103).

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويُقْتل من يُقْتَلُ منا شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى من بقي منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له، يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور:55)[1].

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ ع قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ[2].

وجهّز أبو بكر أحد عشر لواء لمقاتلة المرتدين ومانعي الزكاة، وعيّن لهم قادتهم الأكْفاء.

ودارت المعركة الفاصلة بين المؤمنين على قلتهم، وبين المرتدين ومانعي الزكاة في الجزيرة العربية على كثرتهم.

وقد حقق الله للمؤمنين وعده، وانتصروا علي المرتدين ومانعي الزكاة، وقتلوا رؤوسهم من أدعياء النبوة الكذابين، مثل الأسود العنسي في اليمن،

---

(1) راجع: البداية والنهاية 316/6 لابن كثير. ط دار الفكر.. بيروت.

(2) صحيح .. أخرجه مسلم 124.... البخاري 1399.

ومسيلمة الكذاب في اليمامة، وسجاح بنت الحارث في بني تميم، وغيرهم.

وعادت الجزيرة العربية كلها للإسلام، كما كانت قبل موت النبي ﷺ، وعاد المرتدون ومانعو الزكاة إلى الإسلام تائبين مستغفرين، يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وينصرون الله ورسوله - في صفوف المؤمنين المجاهدين، حتى قال بعض العلماء: كانوا من أعظم المؤمنين بلاء في قتال فارس والروم بعد ذلك، حتى فتحوها للإسلام[1].

قال ابن كثير: ولم يزل الأمر كذلك - من نصر إلى نصر على المرتدين ومانعي الزكاة - حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ولرسوله ﷺ وأهل ذمة من الصدّيق (الخليفة) كأهل نجران وما جرى مجراهم، ولله الحمد[2].

قال عبد الله بن مسعود: لقد أقمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه، لولا أن مّنّ الله علينا بأبي بكر[3].

وقال أبو رجاء البصري: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبِّل رأس رجل، ويقول له: أنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا.

قلت من المقبِّل، ومن المقبَّل؟.

قالوا: عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة، ومانعي الزكاة حتى أتوا بهم صاغرين[4]... وتحقق للمؤمنين المجاهدين وعد الله بالنصر والتمكين.

---

(1) مثل طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة في بني أسد وغطفان، وقد تاب الله عليه، وكان من المجاهدين الكبار في معركة القادسية (14 هـ)، وقد اخترق الجيوش والصفوف، وتخطى الألوف، وقتل جماعة من الأبطال وأسر أحدهم، وجاء به لا يملك من نفسه شيئًا، وسأل سعد بن أبي وقاص قائد جيش المؤمنين أمير السرية عن أمر، فجعل يصف له شجاعة طليحة (البداية والنهاية 39/7).

(2) راجع: البداية والنهاية 336/6.

(3) راجع: خلفاء الرسول، 83، لخالد محمد خالد.

(4) راجع: عبقرية الصديق، لعباس العقاد، 133 ط وزارة التربية والتعليم بمصر.

ثانيًا: واقعة الصليبيين في حطين

يـــا أيهـــا الملـــك الـــذي ... لمعـــالم الصـــلبان نكّـــس
جـــاءت إليـــك ظلامـــة ... تســـعى مـــن البيـــت المقـــدس
كـــل المســـاجد طُهِّـــرت ... وأنـــا علـــى شـــرفي أُدنّـــس

على لسان المسجد الأقصى لكل حاكم مسلم أبي.

الذي يعرفه الدارسون أن الاحتلال الصليبي للقدس وفلسطين لم يأت اعتباطًا، إنما جاء بأسباب متعددة، أهمها: ضعف دولة الخلافة العباسية وتفرق أقطارها، حتى أصبح كل قطر فيها يمثل دولة مستقلة، وبالتالي ضعفت فريضة الجهاد فيها أو غابت.

قال ابن كثير في حوادث سنة 324هـ: وفيها ضعف أمر الخلافة جدًا، واستقل نواب الأطراف، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد، وأما بقية الأطراف فقد استقل بها حكامها[1].

وأهم ما يميز أمراء الأقطار وقتئذ: تفرقهم واختلاف أهوائهم، وإهمال النظر في المصالح الكلية للأمة، واشتغالهم بما لا يجوز من الأمور الدنيوية، وتقاتلهم فيما بينهم، لأجل بقائهم في الملك وتكثير أموالهم وإقطاعاتهم، ولو أدى ذلك إلى فناء شعوبهم، وذهاب إسلامهم، ولهذا اندفع بعضهم للتحالف مع الصليبيين أعداء الإسلام ضد إخوانهم المسلمين في إمارات أخرى، ليفوزوا منهم بالبقاء والغنيمة [2]. ونذكر منهم على سبيل المثال:

1 - كان أمير الحلة "دُبَيس بن صدقة الأسدي" قد أفسد في الأرض فطلبه

---

(1) راجع: البداية والنهاية 197/11، بتصرف يسير.

(2) أليس هذا شأن الحكام العلمانيين العرب في عصرنا ؟! .

الخليفة العباسيّ، ففر منه ملتحقًا بالروم الذين كانوا يحاصرون حلب، فساعدهم "دبيس" على محاصرتها، طمعًا في أخذها منهم، ولكن الله سلم ولم يظفروا بها[1].. وخاب أمل دُبَيس.

2 -ومدينة (الرها) يتقاسمها أميران: ابن عطير ونصر الدولة بن مروان، فما كان من ابن عطير إلا أن راسل ملك الروم (أرمانوس) وباعه حصته بعشرين ألف دينارًا ! فدخل الروم البلد وملكوه، وقتلوا المسلمين وخربوا المساجد[2].. **(سحقًا.. سحقًا).**

3 -وفي حوادث 426هـ جمع ابن وثاب النميري جمعًا كثيرًا من العرب (البدو) وغيرهم، واستنجد بمن (بالرها) من الروم الصليبين، وقصد بلد نصر بن مروان، ونهب وخرب[3]... وغير هؤلاء كثير.

وهؤلاء قال عنهم أبو العلاء المعري:

يسوسون الأنام بغير عقل ❖ فينفذ أمرهم ويُقال ساسه !! [4]

وقد صدق فيهم قول ابن العديم (المؤرّخ): كانوا يريدون بقاء الفرنج؛ ليثبت عليهم ما هم فيه[5].. ولو بذهاب الإسلام وقتل المؤمنين.

وبجوار هذا الفساد اشتغلوا بجمع الأموال لأنفسهم من غير حلها، مما أفقر شعوبهم وأنهك قواها الإنتاجية والحربية[6].

---

(1) راجع: الكامل في التاريخ لا بن الأثير 610/10.
(2) راجع: نفسه 413/9
(3) رنفسه 443/9.
(4) رأيعيد التاريخ نفسه ص18.
(5) راجع: الناصر صلاح الدين 37.
(6) اشتروا للوزير "المهلبي" في ثلاثة أيام وردًا بألف دينار ذهبي، وفرشوا به مجالسه، ثم طرحوه في بركة عظيمة (ضحى الإسلام 9/2)

هذا كله يرقبه الصليبيون، ويُشْعِلون ناره كلما خمدت؛ مما شجَّعهم على الاعتداء على الأمة، واغتصاب بلادها، وقَتْل مسلميها وتشريدهم، بلدة بعد بلدة، حتى سقطت القدس في أيديهم عام 492 هـ/1099م، وقتلوا من مسلميها مئات الألوف، حتى من احتمى بالمساجد قتلوه، وقد قتلوا في المسجد الأقصى وحده سبعين ألفاً، حتى جرت دماء المسلمين في شوارع القدس أنهارًا.

والسلطان مسعود السلجوقي يفرض على الناس ضريبة باهظة تثقلهم، وإذا طرب في مجلس الغناء وهب للمغني مثل هذه الضريبة مجتمعة (أيعيد التاريخ نفسه، 24، عن البداية والنهاية 237/12) =

= وأحصوا تركة الحاجب التركي "سبكتكين" مولى معز الدولة البويهي بعد موته فوجدوا منها: ألف ألف دينار ذهبي (مليون) وصندوقًا من الجواهر (أيعيد التاريخ نفسه 21 عن البداية والنهاية 301/11)... فكيف بالأمير نفسه ؟.

أنشأ عضد الدولة البويهي بستانًا بلغت النفقة عليه وعلى سَوْق الماء إليه خمسة آلاف ألف درهم (خمسة ملايين) (مروج الذهب 238/2).

هذا في الوقت الذي غادر فيه الفقية المالكي القاضي عبد الوهاب التغلبي بغداد؛ لأنه لم يجد فيها قوت يومه، وقال لمودّعيه: لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية، ما عدلت ببلدكم بلوغ أُمنية، وقال:

ظللت حيران أمشي في أزقتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

(راجع: فيات الأعيان 220/3، 221).

والأديب النحوي "أبي الحسن (عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَلِيِّ بنِ سَلَّك) الفَالِيُّ (بالفاء الموحدة نسبة إلى بلدة فَالَة بالفاء الموحدة.. بخوزستان توفي ببغداد فِي ذِي القَعْدَةِ سَنَة ثَمَانٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة (448هـ) باع كتبه من شدة فقره، وباع نسخة من كتاب "الجمهرة"، لابن دُريد، وكان شغوفًا بها، فاشترَاها الشريف المرتضي (علي بن طاهر) بستين دينارً فوجد عليها بخط أبي الحسن:

أَنِسْتُ بهَا عِشْرِيْنَ حَوْلاً وَبعْتُهَا ❖ لَقَدْ طَالَ وَجدِي بَعْدهَا وَحَنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي سَأَبيعُهَا .❖ وَلَوْ خَلَّدَتْنِي فِي السُّجُونِ دُيُونِي
وَلَكِنْ لِضَعْفٍ وَافتِقَارٍ وَصِبْيَةٍ ❖ صِغَارٍ عَلَيْهِم تَسْتَهِلُّ شُؤُونِي
وَقَدْ تُخْرِجُ الحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِك ❖ كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بهنَّ ضَنِيْنِ

فأرجع الشريف المرتضي النُّسخة إليه، وترك له الدنانير (رحمه الله تعالى) .

(راجع: سير أعلام النبلاء 54/18 ط الرسالة.. وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي 332/11 ط الكتب العلمية.. وصفحات من صبر العلماء 246 للعلامة: عبد الفتاح أبو غدة ط دار البشائر .. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد 171/5 ط دار ابن كثير .. وكلها ببيروت .

وقد ذكر أحد شهود هذه المجزرة من الصليبيين أنه لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا بصعوبة، وأن دماء القتلى وصلت إلى ركبتيه!!!

وبكى المسلمون القدس في كل مكان، ولم يتقدم أحد من قادتهم لنجدتها.

ذكر ابن الجوزي في مرآة الزمان (حوادث سنة 492هـ): أن قاضي دمشق أسرع مع جماعة إلى بغداد ليستثيروا الخليفة العباسي، ويدفعوه إلى الجهاد لنصرة القدس، وهناك في بغداد قطعوا شعورهم، واستغاثوا وبكوا، وقام القاضي في الديوان، وأورد كلامًا أبكى الحاضرين، لكن الخليفة قد بلغ من الضعف مبلغًا جعله لا يحرك ساكنًا، ولا يسكن متحركًا إلا شفتيه[1].

وبقيت فلسطين والقدس والمسجد الأقصى أسرى تحت أيدي الصليبيين في فترة ضعف الدولة الإسلامية.

لكن شاء الله أن لا يستمر هذا الضعف كثيرًا، ولا يستمر الاحتلال الصليبي لفلسطين طويلاً، فسرعان ما قيض الله حكامًا مجدّدين، جددوا لها وحدتها وقوّتها، وجدّدوا لها جهادها في سبيل الله، لحماية أمنها وتحرير أرضها، وإعادة مجدها، وصولاً إلى تحرير فلسطين والمسجد الأقصى، فظهر عماد الدين زنكي، ثم ولده نور الدين محمود، ثم صلاح الدين الأيوبي (رحمهم الله جميعًا)، وكل منهم كان يأمل أن يكون تحرير فلسطين على يديه، وكان العلماء في كل الأقطار الإسلامية وقتئذ يُشْعِلون جذوة الأمل في المؤمنين، وينزعون منهم فتيل اليأس، ويُبشرونهم بالنصر وتحرير القدس وفلسطين، حتى إن ابن برجان الأندلسي (!!) كتب سنة 522هـ يبشر المؤمنين بتحرير فلسطين وزوال الدولة الصليبية منها سنة 583هـ، وطمع نور الدين محمود أن يُحقّق الله تعالى تلك البشارة على يديه، وصنع منبرًا خاصًا ليضعه في

---

(1) التاريخ يعيد نفسه .. وفي عصرنا اجتمع وزراء العرب في لبنان لبحث اعتداء اليهود على لبنان، ويومها (الاثنين 2006/8/7م) بكى رئيس الحكومة اللبنانية "فؤاد السنيورة"، وأبكى الشعوب المسلمة الذين رأوه، لكن الوزراء العرب قد بلغوا من الضعف والخذلان مبلغًا جعلهم لا يحركون ساكنًا ولا يسكّنون متحركًا إلا أيديهم بالتصفيق. **(غضبي)**.

المسجد الأقصى بعد ما يتم له تحريره، لكن وافاه أجل الله قبل أن يتم له ما أراد[1]، وشاء الله أن يُحقق البشارة لخلفه صلاح الدين في معركته الشهيرة (حطين)، وهو الذي وضع المنبر في مكانه من المسجد الأقصى بعدما حرَّره من الاحتلال الصليبي البائد.

أمَّا صلاح الدين الأيوبي، فقد قال عنه مرافقوه: إذا رآه من رآه لا يراه إلا مهتمًّا مغتّمًا، تعلوه كآبة الحزن والأسى، ولما سألوه عن ذلك قال: كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذّة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين؟[2].

وقال صاحبه ومرافقه القاضي ابن شداد: كان - عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال[3].

ولهذا عمل على توحيد البلاد الإسلامية تحت سلطته، وخاصة بلاد الطوق المحيطة بفلسطين ـ العراق سوريا والأردن ومصر ـ مما أفزع الصليبيين، لأنهم

---

(1) قال ابن كثير: وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي يعني ابن برجان عن فتح بيت المقدس وأنه يُنزع من أيدي النصارى ـ ويعود إلى المسلمين ـ سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة هجرية (583هـ) ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف، وإنما أخذه فيما زعم من قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ (الروم:2، 3). =

= فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا. وكذا ، ويغلبون في سنة كذا وكذا على ما تقتضيه دوائر التقدير، ثم قال: وهذه نجابة، وافقت إصابة، إن صح.. قال ذلك قبل وقوعه، وكان في كتابه قبل حدوثه (راجع: البداية والنهاية 12/ 347.. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية 3 / 393 : 396 ،الأنس الجليل 1 / 331). قال ابن كثير: ذكر ابن برجان هذا في تفسير، في حدود سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة (522هـ) ويقال: إن الملك نور الدين محمود أوقف على ذلك، فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة هجرية، لأن مولده في سنة أحد عشر وخمس مئة هجرية فتهيأ لأسباب ذلك، حتى إنه أعد منبرًا عظيمًا لبيت المقدس إذا فتحه... والله أعلم (راجع: البداية والنهاية 347/12، 348)، ولكن البشارة تحققت لخلفه صلاح الدين، ولكل منهما أجر النية والإعداد، وهو الذي وضع المنبر مكانه في المسجد الأقصى.

(2) راجع: صلاح الدين الأيوبي... لعبد الله علوان، ص68.

(3) راجع: صلاح الدين الأيوبي لعبد الله علوان، ص68.

يعرفون حرصه على قتالهم؛ لأجل تحرير القدس وفلسطين من رجسهم.

قال ابن واصل: لما ملك صلاح الدين الديار المصرية أيقن الفرنج بالهلاك"[1].

وحارب - الصليبيين في كل بلد إسلامية احتلوها، وانتزعها منهم، حتى اشتبك معهم في معركته الفاصلة في حطين في 583/4/22هـ الموافق 1187/7/1م... وكان، - كالوالدة الثكلى، يجول بفرسه من طلب إلى طلب، ويحث الناس على الجهاد، ويطوف بين الجنود بنفسه، وينادي فيهم: يا للإسلام.. يا للإسلام.. وعيناه تذرفان بالدموع، وكلما رأى تخاذلاً من بعض جنوده صاح فيهم قائلاً: كذب الشيطان.. كذب الشيطان[2].

وفي رده على رسالة القائد الصليبي (ريتشارد قلب الأسد).. قال صلاح الدين: القدس إرثنا كما هي إرثكم، **من القدس عرج نبينا إلى السماء، وفي القدس تجتمع الملائكة، لا تُفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة.**

أما بالنسبة إلى الأرض فإن احتلالكم فيها كان شيئًا عارضًا، أو حدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء، ولن يُمكنكم الله أن تُشيدوا حجرًا واحدًا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد[3].

وقد حقق الله وعده للمؤمنين المجاهدين، ورزقهم النصر على الصليبيين، وهزموهم شرّ هزيمة، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا، حتى قال أبو شامة: إن من شاهد القتلى قال: ما هنالك أسرى، ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتلى، ومنذ استولى الفرنج على ساحل الشام ما شفي للمسلمين كيوم حطين[4].

وهذه المعركة كانت ضرورية لتحرير القدس بعد ذلك، وإعادة الأقصى مسجدًا لله تعالى كما كان، وقد استلمه المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي

---

(1) راجع: الناصر صلاح الدين د. سعيد عاشور 85.

(2) راجع: صلاح الدين عبد الله علوان، ص68.

(3) راجع : صحيفة الحياة اللندنية في 1996/1/27م .. إسلامية الصراع حول القدس ص9 د محمد عمارة.

(4) راجع: الناصر صلاح الدين، د. سعيد عاشور، 193.

في ظهر يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب عام 583هـ الموافق 1187/10/2م... وجاء صلاح الدين بالمنبر الذي أعده نور الدين محمود ووضعه في مكانه من المسجد الأقصى.

وهكذا حقق الله للمؤمنين المجاهدين وعده بالنصر والتمكين، وعادت فلسطين والقدس إلى الإسلام بعد مئة سنة تقريبًا من الاحتلال الصليبي.

ثالثًا: واقعة التتار في عين جالوت

لم تمض أعوام كثيرة بعد موت صلاح الدين الأيوبي، حتى تفرقت أقطار الخلافة العباسية مرة أخرى بيد أمرائها، الذين فرقتهم الأهواء والشهوات، وتعادوا فيما بينهم، واشتغلوا بجمع الأموال والإقطاعات، وأهملوا المصالح الكلية للأمة، واستعان بعضهم على بعض بالصليبيين! وهم أعداؤهم التاريخيون.. "ورجعت ريمة إلى عادتها القديمة" كما يقولون **(غضبي)**.

أما الخليفة العباسي، فقد كان ـ كما وصفه ابن طباطبا ـ ضعيف الرأي، قليل الخبرة بالمملكة، مطموعًا فيه، وكان زمانه ينقضي في سماع الأغاني والتفرج على المساخر، وكان أصحابه (حاشيته) مستولين عليه، وكلهم من أراذل العوام.

أجل، بلغ الخليفة العباسي من الضعف والغباء مبلغًا كبيرًا، جعله يفقد تأثيره خارج قصره، ويترك إدارة الدولة لوزيره الشيعي، وهو (مؤيد الدين بن العلقمي) واشتغل هو بجمع المال لخاصة نفسه؛ تأمينًا لمستقبله المالي ولو في غير صالح دولته وأمته.

ومن ثمّ استطاع هذا الوزير أن يَكيد للدولة الإسلامية بأكبر خطيئتين:

الأولى: أعان الخليفة على غَفْلته، وجمْع المال واكْتنازه لخاصة نفسه، مثلما أعانه على التفرغ لنسائه وجواريه؛ لينفرد هو بدولة الخلافة.

الثانية: زيّن للخليفة إضعاف جيش الخلافة؛ بتقليل عدد جنوده، وتقليل نفقاته؛ ليتوافر المال لخزانته الخاصة.

ذكر ابن كثير أن الوزير محمد بن أحمد بن العلقمي اجتهد في صرف جيش دولة الخلافة، وإسقاط اسم جنوده من الديوان (حتى تسقط نفقتهم من الدولة وينصرفوا عن الجهاد، وتضعف الدولة).

قال : وعلى الرغم من أن التتار كانوا يتقدمون نحو بغداد كانت جيوش بغداد في غاية القلة، ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم بقية الجيش، وكلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم، حتى استعطي كثير منهم (تسوّلوا) في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لحالهم، ويحزنون على الإسلام وأهله [1].. مما كان سببًا في هزيمة الدولة الإسلامية بيد

---

(1)راجع : البداية والنهاية 13/ 214 ، 215 ط . دار الفكر بتصرف يسير .

الواضح أن الخليفة العباسي وقتئذٍ كان في غفلة عمياء ، فلم يعرف أن عقوبة الفساد مستمرة ـ وإن تنوعت أساليبها ـ حتى تسقط الدولة، ما لم يتداركها العقلاء، وقد رأى الخليفة المستعصم بنفسه طرفًا من ذلك قبل أن يقتله المغول رفسًا بأقدامهم..!.

يقول الهمذاني في كتابه (جامع التواريخ): إن هولاكو بعد أن اقتحم بغداد دخل قصر الخلافة، وأشار بإحضار الخليفة المستعصم، وقال له: أنت مُضيف ونحن الضيوف.. فهيا أحضر ما يليق بنا، فأحضر الخليفة وهو يرتعد من الخوف صناديق المجوهرات والنفائس، فلم يلتفت إليها هولاكو، ومنحها للحاضرين، وقال للخليفة: إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة، وهي ملك لعبيدنا، لكن اذكر ما تملكه من الدفائن، ما هي وأين تُوجد؟.

فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا الأرض حتى وجدوه، وكان مليئًا بالذهب الأحمر، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال.. واستحق الخليفة احتقار هولاكو السفاك الدموي، إذْ تعجب هولاكو، كيف يكون للخليفة كل هذه الكنوز ثم يبخل على الجنود بأرزاقهم؟!!. (راجع: تراثنا الفكري بين الشرع والعقل 123 :119).

ذكر مؤرخونا أن "هولاكو" قائد التتار حينما احتل بغداد أمر بسجن الخليفة العباسي حتى

التتار عام 656هـ.

ورافق ذلك ـ بطبيعة الحال ـ إهمال ولاة الأقاليم، ومسؤولي الوظائف العامة النظر في المصالح المصيرية للدولة، واشتغلوا هم الآخرون بجمع المال والإقطاعات لخاصة أنفسهم، واشتد ظلمهم للناس. والمال قد يدوم مع الكفر، لكنه لا يدوم مع الظلم.

ولهذا ضعفت دولة الخلافة اقتصاديًا وعسكريًا، وشاع الجهل والفقر بين الناس، وغابت العدالة الاقتصادية بينهم، فعرفنا أن شيخ الفراشين: (عبد الغني ابن فاخر) شيخ الفراشين في قصر الخلافة، يعيش عيشة الملوك، فكانت داره تشمل عدة حجرات وفي كل حجرة جارية وخادمة وخادم، ثم رتب لكل جارية عملاً، فواحدة لطعامه، وأخرى لشرابه، وأخرى لفراشه، وأخرى غسالة، وأخرى طباخة.

وفي المقابل كان أعظم العلماء وقتها لا يتقاضى أحدهم أكثر من (12) دينارًا شهريًا فحسب،وذلك هو المرتب الذي كان يأخذه علماء المدرسة المستنصرية. (أكبر مدارس بغداد بمثابة الجامعة في عصرنا).

وابن القوطي وابن الساعي أشهر مؤرخي هذا العصر كان كلاهما يأخذ راتبًا شهريًا قدره عشرة دنانير، فأين أولئك من شيخ الفراشين في قصر الخليفة؟![1].

اشتد عليه ألم الجوع، ،حتى قرب هلاكه؛ فأخذ يتوسل إلى حرّاسه أن يمدّوه بما يسد رمقه من الطعام والماء، فأمر "هولاكو" أن يحمل إليه صحفة مملوءة بالذهب، وطلب إليه أن يأكل ما فيها، وتعجب الخليفة من ذلك، وقال لهولاكو: كيف يمكن أكل الذهب؟ فرد عليه "هولاكو": إذا كنت تعرف أن الذهب لا يؤكل، فلماذا احتفظت به ولم توزعه على شعبك؛ حتى يصون لك ملكك (محمد بن قلاوون ص53، د. محمد عبد العزيز).. أرأيتم هذا الدرس الأليم؟!.

(1) راجع: غارة التتار على العالم الإسلامي، لابن الحسن الندوي، ص8.. تراثنا الفكري بين الشرع والعقل 109: 112.

وفي ذلك الوضع المقلوب لابد أن تكتمل الصورة المقيتة لأية إمبراطورية على وشك السقوط بغض النظر عن اللافتة التي ترفعها، سواء كانت إمبراطورية فارسية أو بيزنطية أو رومانية أو عباسية.

فالقاعدة الإلهية تقول: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء:16).

ولا يمكن أن يحل التدمير إلا إذا استشرى الظلم ولم يجد من ويقاومه، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود:117)[1].

ولم يكتف الوزير ابن العلقمي بما فعله لإضعاف الدولة الإسلامية وجيشها، بل كان ماضيًا في خيانته للدولة الإسلامية إلى آخر الشوط، فكان ـ أخزاه الله ـ يُكاتب التتار، ويُعرِّفهم بحقيقة حال الدولة الإسلامية وضعفها، ويكشف لهم قلة جيشها وضعفه، ويُطْمعهم في احتلال بلادها وأخْذها، وسهَّل عليهم ذلك[2].

وكان التتار يرقبون هذه الحال في دولة الخلافة، ولما تأكد لهم ترديها في الضعف على هذا النحو الذي كاشفهم به الوزير ابن العلقمي حزموا أمرهم، وجمعوا جمعهم وداهموها، والخليفة العباسي في قصره لا يفعل شيئًا ذا بال

---

(1) راجع: غارة التتار على العالم الإسلامي 13.. تراثنا الفكري بين الشرع والعقل 109: 112..

(2) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 215/13 ط. دار الفكر .. بتصرف يسير.

وقد لوحظ: أن مؤرخينا مثل ابن كثير في البداية والنهاية 201/13 والسيوطي في تاريخ الخلفاء 472، يُحمِّلون الوزير الشيعي: ابن العلقمي مسؤولية هذا كله، ولكني لا ألومه إنما ألوم الخليفة نفسه، فقد كان ضعيفًا، وهو الذي استوزره، وهو الذي ترك الأمر له، وهو استسلم لآرائه، فهو الذي يحمل مسؤولية ذلك كاملة، كما ألوم كبار الدولة من العلماء والوزراء وأصحاب المال الذين رأوا ضعف الخليفة، وفساد الوزير ابن العلقمي، وسكتوا عنهما، فهم مسؤولون أيضًا.

ويبدو أن من العلماء والشعراء قال بقولي هذا، قال أحدهم:

يا فرقة الإسلام نوحوا واندبوا ❖ أسفًا على ما حل بالمستعصم

دَسْتُ الوزارة كان قبل زمانه ❖ لابن الفرات فصار لابن العلقمي.

(راجع: حسن المحاضرة للسيوطي 129/2).

للدفاع عن دولته ورعيته، ويكفي لبيان ضعفه وغبائه أنه عندما عرف باقتراب التتار من بغداد لم يحرك ساكنًا، بل قال: أنا بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها علي إذا ما نزلت لهم عن باقي البلاد[1]. (سحقًا، سحقًا).

ولهذا لم يجد التتار مقاومة تردّهم أو حتى تعوق تقدمهم، فاحتلوا أقطارًا كثيرة في دولة الخلافة، وعاثوا فيها فسادًا قتلاً وتخريبًا، حتى نزلوا بغداد، وعكفوا على قتل المسلمين فيها، وتخريبها أربعين يومًا تقريبًا، كما قال المؤرخون.

قال ابن كثير: وما زال السيف يقتل أهل بغداد أربعين يومًا، ولما انقضى الأمر المقدور، وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلا من استطاع الاختفاء من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء، والطعن والطاعون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[2].

وقيل: إن هولاكو أمر بعدّ القتلى بعد ذلك، فكانوا ألف ألف (مليون) وثمان مئة ألف قتيل مسلم، وقيل : ألفي ألف (أي مليونان من المسلمين)[3].

---

(1) راجع: الناصر محمد بن قلاوون 52 سلسلة أعلام العرب - مصر.

(2) راجع: البداية والنهاية 3 / 216 .

(3) لم ينج منهم أحد سوى اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم (!؟)، وإلي دار الوزير ابن العلقمي الشيعي، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا، بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم، وعادت بغداد كلها كأنها خراب، بعدما كانت آنس المدن (راجع البداية والنهاية 215/13).
وذكر المؤرخون : أن التتار بعد أن انتفعوا بخيانة ابن العلقمي لدولة الخلافة نبذوه وأذاقوه سوء الهوان ، فصار لديهم خادمًا مخذولاً بعد أن كان في دولة الخلافة وزيرًا مرفوعًا .
قال ابن كثير : حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْوَجَاهَةِ فِي أيام المستعصم ما لم يحصل لغير، مِنَ الْوُزَرَاءِ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ الكفار (ولاكوخان) حتى فعل ما فعل بالإسلام وأهله مما تقدم ذكره، ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدي التتار الذين مالأهم وزال عنه ستر الله،

هذا على وجه التقريب، وإلا فإنهم يزيدون على المليونين بكثير.

وطلبت النصارى في بغداد أن يقع الجهر بشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وأن يفعل معهم المسلمون ذلك في شهر رمضان، وأريقت الخمور في المساجد والجوامع، ومنع المسلمون من الإعلان بالأذان" (إذلالاً لهم)[1].

هذه المصيبة بلغ من هولها وشدتها أن وصفها ابن الأثير بقوله: الحادثة العظيمة، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، وعمّت الخلائق، وخصّت المسلمين فلو قال قائل: إنّ العالم منذ خلق الله (8) آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة[2].

والذي ساعد على وقوع هذه المصيبة بهذه الشدة، هو الاستسلام السريع والمفاجئ لسيوف التتار نتيجة لضعف إدارة الدولة من ناحية، ونتيجة للرعب منه، واليأس من مقاومته، حتى اعتبره الناس بلاء سماويًا لا فرار منه، ومقاومته لا

وذاق الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان وهو راكب في أيام التتار (برذونا) وهو مُرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه وقالت له : يَا ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ هَكَذَا كَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعَامِلُونَكَ؟ .. فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهَا فِي قَلْبِهِ، وَانْقَطَعَ فِي دَارِهِ إِلَى أَنْ مات كمدا وغبينة وضيقا، وقلة وذلة، فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ(656هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي قُبُورِ الرَّوَافِضِ، وَقَدْ سَمِعَ بِأُذُنَيْهِ، وَرَأَى بِعَيْنَيْهِ مِنَ الْإِهَانَةِ مِنَ التَّتَارِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ (راجع : البداية والنهاية لابن كثير 13 / 225 ط دار الفكر) .. وهذا شأن الخائنين لأمتهم في كل عصر .

(1) راجع: طبقات الشافعية للسبكي 114/5، 115.

(2) راجع: غارات التتار 20 عن الكامل لابن الأثير 148/147/12.

فلاح فيها، وقالوا في مثلهم السائر: **إذا سمعت أن التتار قد انهزموا فلا تصدق**[1].

ومع هذا كله لم تطل هذه المصيبة الكبيرة بالمؤمنين، ولم يَدم الاحتلال التتاري لأرض الإسلام طويلاً، ولم يقتل إرادة الجهاد والرباط في المؤمنين العاملين، فسرعان ما انتفض المؤمنون، واستولى القائد البطل قطز على السلطة لأجل مقاتلة التتار، وقال للأمراء بوضوح (657هـ): إني ما قصدت السيطرة على الحكم إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم، أقيموا في السلطة من شئتم[2]. وأعدوا العدة تحت قيادة القائد المملوكي المسلم (قطز)، وقد قال لهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر.

فقال السلطان: إن المال في خزانتي قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال

---

(1) العجيب أن هذا اليأس من النصر على التتار وصل إلي مصر .. قال صاحب النجوم الزاهرة: إن بعض القلوب قد أيست من النصر على التتار، وأجمعوا على حفظ مصر لا غير؛ لكثرة عدد التتار، واستيلائهم على معظم بلاد المسلمين، وأنهم ما قصدوا إقليمًا إلا فتحوه، ولا معسكرًا إلا هزموه، وهرب جماعة من المغاربة الذين كانوا في مصر إلى المغرب، وهرب جماعة أخرى إلى اليمن والحجاز، والباقون بقوا في وجل عظيم، وخوف شديد يتوقعون العدو، وأخذ البلاد (معارك العرب ضد الغزاة، د. محمد عمارة 108، 109).

ألا يعيد التاريخ نفسه في عصرنا؟.. ففي أيام الاعتداءات اليهودية على المؤمنين في فلسطين، وعلا صوت المؤمنين في مصر بالجهاد، قال طاغية مصر المخلوع: جيش مصر لحماية أمن وحدود مصر... وفي الاعتداءات اليهودية الأخيرة على المؤمنين في لبنان (1427هـ/2006م). قال نفس المخلوع: إن مصر لا تدخل في محاور مع أحد ضد أحد(!!)، وإن جيش مصر يقوم بواجبه تمامًا في حماية حدود مصر، وإن مهمته الأساسية الدفاع عن تراب الوطن المصري (الصحف المصرية، مثل الأهرام في 2 رجب 1427هـ، 2006/7/27م).. وكان هذا إخطارًا رسميًا لإسكات المطالبين بالجهاد من ناحية، ولطمأنة اليهود وتشجيعهم علي الاعتداء علي فلسطين ولبنان من ناحية أخرى، فلماذا خرج الجيش المصري عن حدود مصر إلى الكويت لإخراج العراق منها سنة 1991م ؟.. ألا يعيد التاريخ نفسه ؟.. لكن قطز كان أميرًا حرًا في ثوب مملوكي، فقد رفض اليأس وانطلق= = مجاهدًا وحقق النصر، ودفع عن مصر وعن الأمة خطر التتار إلى الأبد... فهل أحرارنا في مصر وغيرها من بلاد الإسلام على مستوى ولاء هذا المملوكي لمصر والأمة؟... (سحقًا.. سحقًا)

(2) راجع : قصة التتار 245 د . راغب السرجاني .

التجار (أي يأخذ الضريبة منهم).

فقال العز بن عبد السلام: إذا أحضرت ما عندك وما عند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي، وضربته سكة ونقدًا ،وفرقته في الجيش، ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت اطلب القرض (اجمع الضريبة منهم) وأمّا قبل ذلك فلا.

وأحضر السلطان والأمراء والعسكر كل ما عندهم من ذلك بين يَدي الشيخ، كما أمرهم.

وتهيّأ جيش الجهاد وغادر مصر بقيادة "قطز"، والتقى بجيش التتار في المعركة الفاصلة في عين جالوت، وكان ذلك بعد طلوع شمس يوم الجمعة في رمضان 658هـ، وحمي وطيس المعركة واشتد سعارها، وكان "قطز" - ينتقل بين جنوده من مكان إلى آخر، ومن طلب إلى طلب، راكبًا وراجلاً؛ يحثهم على الجهاد والثبات والصبر، ولما رأي اضطرابًا في جناحهم الأيسر ألقى بخوذته من فوق رأسه على الأرض، وصرخ فيهم بأعلى صوته: **واسلاماه.. واسلاماه.. واسلاماه..** واقتحم بنفسه صفوف القتال يسد الثغرة، ويُقيل العثرة، حتى أقبل المُدْبر، وتشجع الجبان، وأقدم الشجاع، وتماسك الجيش، وأقدم على النصر، وحقق الله وعده للمؤمنين ورزقهم النصر على التتار، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا؛ حتى أزالوا وجودهم من بغداد ودولة الخلافة.

قال السيوطي: فهُزم التتار شر هزيمة، وانتصر المسلمون -ولله الحمد - وقتل من التتار مقتله عظيمة، وولوا الأدبار وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم[1].

وعندئذ ذهب الخوف واليأس من صدور المؤمنين، وتشجعوا على مقاتلة التتار، وهزموهم بعد ذلك عدة مرات بقيادة القائد المملوكي المسلم "بيبرس"

---

(1) راجع: تاريخ الخلفاء، للسيوطي 475.

وسقط المثل القائل: "إذا سمعت أن التتار قد انهزموا فلا تصدق"[1].

وكشف الله عن المؤمنين الغمة، وعلاهم النصر بعد الهزيمة، والأمن بعد الخوف والعزة بعد الذلة، والأمل بعد اليأس.

الانتصار النهائي للإسلام على التتار

ثم كان الانتصار النهائي للإسلام على جحافل التتار، لكن لم يكن هذه المرة بالدروع والسيوف، إنما كان بالقرآن والدعوة باللسان، فقد أسلم التتار ودخلوا في الإسلام أفواجًا أفواجًا؛ حتى عمهم وغدوا جنودًا أوفياءً له، بعد أن كانوا سيوفًا عليه، وزال خطرهم عنه إلى الأبد، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(الصف:9).

(1) راجع: غارة التتار 27، كما سقطت في عصرنا أسطورة "الجيش اليهودي الذي لا يُقهر" التي أشاعوها اليهود قبل معركتهم مع المؤمنين في مصر عام 1393هـ/1973م.. وفي معركتهم مع حزب الله في لبنان (1427 هـ -2006م).

التاريخ يعيد نفسه
وإسرائيل لابد أن تزول بإذن الله

ودارت الأيام دورتها، وأعاد التاريخ نفسه بأحداثه ومواقفه، فقد ضعفت دولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وأُلغيت (الدولة الإسلامية الواحدة) عام 1924م لأول مرة في التاريخ الإسلامي، وتفرقت أقطارها شذر مذر، وأصبح كل قطر منها دولة مستقلة بأميرها وجيشها.. وأضحى أمراؤها صغارًا كصغرها، وضعفاء كضعفها.. وقد فرقتهم الأهواء[1]. وباعدت بينهم الخصومات، واختلفوا في كل شيء، ولم يتفقوا إلا في تفريق الأمة، وخذلان بعضهم عن نصرة بعض، وموالاة اليهود والنصارى، وتقديم التنازلات لهم؛ ليستمدوا منهم العون في بقائهم في مناصبهم، حتى أصبح بقاؤهم في الحكم مرهونًا برضا هؤلاء اليهود والنصارى، وهم أعداء الإسلام التاريخيون.

ولهذا، ظهرت موجة عالية في بلاد الإسلام في تقليد اليهود والنصارى في العادات والتقاليد والأخلاق والقوانين المخالفة للإسلام، وظهرت أصوات تشكك في سلامة العقيدة الإسلامية، وعدالة الشريعة الإسلامية، واعتبرت ذلك حضارة وعقلانية، وهو ما سماه العلماء الوعاة (ردة ولا أبا بكر لها)[2]، مما أدى بطبيعة الحال إلى ضعف الأمة اقتصاديًا وعسكريًا ودينيًا؛ حتى اغتصب اليهود فلسطين، واشتغلوا في اغتصاب ما يجاورها وقتل المؤمنين فيها وتشريدهم.

ثم اغتصب الصليبيون برئاسة أمريكا العراق عام 2003م، وبمعاونة أذيالهم من الحاكمين العلمانيين العرب، وقتلوا من مسلميها قريبًا مما قتل التتار أو

---

(1) وزادوا الطين بَلة أن العلماء التابعين للحكام العلمانيين وظَّفوا فتاواهم حسب أهواء هؤلاء الحكام، فيوم أن كان المسلمون يُقاتلون اليهود المعتدين لأجل فلسطين أصدر هؤلاء العلماء فتاوى بتحريم الصلح مع اليهود المعتدين (وحُقَّ لهم)، ويوم أن عقد الحكام العلمانيون مع هؤلاء الأعداء معاهدة سلام أصدر نفس العلماء فتاوى بجواز الصلح معهم (غضبي).

(2) عنوان رسالة لأبي الحسن الندوي ط. دار المختار الإسلامي - مصر.

أكثر، ومع هذا لن تستمر هذه النكبة الأليمة طويلاً – إن شاء الله –، ولن يدوم ضعف الأمة الإسلامية إلى الأبد، فدوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:140).

وسيعيد التاريخ نفسه، ويقيّض الله للأمّة مثل أبي بكر الصديق وصلاح الدين الأيوبي والمظفر قطز، يجدّدون لها وَحْدتها وقُوَّتها وجهادها، وينطلقون بها مجاهدين في سبيل الله؛ ويُحررون أرض الإسلام، حتى تزول دولة اليهود الثانية بإذن الله، وتعود فلسطين إلى الإسلام كما كانت، وهذا ما يعرفه الدّارسون اليهود أنفسهم ويعملون لمنع حدوثه، وهيهات لهم ذلك.

ويؤكد هذا أوجه التشابه القائمة بين دولة الاحتلال الصليبي البائدة في فلسطين، ودولة الاحتلال اليهودية الثانية (المعاصرة)، مثل:

1 -أن الدولة الصليبية البائدة لم تقم في فلسطين إلا في ظل فُرْقة الأمة وضعفها يومئذ، وكذلك الدولة اليهودية المعاصرة لم تقم في فلسطين إلا في ظل تفرق الدولة الإسلامية وضعفها، واشتغال قادتها بأهوائهم عن المصالح الكلية للأمة.

أجل، إن أوضاع العالم الإسلامي التي أدّت إلى الاحتلالين (الصليبي البائد، واليهودي المعاصر) تتشابه إلى حدّ التطابق.

فقبل الاحتلال الصليبي البائد كان العالم الإسلامي قد تمزّق شذر مذر.. وأصبح أقطارًا متفرقة ومتعادية، وسيطر عليها قيادات ضعيفة عفنة، أخمدت فيها الحس، ، ولم يدرك أيّ منها أن خطر العدو عليهم أجدر بالاهتمام من خلافاتهم؛ وبالتالي فقدت هذه القيادات الرغبة في المقاومة، قبل أن تفقد قدرتها عليها.

ولهذا حينما احتل الصليبيون القدس لم تحرك هذه الإمارات ساكنًا لنجدتها، وبدت كلها كأنها خاوية أو تسكنها أشباح، وسيف العدو يفتك بإخوانهم عند

حدودها، بل كانت كل إمارة تقف ساكنة حتى يفرغ العدو لها ويُهاجمها.

هذه الأوضاع هي ذاتها التي خيّمت على العالم الإسلامي في عصرنا، وأدّت إلى الاحتلال اليهودي الحاضر.. فقد تفرّقت أقطار الدولة الإسلامية مرة أخرى، وأصبح كلٌ منها دولة مستقلة، وسيطر عليها ذات القيادات الضعيفة العفنة، التي غلبت عليها الغفلة، وموْت الحس، حتى غلّبوا الاشتغال بأطماعهم وأهوائهم عن المصلحة الكبرى للأمة، ولم يعُد أيٌ يحس أنّ خطر الاحتلال اليهودي عليهم وعلى أقطارهم أكبر من أطماعهم وخلافاتهم.. وأراهم الآن فقدوا الرغبة في تحرير فلسطين قبل أن يفقدوا القدرة عليه.

2 ـ وفي الاحتلال الصليبي البائد تدفّق على فلسطين أكثر من مليون مقاتل صليبي، لا تربطهم بفلسطين أيّ صلة، ولا يملكون أيّ حق فيها إلا الادّعاء الخاطئ بوجود رابطة دينيّة تربطهم بها، وقد جاؤوا بهدف ديني هو : استخلاص الأرض المقدّسة (أورشليم) من الكفرة الوثنيّين (أي المسلمين)، ووقف اضطهادهم للمسيحيين، وأن هذا يبيح لهم إبادة أهلها أو طردهم منها، وإغراقها في الدّم والحديد والنار.

الطابع نفسه يميّز الاحتلال اليهودي الحاضر؛ حيث تدفق إلى فلسطين ملايين اليهود من كل أقطار الأرض، توحّدهم عصبيّة دينيّة، وادّعاء خاطئ بوجود حقّ ديني لهم في فلسطين، يستبيحون به إبادة شعبها وتشريدهم وإغراقهم في حرب لا نهاية لها إلا بزوال الاحتلال اليهودي، كما انتهى الاحتلال الصليبي البائد.

3 ـ والصليبيون حين أقاموا دولتهم البائدة أسرفوا في قتل مسلمي فلسطين وتشريدهم، فبقروا البطون، ومثلوا بالموتى، واستهانوا بكرامة الإنسان، وكذلك اليهود في الحاضر يفعلون هذا وأكثر، فما من بلدة احتلوها إلا وأسْرفوا في قتل أهلها والتمثيل بموتاهم، مثلما فعلوا في قرية "ديرياسين" وغيرها من قرى فلسطين؛ مما أيقظ الأمة من نومها على

كابوس مفاجئ؛ مما دعا الكاتب الأجنبي "انتوني لويس" إلى القول: إن الوضع في إسرائيل يتجه نحو كارثة، وأن إسرائيل تقوم على تدمير نفسها بما ترتكبه من حماقات[1].

4 ـ الدولة الصليبية البائدة اعتمدت في حياتها على المساعدات الخارجية من أوروبا الصليبية، وخاصة في مواجهة المؤمنين المجاهدين، وكذلك الدولة اليهودية المعاصرة تعتمد في حياتها على الإمدادات الخارجية من أوروبا وأمريكا، ولو انقطعت هذه الإمدادات عنها لسقطت أمام ضربات المجاهدين المؤمنين.

وهذا ما يخافه الإسرائيليون أنفسهم، ويسعون إلى استمرار تدفق هذه المساعدات إليهم.

ذكرت صحف الإعلام وقتئذ أنّ القائد الإسرائيلي " **إسحاق رابين** " بعد الانتصار اليهودي على العرب عام 1967م ذهب في جولة إلى أوروبا لجمع التبرّعات، واحتفت به الدوائر الأوروبية.

وفوجئ جمهور المحتفين بالإسرائيلي المنتصر يُنْذرهم بأنّ إسرائيل مهددة بالزّوال، وأنّ الطريقة الوحيدة لاستمرارها هي تدفق الإمداد عليها من منبعها، واستمرار تدفق الأموال والرجال. وأعلن في الاحتفال الذي عُقد في "بازل"؛ احتفالاً بالذكرى السبعين للمؤتمر الصهيوني الأول: إنّ مصير إسرائيل سيكون نفس مصير مملكة "أورشليم " التي أقامها الصليبيون في القدس منذ ثمانية قرون.0 أنذرهم بأنّ مصير إسرائيل هو الزوال إذا ما وقع الغرب الخطأ نفسه الذي ارتكبه مع مملكة الصليبين عندما ظنّ أنها استقرت وانتصرت؛ فقطع معونته عنها، فكان أن ابتلعها المحيط العربي.

5 ـ وكما كانت الدولة الصليبية في فلسطين خليطًا غير متجانس من الصليبيين الغربيين والشرقيين، وفرض كل منهم عاداته وأخلاقه على

(1) راجع: الأهرام المصرية 1990/5/2م.

الحياة في فلسطين، وقال المؤرخ الأوربي "جوستاف لوبون": إنه لم تمض عشرون سنة حتى عرفت فلسطين ما عرفته أوروبا من نظام الإقطاع والأخلاق الأوروبية وغيرها[1].

وكذلك الدولة اليهودية المعاصرة في فلسطين خليطٌ غير متجانس من اليهود الغربيين البيض الذين يمثّلون طبقة أعلى، واليهود الشرقيين غير البيض الذين يمثّلون طبقة أدنى، وبينهما خلافات وصراعات خافية وطافية، وصرح الدكتور "موشيه" من كبار اليهود الشرقيين بأن الاضطهاد العنصري ضد اليهود الشرقيين اضطهادٌ حقيقيٌ وليس مُخْتَلَقًا[2].

وفي هؤلاء وأولئك يهود لم تختلط دماؤهم بدم أجنبي، وعادت من بابل؛ لتعيد بناء الهيكل، ويصفون أنفسهم بالقسم المقدّس أو بالبذور المقدّسة. ويهود آخرون اختلطت دماؤهم بدماء أجنبيّة، وعلى هؤلاء أن يقنعوا بالمهن الحقيرة في القرى، ولا ينافسون أبناء القسم الأول في امتيازاتهم، ولا في القيادة التي هي حقّ من حقوقهم (هكذا يزعمون)[3].

وهؤلاء وأولئك فرضوا عاداتهم وتقاليدهم على الحياة في فلسطين، ممّا أزعج الدارسين الموالين لهم، مثل:

القس الأمريكي "هو مر أوجل" الذي زار "إسرائيل"، وهزه فيها اختلاف القيم والمبادئ والأخلاق؛ مما جعله يقرر أن استمرار هذه الدولة ـ بهذا الحال ـ فيه قضاؤها على نفسها[4].

"وانتوني ناتنج" وزير بريطانيا التي غرست الدولة اليهودية في فلسطين يؤكد

---

(1) راجع: حضارة العرب 328.
(2) راجع: اليهودية 132 -عن نهاية إسرائيل 48.
(3) راجع: اليهودية 133
(4) راجع: اليهودية 133.

أن إسرائيل مقضيٌ عليها عاجلاً أو آجلاً (!!) وهو يُدلّل بهذا الرأي على أن تجربة دولة بأجناس مختلفة تجربة فاشلة، وقد سبق فشلها في التاريخ عندما غزا الصليبيون الشرق وعاشوا فيه، وأقاموا دولة استمرت مئة عام، وانتهت بعودتهم إلى أوطانهم من جديد[1].

وقال الكاتب البريطاني "نيفل باريو": إسرائيل لن يمكنها الاستمرار كدولة أوروبية تعيش فوق أرض عربية، إن هذا استعمار (احتلال) صريح.

6 ـ وكما قامت الدولة الصليبية البائدة بالبغي والعدوان والقتل والإرهاب مما دفع المسلمين إلى أن يعدوا العدة ويجمعوا القوة، ويحرروا فلسطين بقوة السلاح.. فكذلك الدولة اليهودي الثانية في عصرنا قامت بالبغي والعدوان والقتل والإرهاب؛ مما سيدفع المسلمين ـ عاجلاً أو آجلاً ـ إلى إعداد العدة، واستجماع القوة، وتدارك ما فاتهم، والعودة إلى تحرير فلسطين.

وهذا ما خافه مركز دراسات روسي في تقريره الذي أصدره عام 2002م يؤكد أن زوال إسرائيل بعد عشرين عامًا من تاريخه لهذا السبب الذي ذكرناه، ومما ذكره هذا التقرير أن: إعتماد الكيان الصهيوني على العمل العسكري في إثبات وجوده، وهي نقطة حسب التقرير تُعجل بزوال الكيان الصهيوني، فمسألة القدرة العسكرية غير دائمة لفريق ما أو دولةٍ ما، وإنما يتغير بتغير الأحوال السياسية والقدرات.. والتقرير يقول: إن ظهور أي قوة عسكرية في المنطقة توازي قوة الكيان الصهيوني عسكريا يعني ذلك أن أجلَ الكيان قريب،وهذا يُفسر الاعتراض الصهيوني والأمريكي على إمتلاك إيران لقوة نووية قد تتفوق من خلالها على الكيان الصهيوني[2].

---

(1) راجع: مزاعم اليهود في فلسطين د. مجدي الصافوري.. عن اليهودية لأحمد شلبي 133، 134.

(2) شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت).

7 ـ ومع أن الصليبيين احتلّوا فلسطين وأقاموا عليها دولتهم البائدة عشرات السنين بالبغي والعدوان عجزوا عن قتل إرادة الجهاد والمقاومة في الأمّة، وظل المؤمنون مرابطين مجاهدين يتحيّنون الفرصة لإخراجهم منها، وكان العلماء يُحيون فيهم غِراس الأمل، وينزعون منهم سُموم اليأس، ويبشرونهم بين حين وآخر بإزالة الدولة الصليبية وتحرير فلسطين على أيديهم.

ومن هؤلاء العلماء ابن برجان الأندلسي، الذي كتب في تفسير أول سورة الروم يُبشر المؤمنين المجاهدين بتحرير فلسطين من الاحتلال الصليبي عام (583 هـ) مما جعل القائد المسلم نور الدين محمود (رحمه الله) يأمل أن يكون تحقيق هذه البشارة على يديه ؛ فكان رحمه الله يُسارع الخطى لأجل ذلك، ولكن شاء الله أن تتحقق البشارة لخلفه صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) في معركته الكبرى (حطين) وهو الذي وضع المنبر في المسجد الأقصى بعد تحريره [1].

وكذلك اليهود في عصرنا مع أنهم أقاموا دولتهم المعاصرة في فلسطين منذ عشرات السنين إلا أنهم عجزوا – وسيظلون عاجزين – عن قتل إرادة الجهاد والمقاومة في الأمة، ولازالت حركة الجهاد في فلسطين والعراق قائمة، وإخوانهم من حولهم يتحينون الفرصة لمن يقودهم للنهوض معهم.. وهانحن بهذا الكتاب وغيره نروي غِراس الأمل في المؤمنين، وننزع سموم اليأس منهم، ونبشرهم بأن النصر وتحرير فلسطين آت – إن شاء الله – (تحقيقًا لا تعليقًا) فإني أرى تباشيره قد لاحت من قريب.. إنّهم يرونه بعيدًا وأراه قريبًا.

ولهذا؛ فاليهود الذين يعتبرون فلسطين أرضهم الموعودة، وجنّتهم المنشودة يشعرون فيها بالغربة، وبخيبة الأمل، ويسيطر عليهم اليأس من بقاء دولتهم الثانية

---

(2) راجع : البداية والنهاية 347/12، 348 .

(إسرائيل) ووجدنا كثيرًا منهم يديرون عجلة العودة إلى أوطانهم التي جاؤوا منها فيما يسمونه الهجرة المعاكسة.

وقد كتب الإسرائيلي: "إفرايم سقيلا" كتابًا عنوانه: "وداعًا يا إسرائيل" توقع فيه نهاية إسرائيل، وقال: أن تخرج من روسيا هذا صعب، وأن تبقى في إسرائيل هذا أصعب.. يولد مرة أخرى من يخرج من روسيا، ويموت مرة أخرى من يدخل إسرائيل[1].

وكتبت مجلة "يديعوت أحرنوت" الإسرائيلية في 2002/1/27م، مقالاً بعنوان: "يشترون شققًا سكنية في الخارج؛ تحسبًا لليوم الأسود".. وهو نهاية إسرائيل بأيدي المؤمنين.

وكتب الإسرائيلي "إتيان هابر" في المجلة السابقة في 2001/11/11م مقالاً بعنوان: "ليلة سعيدة أيها اليأس.. والكآبة تكتنف إسرائيل.." وتوقع نهاية الاحتلال اليهودي لفلسطين قياسًا على نهاية الاحتلال الأمريكي لفيتنام أمام إصرار الفيتناميين على المقاومة.. وقال: إن جيش الحفاة في "فيتنام" الشمالية قد هزم الأمريكيين المسلحين بأحدث الوسائل القتالية، ويكمن السر في أن الروح المعنوية هي التي دفعت المقاتلين وقادتهم إلى الانتصار.. الروح تعني المعنويات والتصميم، والوعي بعدالة النهج والإحساس بعدم وجود خيار آخر، وهو ما تفتقده إسرائيل التي يكتنفها اليأس[2].

أي أن السؤال المطروح اليوم على موائد اليهود: هل للصهيونية مستقبل في فلسطين؟.. أجاب بعضهم قائلاً: قبل حلول عام 2025م سوف ينتهي الحلم الصهيوني في

---

(1) راجع: وجع في قلب إسرائيل 173.

(2) راجع: من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية 129: 134

فلسطين؛ لو استمرت العمليات الاستشهادية بنفس درجة القوة التي هي عليها الآن[1].

وتأمل التساؤل الذي طرحته مؤخرًا مجلة "النويزويك" الأمريكية في عددها قبل الأخير: هل ستبقى إسرائيل؟. الشيء الوحيد الذي يجتمعون عليه هو الخوف، فإسرائيل إلى زوال[2].

8 ـ إن الذي أضعف الدولة الصليبية البائدة حتى أزيلت من فلسطين هو كتائب الجهاد من المؤمنين التي ظلّت مرابطة مجاهدة، تحت قيادة نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، وقد عثر أحد علماء الآثار في وادي "الجوز" بالقدس على صهريج بداخله كتابات قرأها أحد علماء فلسطين، وأكّد أنها أسماء لمجاهدين مع نور الدين محمود، وقد كتب أمام كل اسم منهم: "خرج وهو يسأل الله الشهادة"[3].

والذي يوهن الدولة اليهودية الثانية في فلسطين الآن، ويغرس فيها الرعب واليأس من البقاء، وينتصر عليها هم كتائب الجهاد من المؤمنين أيضًا، مثل المجاهدين من رجال الحركة الإسلامية الذين حاربوا اليهود وأوجعوهم في معركة عام 1948م، ومثل حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وسيظل هؤلاء المؤمنون قائمين بالجهاد؛ حتى يزيلوا هذه الدولة اليهودية الثانية من فلسطين إلى غير رجعة كما أزالوا الدولة الصليبية البائدة إلى غير رجعة.

9 ـ وقد أخطأت بعض القوى العربية الهزيلة منذ (900) سنة في فهم الطبيعة الاستيطانية لاستعمار الفرنجة. (كما يخطئ بعض الأحفاد اليوم) فحاولت أن تقوم بدور العمالة له، راجية أن تعيش في كنفه وحمايته تحت وهم (سلامة المستسلمين) والعيش في حمايته ما داموا لا يُكنّون له أيّة

---

(1) راجع: تحرير فلسطين 223، د. السيد عبد الستار.. وللأسف خفتت العمليات الاستشهادية تحت ضغوط العلمانيين العرب.

(2) راجع: آفاق عربية في 2/12 /1423 هـ/ 25/ 4/ 2002م على لسان اللواء صلاح سويلم.

(3) راجع: واقدساه 282/1.

نوايا عدوانية؛ وبذلك سيبادلهم هؤلاء الغزاة سلامًا بسلام، وتبقى لهم مُمْتلكاتهم، ولو اجتاح الطوفان الأرض الإسلامية من حولهم. ولكن هذه النوايا الاستسلامية لم تُفِدهم شيئًا، فقد ظل أمير دمشق يوصف بأنه الحليف الوحيد للصليبيين بين أمراء المسلمين في بلاد الشام حتى فوجئ بهجوم شامل شنّته قوات الغزاة على المدينة في تموز (1148م). ولم ينقذها من الاحتلال والإبادة إلا هبّة المدن والولايات الإسلامية لنجدتها.

ويتكرر هذا في عصرنا، حيث نجد من القيادات العربية الهزيلة من يوصف بالحليف أو الصديق للصليبيين (في أمريكا أو أوروبا).. ولن يُفيدهم ذلك شيئًا[1].

10 ـ وثمة تشابه آخر هو: أنه في سنة (1100م) أعلن الصليبيون الغزاة: أنه قد تمّ تحرير القدس بصفة نهائية، وإنها تحولت إلى الأبد إلى مملكة لاتينية، وأنها ستبقى هكذا إلى أن تبيد الأرض. أو يبيد الصليبيون. وطبعًا كان الحل الثاني هو الأسهل، وزالت الدولة الصليبية البائدة من فلسطين، وتكفّلت بذلك القوى الإسلامية المجاهدة.. وفي سنة (1967م) أعلن اليهود في "إسرائيل" تحرير القدس إلى الأبد، وأنها العاصمة الأبدية لإسرائيل.. وسيحدث لهم ولدولتهم المعاصرة ما حدث لأسلافهم الصليبيين ودولتهم، وتبيد بأيدي المؤمنين المجاهدين – إن

---

(1) كالوزير ابن العلقمي الذي باع نفسه لأعداء المؤمنين (التتار) فما لبث أن خذلوه و أذلوه بعد انتفاعهم بخيانته لأمته ، كما ذكرنا من قبل .

ومثله في عصرنا : شاه إيران (محمد شاه بهلوي) الذي كان يُوصف بالحليف الأول للصليبيين في المنطقة الإسلامية ، فعندما أفل نجمه ولم يعد له نفع للصليبيين خذلوه ، ومالوا نحو القيادة الجديدة ، حتى أبوا أن يستقبلوه ضيفًا على أرضهم أمريكا أو أوربا !!.

ومثله الطاغية المصري محمد حسني مبارك الذي أعطى لليهود ـ ألدّ أعداء المؤمنين ـ كل ما يُريدونه ، حتى أضر ببلده وشعبه .. وعندما قام المصريون بثورتهم الشعبية ضده وخلعوه في صفر 1432هـ .. يناير 2011م ابتعد عنه من كان ينتفع به من الصليبيين واليهود ، وتبرءوا منه .

شاء الله (تحقيقًا لا تعليقًا).

11 ـ والكاتب اليهودي "يوري أفنيرى" استنبط من كتاب "تاريخ الحملات الصليبية" لكتابه "ستيفان روشمان" عبرًا وتشابهات بين دولته اليهودية المعاصرة، وسابقتها الصليبية البائدة في فلسطين؛ مما أزعجه، وكتب يقول: إنه وصل إلى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين مقابل قطاع غزة التي تهدف إلى حماية ممتلكاتهم من العرب، وأصيب باضطراب شديد بسبب تفكير إسرائيل في احتلال المواقع نفسها عندما كان هو نفسه جنديًا في الجيش الإسرائيلي عام 1948م.

ويضيف أنه خلال قراءاته لكتاب "روتسمان" كانت تبرز أمام ذهنه مئات التشابهات الصغيرة والكبيرة، حتى بين الشخصيات الصهيونية المعاصرة وتلك الصليبية البائدة، ويقول متسائلاً: أيّ إسرائيلي يا ترى يطابق أمير الجليل الصليبي؟.. ومن هو الإسرائيلي الذي يشبه أمير الأردن الصليبي؟... إن التشابه مثير للغاية.

ويقتبس "افنيري" فكرته القائلة بأن الخطأ الذي وقع فيه الصليبيون إنما يكمن في اعتمادهم على الإمدادات المالية والتبرعات من أوروبا، إضافة إلى الهجرات من الغرب، كما هو حال اليهود في دولتهم المعاصرة في فلسطين.

وطبعًا هو لا يريد دولته هكذا معتمدة على الخارج، بل يريدها معتمدة على نفسها، والاندماج في جيرانها المسلمين اقتصاديا؛ ليتفادي سببًا كبيرًا من أسباب سقوط الدولة الصليبية البائدة.

12 ـ ولعل ما عزّز هذه الفكرة لدى اليهودي "أفنيرى" أنه لمس أن هناك عاملين أساسيين أدّيا دورًا حاسمًا في إنهاء الاحتلال الصليبي، واندثار الدولة الصليبية البائدة في فلسطين، وهما:

أ ـ الرفض العربي والإسلامي لشرعية الاحتلال، والإصرار على مجاهدته

حتى زال إلى غير رجعة.

ب ـ ثم منطق الاحتلال اليهودي نفسه الذي لا يستطيع إلا معاداة العرب والمسلمين، والتحالف مع الغرب الصليبي.

وفي هذا الإطار، يلاحظ "أفنيرى" أن وضع الدولة اليهودية المعاصرة منذ قيامها شبيه تمامًا بوضع الدولة الصليبية البائدة في هذه الناحية.

و"أفنيري" باعتباره يهوديًا يخشى أن يكون مصير دولته اليهودية المعاصرة في نهاية المطاف كمصير الدولة الصليبية قبل حوالي ثمانية قرون، وإن كان يحاول استبعاد هذا الكأس عن دولته؛ استنادًا إلى فرضِيّة تقول: إن التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمي، أو بصورة ميكانيكية[1].

وأقول: إن ما يخشاه اليهودي "أفنيري" آتٍ – إن شاء الله – عاجلاً أو آجلاً، ولن يحول دون مجيئه قوة في الأرض، ولا زال التاريخ يعيد نفسه – ولو في الجملة -فالرفض الإسلامي للدولة اليهودية لا زال قائمًا، وسيبقي قائمًا، والجهاد الإسلامي لإزالتها لازال مُستمرًا، وصلاح الدين الأيوبي ليس شخصًا قد مات، إنما هو ظاهرة جهادية تتجدد كلما طغى المعتدون، وكل آتٍ قريب، وإن استبعده الظالمون واليائسون.

وهذا ما لاحظه المستشرق اليهودي "ليبل مارتيون" صاحب كتاب "أبطال التاريخ" قال: إذا كان تفرق العرب وتناحرهم الداخلي وراء صولة المتطرفين الصهاينة، وجولتهم الاستفزازية، وتفوقهم العسكري والحربي معتقدين أنهم قادرون على طرد العرب، وطمس معالم العروبة بآلة الحرب، والسلاح النووي فإنهم واهمون أو مخدوعون؛ لأن هزيمة العرب وانكساراتهم كفيلة بأن تفتح عيونهم على عيوبهم، فيعرفون أن سر قوتهم في وحدتهم وصمودهم، والتاريخ يحكي لنا أن الصليبيين من قبل ظنوا، كما ظن تلامذتهم الصهاينة الآن،

---

(1) راجع: مجلة الدوحة القطرية في ديسمبر 1981م.

وفجأة ظهر صلاح الدين، فسارت الجيوش العربية وراءه، وحققوا نصرًا تاريخيًا[1].

والحاخام اليهودي "ألمر بيرجمر" – مدير الجمعية الأمريكية اليهودية العالمية عام 1956م – كتب كتابًا عنوانه "إسرائيل باطل يجب أن يزول" وهو بهذا العنوان يتوقع ما ن،نُبشِّر به المؤمنين ويؤكده، وكان مما قال: الوقت يمرّ، ونحن عنه وعن الحقيقة في شغل، وعاجلاً أو آجلاً – وأظن أنه في القريب العاجل – سيتسنّى للإمكانات الهائلة الكامنة في الأقطار العربية أن تحْجب كل إمكانية محدودة النطاق في إسرائيل.

إن السباق غير متكافئ، والعقلاء معدودون في إسرائيل، والقوى المعنوية لا وجود لها... ولن تلبث الساعة أن تأزف، وحينذاك لن ينقذ إسرائيل من نهايتها المحتمة إلا المدفع الأمريكي والسلاح الأمريكي.

فهل تفعل أمريكا ذلك؟.. وهل تتدخل حين يتمخّض الدهر عن جنين الحق، حتى يُبعث الحق من جديد، وحتى يخفق نور طمسته السياسة، وأخمدته الأهواء.

وتكون المأساة الحقيقية – عندئذ – مأساة مليون يهودي (حسب عددهم وقتذاك 1956 م).. أدخل في روْع يهود العالم أنهم أنقذوهم، مع أنهم فعلوا ذلك على أنقاض أمة هي صاحبة الحق الشرعي، وعلى جماجم شعب لم يسئ إلى أحد، وتكون المأساة، مأساة هؤلاء اليهود الذين لا يفهمون ما يحيكه الصهاينة، وما يُبيِّته المتآمرون: "والسن بالسن، والعين بالعين".

قانون عادل حكيم، وقول مأثور لنا نحن، أو لحكمائنا وأنبيائنا.. اهـ.

ويقول أيضًا في سياق آخر: ألم يدرك ساسة إسرائيل أن الوقت ضدهم، وأنهم وصلوا إلى قمة قوتهم، ولن يرتفعوا أكثر؟.. وأن العرب لم يصلوا بعد للذروة، بل هم

---

(1) راجع: كتابنا "القدس والوعد المفترى"، ص30، ط ثانية عن مجلة منار الإسلام.

يتقدمون نحوها، وأنهم متى وصلوها وتسنَّموها ذهب كل أمل لإسرائيل؟".

"إن إسرائيل لن تفلح في سلخ البلاد العربية عن بعضها البعض، لقد تكتل العرب بقوة، وإن خالفت السياق أحيانًا بعض الحكومات، ولكن الحكومات تمضي والشعوب تبقى، لقد تكتل العرب، وسوف يسددون إلى قلب إسرائيل ضربة قاصمة إن لم تفيء إلى نفسها وترجع إلى صوابها".

"أمّا هذه المناورات الصهيونية العقيمة، وأمّا هذه الاعتداءات الغادرة فلن يكون لهما إلا الصدى المقيت، الذي يزيد تكتل العرب وإصرارهم على تمزيق إسرائيل، ولو كُبِّدوا من جراء ذلك ما كُبّدوه".

"إن قوة العرب متى وُحِّدت، أصبحت قوة هائلة مخيفة، إنها متى أدمجت أضحت قوة عالمية باطشة، تقيم حول بلادها وشعوبها ستارًا حديديًا لا يخترقه المدفع الإسرائيلي الصدئ، ولا يقوى على هدمه الدولار الأمريكي، الذي يرسله يهود أمريكا[1]" أ.هـ.

أجل، إن الذي لفت نظري وشدّ انتباهي أن الدّارسين اليهود يعلمون علم اليقين أن المؤمنين قادمون.. قادمون لتحرير فلسطين، وستزول الدولة اليهودية بأيديهم، ويُجاهرون بهذا لخاصتهم، ولكن يُخفونه عن عامتهم.

وجاء في ذلك أقوال عنهم لم يكذبها أحد، نسوق منها هنا ما يكفي للبيان.

1 ـ ذكر الواقدي في المغازي أن الحارث بن عوف اليهودي (زعيم يهودي خيبري) التقى بعُيَيْنة بن حصن (وهو قائد غطفاني) وكان حليفًا ليهود خيبر، وحريصًا على نصرتهم، وباءت كل محاولاته لنصرتهم بالفشل، فعاد بالذلة والصغار.

قال له الحارث (اليهودي): ألم أقل لك إنك توضع (أي نصرتك لليهود) في غير شيء؟.. والله ليَظهرنّ محمد على مَنْ بين المشرق والمغرب، واليهود كانوا يخبروننا هذا، أشهد لسمعت أبا رافع: سلام بن أبي الحقيق (من علماء اليهود) يقول: إننا

(1) راجع: إسرائيل باطل يجب أن يزول 154، 172، 173، صراع الوجود والبقاء.. فلسطين 109، 110.

نحسد محمدًا على النبوة، حيث خرجت من بني هارون وهو نبي مرسل، واليهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان: واحد بيثرب، وآخر بخيبر.

قال الحارث: قلت لسلام: يملك الأرض جميعًا؟

قال: نعم، والتوراة التي أنزلت على موسى، وما أحب أن تعلم اليهود بقولي هذا[1].

هذا ما حدث قديمًا منذ فجر الإسلام، ونقله المؤرخون بغير نكيرٍ من أحد.

2 ـ أما ما حدث في عصرنا فقد نقله الكاتبون عن الداعية الإسلامي العراقي محمد أحمد الراشد. قال: عندما أُعْلن عن قيام دولة إسرائيل عام (1948م) دخلت عجوز يهودية عراقية على أم محمد الراشد وهي تبكي، فلما سألتها عن بكائها، وقد فرح اليهود؟.

قالت: إن قيام هذه الدولة سيكون سببًا في ذبح اليهود.

ثم يقول الراشد: إنه سمعها تقول: إن هذه الدولة ستدوم 76 سنة.. والله أعلم بهذا التحديد[2].

3 ـ وذكر شيخنا محمد الغزالي - قصة سمعها في فلسطين، قال: وأذكر القصة الآتية، سمعتها عندما كنت في الأرض المحتلة من فلسطين الجريح.

قال الراوي: طلب "موشي ديان" – وزير الإرهاب اليهودي – من أحد أعيان العرب أن يتناول الغداء في بيته، فذهب العربي إلى أسرته يخبرها الخبر، ويستعد لهذا الغداء المفروض عليه، وكان للرجل ابن متحمس عميق الإيمان، خاصم أباه، وأعلن سخطه على مجيء "موشي ديان" إلى بيتهم، ولكن الأب أعلن أن لا مفر، ولابد من قبول الأمر الواقع.... وقال لابنه: اترك البيت حتى يتم الغداء.

---

(1) راجع: المغازي للواقدي 677/2... الصراع مع اليهود 70/3.

(2) راجع: بنو إسرائيل من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر د. محمد الحسيني إسماعيل 180 نقلا عن كتاب نهاية إسرائيل في القرآن لمحمد إبراهيم مصطفي.

وخرج الولد مقهورًا، ولكنه مكث قليلاً بعيدًا عن بيته، ثم عاد ليقول لموسى ديّان: يا جنرال، لا يَغُرَّنك النصرُ الذي أحرزته، إنه نصر موقوت، وقد عرّفنا نبينا ﷺ: أننا سنقاتلكم، وننتصر عليكم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، ورائي يهودي فتعال فاقتله، فضحك "موشى ديان"، وقال للشاب المتحمس: يستحيل أن يقع هذا ما دمنا نحن نحن، وأنتم أنتم.

أقول – والعهد على الراوي –: هذا القول ينطبق عليه القول المأثور: صدقك وهو كذوب[1].

وقد قرأت هذه القصة بعبارات مختلفة، ومعنى واحد، فهل تكررت أم تطورت؟.

على كل حال، قرأت أن وزير الإرهاب اليهودي "موشى ديان" دخل إحدى قرى فلسطين، وأخذ يصافح شبابها، ورفض شاب مؤمن من هذه القرية أن يمد يده ليصافحه، وقال له:

أنتم أعداء أمتنا، تحتلون أرضنا، وتسلبون حريتنا، ولكن يوم الخلاص منكم لابد آت بإذن الله تعالى؛ لتتحقق نبوءة رسول الله ﷺ: كما جاءت عَنْ نَهْيكِ بْنِ صُرَيْمٍ السَّكُونِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَتُقَاتِلُنَّ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ عَلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ شَرْقِيَّهُ وَهُمْ غَرْبِيَّهُ »، وَلَا أَدْرِي أَيْنَ الْأُرْدُنُّ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَرْضِ[2].

فابتسم الإرهابي "موشى ديان" وقال: حقًا سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض، وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلاً.. ولكن متى؟.

---

(1) راجع: جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، والحديث "صدقك وهو كذوب" صحيح: أخرجه البخاري، وغير، عن أبي هريرة.

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات 426/9 ترجمة رقم 4586 ، وَالْبَزَّارُ كما في كشف الأستار 4 /138 رقم 3387 ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 12542: أخرجه الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَزَّارُ ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ ثِقَاتٌ.

إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه، ويحترم دينه، ويقدر قيمته الحضارية، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه، ويتنكر لتاريخه، عندها تقوم لكم قائمة، وينتهي حكم إسرائيل[1].

5 ـ وأورد أحمد رائف في كتابه الهام "البوابة السوداء" هذا الحوار الذي دار في سجن طره المصري بين المعتقلين من الإخوان المسلمين ومعتقلي اليهود عقب حرب عام 1967م، التي انهزم فيها العرب العلمانيون أمام اليهود.

قال: وكنا نجادلهم في كثير من الأحيان ونقول لهم: في القرآن الكريم إنكم تفسدون في الأرض مرتين، وفيه أيضًا: أننا نقاتلكم ونطردكم من أرض فلسطين، ونحن على يقين من هذا.

ويقول قائلهم في هدوء: ونحن على يقين مثلكم، فقد حكت التوراة عن هذا، ولكن ليس في هذا الجيل، أنتم أضعف من أن تفعلوه، ونحن أقوى من أن نهزم أمامكم.

وتستفزني هذه الصفاقة الهادئة، فأقول: عجيب أمركم.. هل ترى هذا حقًا؟.

ويرد في هدوء: اسأل نفسك، ألا تقرأ صحف الصباح؟!!.. انظر فيها لتعرف الفرق بين العرب وإسرائيل، ثم أنت تقول: إن المسلمين هم الذين يهزمون اليهود.. أين هم المسلمون؟.. هم جميعًا في السجون!!.

وحتى يتوحد العرب يحتاجون إلى جيلين.. أمّا أن تخرجوا أنتم من السجن، وتحكموا البلاد فأمرٌ بعيد، وسوف يحول بينكم وبين هذا إخوانكم من الحكام.. وأمّا إن حدث ذلك فتلك قصة أجيال تذهب وتجيء، ونحن لن نشهد منها شيئًا، ولن يشهدها واحد فينا.

أمَّا هذه الأيام، فهي عصر اليهود، لقد بذل الحكماء والكبراء فينا أعمارهم

---

(1) راجع: مبشرات النصر والتمكين، د. سيد حسين العفاني 123.

وأموالهم من أجل الوصول إلى هذه الأيام، وقد شهدها جيلنا، وأنتم تعيشون عصرنا الذهبي، وسوف يمكّننا الرب من مصر، وطني إسرائيل من الفرات إلى النيل.

وأفقت مذعورًا على كلامه: أعوذ بالله، لن يكون هذا في حياتنا أبدًا.

وبهدوء الواثق قال: لو امتد بك العمر فسوف ترى هذه الحقيقة، وبعدها الأيام دول، وليفعل بنا الرب ما يشاء، وقد نسينا وصايا الرب لموسى؛ فشردنا في الغرب قرونًا، ونحن الآن نعود إليها، والرب جبار وقاهر، وهو رحيم وعادل أيضًا[1].

(1) راجع: صراع الوجود والبقاء.. فلسطين 176، 177، عن كتاب البوابة السوداء، لأحمد رائف.

هل تنتهي دولة اليهود الثانية؟

ذكـــرت جريـــدة "عقيـــدتي" المصـــرية في 1427/11/14 هـــ الموافـــق 2006/12/5م تحت عنوان: "إسرائيل تبحث احتمالات استمرارها حتى عام 2020م". وذكرت: أن اليهود يُدركون أن وجودهم في فلسطين وجود طارئ، وأنّهم يعيشون دائمًا هاجس الرحيل، وانتهاء دولتهم عن أرض فلسطين، وقالت:

والدليل على ذلك حجم الدراسات والأدبيات الإسرائيلية التي تحدّثت عن نهاية إسرائيل، وحال اليهود مع الشتات الثالث، وآخرها تلك الدراسة الأكاديميّة التي أعدّتها الجامعة المفتوحة في إسرائيل، ووضعت لها عنوانًا رئيسًا هو: "عام 2020م".. **هل تكون إسرائيل موجودة في المنطقة؟**"؟.

والدراسة أعدّتها الجامعة، أو بالأحْرى بدأت في إعدادها عقب حرب لبنان الأخيرة (1427هـ/2006م) التي مُنيت فيها بخسارة ساحقة، بشهادة خبرائها العسكريين.. وفي التقرير الذي أعدّه القائمون بالدراسة جاء: إن إسرائيل عقب انتهاء حربها الأخيرة في لبنان، فإن عددًا كبيرًا من اليهود بدؤوا يشعرون أن إسرائيل تحيا في خطر كبير، وأن التهديد بفنائها مستمرٌ من الشمال ومن الجنوب ومن الغرب ومن الشرق، ومن هذا المنطلق فإن علماء أكاديميين من الجامعة المفتوحة قرّروا عقد جلسات مناقشة لدراسة مستقبل إسرائيل، والبحث حول فرص إسرائيل في الوجود مستقبلاً.

وفي تصريحات خاصة لصحيفة "يديعوت أحرونوت" العبريّة، أكّد البروفيسور اليهودي "**العازر شتورام**" رئيس المؤتمر: أن العديد من الشخصيات الدينيّة اليهودية، ومنهم الحاخام الأكبر "يشعياهو ليبوبيتش"، يُؤكّدون أن مستقبلاً مظلمًا ينتظر إسرائيل؛ حيث قال "**ليبوبيتش**": إنني صراحة لا أعرف حقيقةً إذا كانت إسرائيل سوف تستمر في الوجود على الأرض كدولة حتى عام (2020 م) أم لا؟.. إننا إذا كنا طرحنا سؤالاً عن مستقبل إسرائيل قبل حوالي خمسة عشر عامًا فإن الإجابات كانت ستختلف دون شك.

ومن بين المشاركين في هذا المؤتمر البروفيسور "**أبيشاي بروما**ن" الذي أكّد أن الشخصيات التي تحكم إسرائيل حاليًا لا تفهم شيئًا، ومن الصعب أن يفهم أحد في أيّ شيء.. هم لا يفهمون، وهو ما يجعل مستقبل إسرائيل غير مضمون.

أمّا البروفيسور "**أرنون سُوفير**" فأكّد: أن غياب الحل العادل للمشكلة الفلسطينية، والإبادة الجماعية والأزمات الإنسانية التي يتعرّض لها الفلسطينيون هي السبب في تزايد حدّة الخطر على مستقبل دولة إسرائيل، بالإضافة إلى الخطر الذي تشكّله إيران وأوروبا التي تسير في اتجاه الإسلام بصورة مخيفة.

وأوضح المشاركون في المؤتمر الإسرائيلي: أن على إسرائيل أن تتخلّى عن رباطها الاستراتيجي بأمريكا وأوروبا، وتغيّر من سياستها، وخاصّة الداخليّة منها، ومن الأفضل تعيين حكومة "تكنوقراط" (كفاءات) بصورة أو بأخرى في إسرائيل.

وهكذا أكّد العديد من الأكاديميين اليهود شُكوكهم في مستقبل إسرائيل على مدى فترة زمنيّة قصيرة للغاية، والغريب – كما قلنا – أنّ هذه الدراسة ليست الدراسة الإسرائيلية الوحيدة التي تحدّثت عن قرب النهاية، فقبل فترة زمنيّة قصيرة صدر في إسرائيل كتاب تحت عنوان "الآن ينتهي إرسالنا" وهو من إعداد مجموعة من زعماء المستوطنين اليهود، والذين أكّدوا في كتابهم عن قرب نهاية إسرائيل؛ بسبب تشدّد زعمائهم، ورفضهم للحلول التي تُطرح عليهم من أجل إنهاء القضيّة الفلسطينية، وهو الأمر الذي سيؤدّي في النهاية إلى غضب العرب واتجاههم نحو إنهاء القضيّة على طريقتهم.

وكل هذه الدراسات تؤكد أن كابوس النهاية يطارد اليهود في كل زمان ومكان.

ونشرت شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) آخر التصريحات تصريح اليهودي العجوز (هنري كيسنجر) ووزير خارجية أمريكا خلال حرب أكتوبر المجيدة وصل الى نتيجة، وهى أنه في خلال عشر سنوات ستزول اسرائيل من الوجود،

كما نشرت جريدة «نيويورك بوست» بالحرف الواحد علي لسانه في 30 أكتوبر 2012. وقد نشر موقع كاوكاز سنتر هذا التصريح النادر على النحو التالي:

طبقاً للتقارير الصحفية فإن هنري كيسنجر ومعه ست عشرة ادارة استخبارات أمريكية اتفقوا في الرأي على أنه في المستقبل القريب ستزول اسرائيل من الوجود، ونقلت جريدة «نيويورك بوست» تصريح كيسنجر حرفياً بأنه خلال عشر سنوات ستزول اسرائيل.

وكان هذا التصريح مباشراً، ولم يقل إن اسرائيل في خطر، ولكن لإنقاذها من الزوال يتعين منحها تريليونات اضافية من الدولارات، وسحق ما يكفي من اعدائها على يد الجيش الامريكي.

وصرح كيسنجر ببساطة أنه بحلول عام 2022 ستكون اسرائيل قد زالت من الوجود، وتتفق أجهزة المخابرات الأمريكية مع رأي كيسنجر، ولكنها تختلف معه في تحديده لتاريخ زوال اسرائيل بحلول عام 2022 بالتحديد.

وهناك ستة عشر جهاز استخبارات أمريكياً أصدرت هذه الأجهزة تقريراً مشتركاً من 82 صفحة يتضمن تحليلاً سياسياً عنوانه: «الإعداد لشرق أوسط بعد زوال اسرائيل«

قال سهيل كيوان: أعرب بنيامين نتنياهو عن مخاوفه من زوال دولة إسرائيل، وشبهها بدولة الحشمونائيم، التي عاشت حوالي ستين عاما في القرن الأول قبل الميلاد، وقال إنه يريد أن تعيش إسرائيل حتى تبلغ العام المئة. (انتهى من شبكة المعلوات الدولية أو الانترنت).

وحرب لبنان المشار إليها في التقرير (عام 1427هـ/2006م) قد انتصر فيها المقاتلون العرب على الجيش اليهودي المدجّج بأحدث الأسلحة، وجعلوا جنوده يفرّون كالجرذان، ويختبئون في دبّاباتهم التي لم تكن مُحَصّنة من ضربات هؤلاء المقاتلين.

وظل اليهود مختبئين في ملاجئهم تحت الأرض طوال شهر المعركة (رجب/ يوليو) حتى تحدث المفكرون اليهود عن غروب دولة إسرائيل وزوالها.

وهذا نستفيد منه درسين هامّين:

1 ـ أن اليهود جبناء، وأن جيوشهم مهما تسلحت بأقوى الأسلحة فهزيمتهم ممكنة، وأن زوال علوهم ودولتهم من فلسطين ميسورٌ بأيدي المؤمنين العاملين.

2 ـ وأن الذين يَهزمونهم ويُزيلون دولتهم كتائب الجهاد من أهل الإيمان.

إبعاد الإسلام عن المعركة لأجل بقاء الدولة اليهودية الثانية وأمنها.

ولهذا؛ يحرص اليهود وحلفاؤهم من العلمانيين العرب على إبعاد الإسلام عن معركة المؤمنين ضد الاحتلال اليهودي بشتى الوسائل، بإبعاد المسلمين عن إسلامهم فكرًا وسلوكًا، وغرس التبعية للفكر الغربي (اليهودي والنصراني) بينهم.. وإبعادهم عن الجهاد، ومصطلحاته وثقافته، فيقولون: القومية المصرية، أو القومية السورية، أو القومية الجزائرية، ولا يقولون الأمة الإسلامية.. ويقولون: النضال.. ولا يقولون: الجهاد.. ويقولون: الصمود، ولا يقولون الرباط والمُصابرة.. ويقولون: الميليشيات، ولا يقولون: المجاهدين.

وبجوار هذا يعملون لغرس روح اليأس من مقاتلة اليهود ومن تحرير فلسطين قريبًا أو بعيدًا.

كل هذا ليظل المسلمون في غفلة ساهين، وغمرة لاهين عن حقيقة المعركة التي تُبيّت ضدهم، وعن هدفها الحقيقي، حتى يسهل على اليهود هزيمتهم وذبحهم واغتصاب أرضهم، وبقاء دولتهم (إسرائيل) بأقل التكاليف، وأيسر السُّبل.

نشرت وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة أن الحاخام اليهودي"**مردخاي فرومان**"

فاجأ مستمعيه في المعبد بأنه يملك حلاً قويًا؛ لإنهاء الصراع اليهودي مع الإسلام إلى غير رجعة.

وموجزه - كما ذكر الحاخام لوسائل الإعلام -: أن تبذل الدوائر الصهيونية في إسرائيل والعالم كله جهدها؛ لعلْمَنة المجتمع الإسلامي، بحيث يتم القضاء على أسس الإسلام وتعاليمه وتاريخه في شخصية المسلم وحياته (تجفيف منابع التدين)، عن طريق نشر الإباحية وثقافة الجنس والدعارة والمخدرات ونحو ذلك بشتى الوسائل، ثم قال: إن على إسرائيل أن تنسى تمامًا أيَة محاولة للتخلص من المسلمين عسكريا، فلن تبلغ ذلك أبدًا، ما دام بَقي في داخلهم أدنى علاقة بهُويتهم الإسلامية، ولكن إسرائيل تستطيع عقب علمنتهم التخلص منهم بسهولة منقطعة النظير[1].

ومن المؤسف أن العلمانيين العرب يستجيبون لإرادة اليهود في هذا، ويقومون بعلمنة الدول الإسلامية التي تحت أيديهم و(تجفيف منابع التدين فيها)، [2].

هذا في الوقت الذي يحرص القادة اليهود في حكومتهم على أن تكون دولتهم دينية على ما في دينهم من التحريف والبطلان.. ومنذ عامين تقريبًا أعلنوا أن دولتهم يهودية يعني خالصة لليهود والديانة اليهودية (عجبي).

وإليكم هذا الخبر الوثيقة:

في مقال رئيس في 1978/3/18م انتقدت صحيفة "يديعوت أحرونوت".. التلفزيون اليهودي لقيامه بإجراء مقابلات مع الخائن الماروني "سعد حداد"، كما انتقدت بشدة تمادي التلفزيون اليهودي لإبرازه معالم الفرح والبهجة التي عمَّت القُرى النصرانية المارونية؛ لاحتلال الجيش اليهودي جزءًا كبيرًا من الجنوب اللبناني في 1978/3/15م.

---

(1) راجع: عقيدتي 1427/8/5هـ الموافق 2006/8/29م.. أرأيتم لماذا يبعدون المسلمين عن إسلامهم؟

.

(2) هل يفعلون ذلك بسذاجة، أو بغفلة، أو بضغوط أهوائهم، أم بولائهم لليهود والصليبيين؟!..والاحتمال الأخير أرجح ، لأجل بقائهم في الحُكم ، وسرقة شعوبهم .

وبـرَّرت الصـحيفة انتقادهـا الشـديد بـأن ذلـك التصـرف الطـائش تسبّـب في حـدوث ردة فعـل عنيفـة بـين المسـلمين في لبنـان، وكـل البـلاد العربيـة، وحتـى في فلسطين المحتلة أيضًا.

وأن ذلك قـد حـرك فـيهم الـروح الإسـلامية مـن جديـد، وهـو الأمـر الـذي ظلـت إسرائيل وأصدقاؤها يحاولون تَغييبه وكبته، والقضاء عليه طيلة الثلاثين عامًا الماضية.

وأردفت الصحيفة في تحليلها الرئيس قائلة:

إن علـى وسـائل إعلامنـا ألا تنسـى حقيقـة هامـة هـي جـزء مـن اسـتراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هـذه الحقيقـة هـي: أننـا قـد نجحنـا بجهودنـا وجهـود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عامًا، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية، بأيّ شكل وبأيّ أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة لإيقاظ الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا.

واختتمت الصحيفة تحليلها قائلة:

ولكـن تلفزيوننـا الإسـرائيلي وقـع في خطـأ أرْعـن، كـاد أن ينسـف كـل خططنا، فقد تسبّب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية، ولو على نطاق ضيّق، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا، وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا في المقابل في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب[1]، فإن على إسرائيل

---

(1) أصدقاؤها: هم العلمانيون العرب من الحكام.. وهذا يفسر ويبين لنا السبب الحقيقي للاضطهاد الذي يصبه هؤلاء الحكام على أبناء التيار الإسلامي (الإخوان المسلمون خاصة) .. إنه لأجل

حين ذاك أن تواجه عدوًا حقيقيًا لا وهميًا، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيدًا عن المعركة، وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهوديًا أو إذا قتله يهودي[1].

الواضح أن اليهود يدركون أن بقاء دولتهم مرهون ببقاء القرار في بلاد العرب بأيدي الأنظمة العلمانية، وخاصة التي يقودها العسكريون، ومرهون أيضًا بتغييب الإسلام والمؤمنين عن مناطق الحكم وصناعة القرار، وعن إدارة المعركة، كما قال الرئيس اليهودي "ديفيد بن جوريون": إن إسرائيل ستبقى عنصرًا غير مرغوب فيه في المنطقة إلى أن تسيطر طبقة العسكريين، ومفلسفو ومبدعو فتاوى كل ما تأتيه هذه الطبقة[2].

وقال: نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ[3].

ولهذا يحرصون أن تظل هذه الأنظمة العلمانية في قيادة الحكم ومناطق صناعة القرار في بلاد الإسلام، وإبعاد الإسلام والمؤمنين عنها – كما ذكرنا.

وهيهات أن يستمر لهم ذلك، فالإسلام لا زال قائمًا، والمؤمنون قادمون..

حماية إسرائيل وحماية أمنها ليس إلا.. وقد قال علي بن أبي طالب ﷺ: عدوك ثلاثة: عدوك، وصديق عدوك، وعدو صديقك.

(1) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية31: 33.

(1) راجع: صراعنا مع اليهود صـ112، 105.

وكم كان أسف اليهود وحزنهم لقيام الثورة الشعبية في مصر في يوم الثلاثاء 21 من صفر الخير 1432هـ / 25 من يناير 2011م وإزالة صديقهم الطاغية المخلوع (محمد حسني مبارك) الذي استخدموه لصالحهم ورفاهيتهم بشقاء بلده وشعبه ، وكم كانوا يتمنون لو بقي لهم هذا الطاغية المخلوع المخذول كنزًا استرتيجيًا كما قال وزيرهم ابن أليعازر ، ولكن الله سَلَّم بهذه الثورة الشعبية المباركة .. وذهب الطاغية المخذول إلى غير رجعة .. والحمد لله رب العالمين .

(2) راجع: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام.. أبيدوا أهله صـ 62.

قادمون، وسيحقق الله لهم وعده بتحرير فلسطين، وإزالة دولة اليهود منها إن شاء الله (تحقيقًا لا تعليقًا).

وخاصة أن الله كتب لفلسطين أن يزول عنها الاحتلال الأجنبي كلما ران عليها وجثم عليها.. فقد احتلها البابليون وزالوا عنها، وأحتلها الفرس وزالوا عنها، وأحتلها الصليبيون وزالوا عنها، والاحتلال اليهودي ليس خيرًا من هؤلاء، وسيزول عنها بأيدي المؤمنين العاملين إن شاء الله كما زالوا، والله تعالى يقول: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾(القمر: 45-43)

وما أحسن ما قال الشَّاعِرُ جمال الدين بن مطروح:

الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى لَهُ عَادَةٌ ❖ سَارَتْ فَصَارَتْ مَثَلًا سَائِرَا

إِذَا غَدَا لِلْكُفْرِ مُسْتَوْطَنًا ❖ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُ نَاصِرَا

فَنَاصِرٌ طَهَّرَهُ أَوَّلًا ❖ وَنَاصِرٌ طَهَّرَهُ آخِرَا (1).

وقال ابن السيد (المؤلف):

ونَاصرٌ آخَرَ يَأتِي لَهُ ❖ فَيُحَرِّرَهُ تَحرِيرًا آخِرا.

والحمد لله رب العالمين.

---

(1) راجع : البداية والنهاية 194/13 ط دار الفكر.

ملحق
حتميّة زوال إسرائيل
في
ضوء الكتاب المقدس

ومع أني أومن أن التوراة الموجودة بين أيدي اليهود لا تصلح أن تكون مصدرًا علميًا مأمونًا أو يُمكن الاعتماد عليه؛ لأنها -فيما أعتقد -ليست هي التوراة الحقيقية التي تلقَّاها موسى عليه السلام من ربه سبحانه؛ فقد فُقدت هذه التوراة الحقيقية، وخاصة بعدما أزال بختنصر وآشور دولتهم الأولى من فلسطين، ثم كتبها الحاخامات من ذاكرتهم من جديد في بابل (حيث كانوا أسرى هناك)، وقد غيَّروا فيها وبدلوا، وأضافوا إليها وتركوا منها، وأحاطوها بعشرات الرسائل والأسفار التي لم يعرفها موسى عليه السلام، أو بتعبير آخر: حرفوها وبدلوها.. ومع هذا فإنني تعمدت أن أذكر بعض نصوصها التي تبشر المؤمنين المستضعفين وتريح المتعبين في فلسطين والعراق وغيرهما من أرض الرباط والجهاد (فلسطين وغيرها والعراق وغيرهما).

أجل، تعمدت أن أذكر بعض نصوصها ـ وإن لم أومن بصدقها – على طريقة مَن يقول: **من فمك أدينك.. أو من كذبك وتحريفك أحاجك وأُفْحمك.**

1 ـ قيام الدول وانهيارها :

من المقرر في سنن الله تعالى أن الدول تقوم وتنهار، وتنهض وتتعثر بأسباب ذاتية في داخلها **أولاً**.. فإذا جمعت في داخلها أسباب انهيارها وسقوطها يبدأ سقوطها ولابد، وقد يُعجِّل اعتداء الأعداء عليها من الخارج بانهيارها وسقوطها، لكن يظل الانهيار الداخلي هو بداية النهاية وعاملها الأكبر.

2 ـ إسرائيل دولة الفساد والإفساد:

والذي يُبشرنا -نحن المؤمنين -بانهيار دولة اليهود الثانية (إسرائيل) وسقوطها وزوالها من فلسطين بأيدي المؤمنين: أنها تحمل في ذاتها عوامل سقوطها وزوالها، فقد أُنشئت وقامت بالبغي والعدوان، وقتل وتشريد المسلمين في فلسطين، واغتصاب أموالهم وديارهم، وهم أهلها الشرعيون.. ولا يزال اليهود إلى

الآن يُقيمون عليها فسادهم وإفسادهم هذا بطريقة منظمة، وبحراسة ودافع من قوة دولتهم الرجسة والدول المُظاهرة لهم.

وإن اليهود قبل ذلك وبعده يكفرون بالإسلام ويُسيئون إلى كتابه وإلى رسوله ﷺ، ويُؤذون المؤمنين والمؤمنات في فلسطين وغيرها بغير ما اكتسبوا، وما وجدوا فرصة لإيذائهم والإساءة إليهم إلا انتهزوها وآذوهم إيذاءً شديدًا.

وهذه طبيعتهم وصفتهم التي أخبرنا الله بها ونبهنا عليها، وحذرنا منها، كما في قوله سبحانه في شأنهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (المائدة:64).

ويقول سبحانه في شأنهم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (آل عمران:99).

وهم موصوفون بذلك في توراتهم التي بين أيديهم.

قال حزقيال في سفره عن الرب سبحانه: **وَقَالَ لِي:** «يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى أُمَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَيَّ. هُمْ وَآبَاؤُهُمْ عَصَوْا عَلَيَّ إِلَى ذَاتِ هذَا الْيَوْمِ. 4وَالْبَنُونَ الْقُسَاةُ الْوُجُوهِ وَالصِّلاَبُ الْقُلُوبِ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ. فَتَقُولُ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ. 5وَهُمْ إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ امْتَنَعُوا، لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ نَبِيًّا كَانَ بَيْنَهُمْ. 6أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ، وَمِنْ كَلاَمِهِمْ لاَ تَخَفْ، لأَنَّهُمْ قَرِيسٌ وَسُلاَّءٌ لَدَيْكَ، وَأَنْتَ سَاكِنٌ بَيْنَ الْعَقَارِبِ. مِنْ كَلاَمِهِمْ لاَ تَخَفْ وَمِنْ وُجُوهِهِمْ لاَ تَرْتَعِبْ، لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ. 7وَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِكَلاَمِي، إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ امْتَنَعُوا، لأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ. (حزقيال: 2ـ 3: 7).

وقال مرة أخرى يصف تمردهم وقسوة قلوبهم: بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَسْمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَشَاؤُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لِي. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ صِلاَبُ الْجِبَاهِ وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ... فَلاَ تَخَفْهُمْ وَلاَ تَرْتَعِبْ مِنْ وُجُوهِهِمْ لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ». (حزقيال 3 / 7، 9).

وقال ميخا يصف قادة اليهود: 9اِسْمَعُوا هذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَيُعَوِّجُونَ كُلَّ مُسْتَقِيمٍ. 10الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيَوْنَ بِالدِّمَاءِ، وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ.(ميخا: 9، 10).

ولذلك فهم لا يعرفون إلا البغي والعدوان على غيرهم بقسوة لا يتخللها رحمة ولا شفقة، وحينما يكون عدوهم أقوى منهم وقادرًا على هزيمتهم، ولا يستطيعون النيل منه، ويضيق بهم الحال، يلجؤون إلى الحيلة والخداع والمراوغة، فيطلبون عقد الهدنة ومعاهدات السلام، باعتبارها ضمن خطتهم في الإعداد لإكمال بغيهم واعتدائهم، واحتلال الأرض وسفك الدماء؛ فإنهم في حقيقة أمرهم لا يعرفون للسلام طريقًا.. قال ميخا في سفره يخاطب قادة اليهود:

1**وَقُلْتُ:** «اسْمَعُوا يَا رُؤَسَاءَ يَعْقُوبَ، وَقُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ؟ 2الْمُبْغِضِينَ الْخَيْرَ وَالْمُحِبِّينَ الشَّرَّ، النَّازِعِينَ جُلُودَهُمْ عَنْهُمْ، وَلَحْمَهُمْ عَنْ عِظَامِهِمْ. 3وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ شَعْبِي، وَيَكْشُطُونَ جِلْدَهُمْ عَنْهُمْ، وَيُهَشِّمُونَ عِظَامَهُمْ، وَيُشَقِّقُونَ كَمَا فِي الْقِدْرِ، وَكَاللَّحْمِ فِي وَسَطِ الْمِقْلَى». 4 حِينَئِذٍ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فَلاَ يُجِيبُهُمْ، بَلْ يَسْتُرُ وَجْهَهُ عَنْهُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ كَمَا أَسَاءُوا أَعْمَالَهُمْ. 5هكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ شَعْبِي، الَّذِينَ يَنْهَشُونَ بِأَسْنَانِهِمْ، وَيُنَادُونَ: «سَلاَمٌ»! وَالَّذِي لاَ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ شَيْئًا، يَفْتَحُونَ عَلَيْهِ حَرْبًا (ميخا 3 ـ 1: 5)

وتبقى هذه طبيعتهم وصفتهم التي تُلازمهم ولا تُفارقهم، حتى قال إرميا في سفره: (2فَإِنَّكِ وَإِنِ اغْتَسَلْتِ بِنَطْرُونٍ، وَأَكْثَرْتِ لِنَفْسِكِ الأُشْنَانَ، فَقَدْ نُقِشَ إِثْمُكِ أَمَامِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. 23كَيْفَ تَقُولِينَ: لَمْ أَتَنَجَّسْ. وَرَاءَ بَعْلِيمَ لَمْ أَذْهَبْ؟) (إرميا 2: 22، 23).

3 ـ إسرائيل هي رجسة الخراب:

ولأجل هذا يُؤكد الكتاب المقدس الذي بين أيدي اليهود أن دولة اليهود الحالية (إسرائيل) هي رجسة الخراب أو المُخرَّب.

قال دانيال في سفره: (11وَمِنْ وَقْتِ إِزَالَةِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَإِقَامَةِ رِجْسِ الْمُخَرِّبِ ».(دانيال 12:11).

ورجسة المُخرَّب أو الخراب بشهادة أسفار الكتاب المقدس هي: دولة اليهود الثانية أو الحالية (إسرائيل)؛ بما تحمله من فساد وإفساد.. قال إرميا في سفره: وَأَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ بَسَاتِينَ لِتَأْكُلُوا ثَمَرَهَا وَخَيْرَهَا. فَأَتَيْتُمْ وَنَجَّسْتُمْ أَرْضِي وَجَعَلْتُمْ مِيرَاثِي رِجْسًا. (إرميا 3: 7،8).

وفي العهد الجديد أكد متى هو الآخر هذا في إنجيله: قال "15 فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ (ليتئمل القارئ) 16فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ. (متى: 24:15).

ومعروف أن عيسى عليه السلام وُلد وبُعث بعد زوال دولة إسرائيل الأولى من فلسطين، حيث أزالها قبله كلٌ من آشور وبختنصَّر، ثم الرومان فيما بعد؛ ومن ثم لا يكون المراد برجسة الخراب في كلامه هذا إلا دولة اليهود الحاضرة (إسرائيل).

وإنما سمَّاها دانيال رجسة المُخرّب أو الخراب؛ لأن اليهود أقاموها بالبغي والعدوان، وقتل وتشريد المسلمين فيها، وهم أهلها الشرعيون.

4 ـ اليهود يجتمعون من أقطار شتاتهم في فلسطين:

وتُبيّن التوراة أن اليهود بفسادهم وإفسادهم يأتون من كل أقطار الشتات التي تفرقوا فيها، ويجتمعون في فلسطين، ويُقيمون عليها علوهم وفسادهم وإفسادهم،

بصورة منظمة، وتدفعها وتُحرّكها قوة الدولة الغاشمة والقاسية التي لا تعرف الرحمة أو الشفقة بالخلق، ولا الحياء من الخالق سبحانه.

قال حزقيال في سفره: (قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ حَيْثُ إِنَّكُمْ كُلَّكُمْ صِرْتُمْ زَغَلاً، فَلِذلِكَ هأَنَذَا أَجْمَعُكُمْ فِي وَسْطِ أُورشَلِيمَ، 20جَمْعَ فِضَّةٍ وَنُحَاسٍ وَحَدِيدٍ وَرَصَاصٍ وَقَصْدِيرٍ إِلَى وَسْطِ كُورٍ لِنَفْخِ النَّارِ عَلَيْهَا لِسَبْكِهَا، كَذلِكَ أَجْمَعُكُمْ بِغَضَبِي وَسَخَطِي وَأَطْرَحُكُمْ وَأَسْبِكُكُمْ. 21فَأَجْمَعُكُمْ وَأَنْفُخُ عَلَيْكُمْ فِي نَارِ غَضَبِي، فَتُسْبَكُونَ فِي وَسْطِهَا. 22كَمَا تُسْبَكُ الْفِضَّةُ فِي وَسْطِ الْكُورِ، كَذلِكَ تُسْبَكُونَ فِي وَسْطِهَا، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ سَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْكُمْ» (حزقيال 22 ـ 19: 22).

وقال حزقيال: 33يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنِّي بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَبِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَبِسَخَطٍ مَسْكُوبٍ أَمْلِكُ عَلَيْكُمْ. 34وَأُخْرِجُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَجْمَعُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَفَرَّقْتُمْ فِيهَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَبِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَبِسَخَطٍ مَسْكُوبٍ. 35وَآتِي بِكُمْ إِلَى بَرِّيَّةِ الشُّعُوبِ، وَأُحَاكِمُكُمْ هُنَاكَ وَجْهًا لِوَجْهٍ. 36كَمَا حَاكَمْتُ آبَاءَكُمْ فِي بَرِّيَّةِ أَرْضِ مِصْرَ، كَذلِكَ أُحَاكِمُكُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. 37وَأُمِرُّكُمْ تَحْتَ الْعَصَا، وَأُدْخِلُكُمْ فِي رِبَاطِ الْعَهْدِ. 38وَأَعْزِلُ مِنْكُمُ الْمُتَمَرِّدِينَ وَالْعُصَاةَ عَلَيَّ. أُخْرِجُهُمْ مِنْ أَرْضِ غُرْبَتِهِمْ وَلاَ يَدْخُلُونَ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. (حزقيال: 20: 33: 38).

5 ـ وبفسادهم يَهْلكون وتزول دولتهم

وتُؤكد التوراة التي بين أيدي اليهود، ويخبرنا أشعياء أن اليهود بسبب فسادهم وإفسادهم في دولتهم الرجسة سيعاقبهم الله تعالى حتى فناء قوتهم، وزوال رجستهم (دولتهم) إلى غير رجعة، ولا يبقي منهم إلا قليلاً، لكن بغير دولة باسمهم.. قال: 1 هُوَذَا الرَّبُّ يُخْلِي الأَرْضَ وَيُفْرِغُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُبَدِّدُ سُكَّانَهَا. 2وَكَمَا يَكُونُ الشَّعْبُ هكَذَا الْكَاهِنُ. كَمَا الْعَبْدُ هكَذَا سَيِّدُهُ. كَمَا الأَمَةُ

هكَذَا سَيِّدَتُهَا. كَمَا الشَّارِي هكَذَا الْبَائِعُ. كَمَا الْمُقْرِضُ هكَذَا الْمُقْتَرِضُ. وَكَمَا الدَّائِنُ هكَذَا الْمَدْيُونُ. 3تُفْرَغُ الأَرْضُ إِفْرَاغًا وَتُنْهَبُ نَهْبًا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ بِهذَا الْقَوْلِ. 4نَاحَتْ ذَبُلَتِ الأَرْضُ. حَزِنَتْ ذَبُلَتِ الْمَسْكُونَةُ. حَزِنَ مُرْتَفِعُو شَعْبِ الأَرْضِ.. 5وَالأَرْضُ تَدَنَّسَتْ تَحْتَ سُكَّانِهَا لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا الشَّرَائِعَ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ، نَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ. 6لِذلِكَ لَعْنَةٌ أَكَلَتِ الأَرْضَ وَعُوقِبَ السَّاكِنُونَ فِيهَا. لِذلِكَ احْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَبَقِيَ أُنَاسٌ قَلاَئِلُ.(أشعياء 24 ـ 1: 6).

وقال أشعيا في سفره: لأَنَّهُ شَعْبٌ مُتَمَرِّدٌ، أَوْلاَدٌ كَذَبَةٌ، أَوْلاَدٌ لَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْمَعُوا شَرِيعَةَ الرَّبِّ. 10الَّذِينَ يَقُولُونَ لِلرَّائِينَ: «لاَ تَرَوْا»، وَلِلنَّاظِرِينَ: «لاَ تَنْظُرُوا لَنَا مُسْتَقِيمَاتٍ. كَلِّمُونَا بِالنَّاعِمَاتِ. انْظُرُوا مُخَادِعَاتٍ. 11حِيدُوا عَنِ الطَّرِيقِ. مِيلُوا عَنِ السَّبِيلِ. اعْزِلُوا مِنْ أَمَامِنَا قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ».12لِذلِكَ هكَذَا يَقُولُ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ: «لأَنَّكُمْ رَفَضْتُمْ هذَا الْقَوْلَ وَتَوَكَّلْتُمْ عَلَى الظُّلْمِ وَالاعْوِجَاجِ وَاسْتَنَدْتُمْ عَلَيْهِمَا، 13لِذلِكَ يَكُونُ لَكُمْ هذَا الإِثْمُ كَصَدْعٍ مُنْقَضٍّ نَاتِئٍ فِي جِدَارٍ مُرْتَفِعٍ، يَأْتِي هدُّهُ بَغْتَةً فِي لَحْظَةٍ. 14وَيُكْسَرُ كَكَسْرِ إِنَاءِ الْخَزَّافِينَ، مَسْحُوقًا بِلاَ شَفَقَةٍ، حَتَّى لاَ يُوجَدُ فِي مَسْحُوقِهِ شَقَفَةٌ لأَخْذِ نَارٍ مِنَ الْمَوْقَدَةِ، أَوْ لِغَرْفِ مَاءٍ مِنَ الْجُبِّ».

..... 16وَقُلْتُمْ: «لاَ بَلْ عَلَى خَيْلٍ نَهْرُبُ». لِذلِكَ تَهْرُبُونَ. «وَعَلَى خَيْلٍ سَرِيعَةٍ نَرْكَبُ». لِذلِكَ يُسْرِعُ طَارِدُوكُمْ. 17يَهْرُبُ أَلْفٌ مِنْ زَجْرَةِ وَاحِدٍ. مِنْ زَجْرَةِ خَمْسَةٍ تَهْرُبُونَ، حَتَّى إِنَّكُمْ تَبْقَوْنَ كَسَارِيَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، وَكَرَايَةٍ عَلَى أَكَمَةٍ.(التلة) (أشعيا 30 ـ 9: 14 ـ 16، 17).

وقال عاموس في سفره: فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «قَدْ أَتَتِ النِّهَايَةُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. لاَ أَعُودُ أَصْفَحُ لَهُ بَعْدُ. 3فَتَصِيرُ أَغَانِي الْقَصْرِ وَلاَوِلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، الْجُثَثُ كَثِيرَةٌ يَطْرَحُونَهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِالسُّكُوتِ». (عاموس 8: 2، 3).

وقال: قَالَ الرَّبُّ: امْرَأَتُكَ تَزْنِي فِي الْمَدِينَةِ، وَبَنُوكَ وَبَنَاتُكَ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ، وَأَرْضُكَ تُقْسَمُ بِالْحَبْلِ، وَأَنْتَ تَمُوتُ فِي أَرْضٍ نَجِسَةٍ، وَإِسْرَائِيلُ يُسْبَى سَبْيًا عَنْ أَرْضِهِ". (نفسه 7/ 16:17).

6 ـ الجنود الذين سيُزيلون هذه الرجسة:

أمّا الجنود الذين سيبعثهم الله على اليهود المعتدين ؛ ليُزيلوا علوهم ودولتهم الرجسة الثانية، فأوقن أنهم المؤمنون العاملون بالإسلام.. فهم الأمة التي اصطفاها الله تعالى وأعدها حتى حررت فلسطين من الاحتلال الصليبي البائد، وهي التي يصطفيها الله تعالى ويُعدها حتى تُحررها من الاحتلال اليهودي الحاضر، وتُزيل دولة اليهود الثانية (إسرائيل) منها إلى غير رجعة.

قال أشعيا في سفره: عن غضب الرب على بني إسرائيل:

26فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. 27لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ، وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ، وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أَحْذِيَتِهِمُ. 28الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعُ قِسِيِّهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَّانِ، وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزَّوْبَعَةِ. 29لَهُمْ زَمْجَرَةٌ كَاللَّبْوَةِ، وَيُزَمْجِرُونَ كَالشِّبْلِ، وَيَهِرُّونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلاَ مُنْقِذَ. 30يَهِرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. فَإِنْ نُظِرَ إِلَى الأَرْضِ فَهُوَ ذَا ظَلاَمُ الضِّيقِ، وَالنُّورُ قَدْ أَظْلَمَ بِسُحُبِهَا (أشعيا 5/ 26: 30).

وقال دانيال: وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ، وَانْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ، وَإِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. 27وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرِّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُخَرِّبِ». (دانيال 9: 26، 27).

7 ـ الأمة الإسلامية كلها تتحد وتتضامن في دولة واحدة وجيش واحد:

ولن يكون الفلسطينيون وحدهم في هذه المعركة، وإنما سيتحد المسلمون معهم، وإن تباعدت أقطارهم وكثرت نفقاتهم؛ حتى يُحرروا فلسطين، ويُزيلوا هذه الدولة اليهودية الرجسة منها إلى غير رجعة، **ويشير إلى ذلك أرميا، فقال في سفره:** (قَالَ الرَّبُّ: هُوَ ذَا شَعْبٌ قَادِمٌ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ، وَأُمَّةٌ عَظِيمَةٌ تَقُومُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ. 23تُمْسِكُ الْقَوْسَ وَالرُّمْحَ. هِيَ قَاسِيَةٌ لاَ تَرْحَمُ. صَوْتُهَا كَالْبَحْرِ يَعِجُّ، وَعَلَى خَيْلٍ تَرْكَبُ، مُصْطَفَّةً كَإِنْسَانٍ لِمُحَارَبَتِكِ يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ». (إرميا 6: 22، 23)

وقال زكريا في سفره: 9ابْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. 10 وَأَقْطَعُ الْمَرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِلأُمَمِ (زكريا 9: 9، 10).

وهذا كما ينطبق على الفتح الإسلامي الأول للقدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، يجوز أن يكون بشارة بالفتح الإسلامي الآخر للقدس بعد تحريرها من الاحتلال اليهودي الحاضر، وتطهيرها من فساده، ويأتي محررها، ويدخلها على ذات الوصف.

8 ـ صفة الجندي المنشود لنصر الله الموعود:

وتصف التوراة في سفر يوئيل الجنود المؤمنين الذين سيزيلون هذه الرجسة بالكثرة والقوة التي لم يُعرف لها نظير قبل ذلك.. قال يوئيل:

شَعْبٌ كَثِيرٌ وَقَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ نَظِيرُهُ مُنْذُ الأَزَلِ، وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. 3قُدَّامَهُ نَارٌ تَأْكُلُ، وَخَلْفَهُ لَهِيبٌ يَحْرِقُ. الأَرْضُ قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ قَفْرٌ خَرِبٌ، وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ. 4كَمَنْظَرِ الْخَيْلِ مَنْظَرُهُ، وَمِثْلَ الأَفْرَاسِ يَرْكُضُونَ.

5كَصَرِيفِ الْمَرْكَبَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ يَثِبُونَ. كَزَفِيرِ لَهِيبِ نَارٍ تَأْكُلُ قَشًّا. كَقَوْمٍ أَقْوِيَاءَ مُصْطَفِّينَ لِلْقِتَالِ. 6مِنْهُ تَرْتَعِدُ الشُّعُوبِ. كُلُّ الْوُجُوهِ تَجْمَعُ حُمْرَةً. 7يَجْرُونَ كَأَبْطَالٍ. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ، وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ، وَلاَ يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. 8وَلاَ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ، وَبَيْنَ الأَسْلِحَةِ يَقَعُونَ وَلاَ يَنْكَسِرُونَ. 9يَتَرَاكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ. يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوَى كَاللِّصِّ. 10قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا (يوئيل 2 ـ 2:10).

9 ـ مصر رأس القوة :

ومصر لن تكون بعيدة عن هذه المعركة.. معركة تحرير فلسطين، بل ستكون هي قطب الرحى كما كانت في الماضي، وسيكون جيشها رائد الجيوش الإسلامية في الانتصار الإسلامي على اليهود المعتدين، وزوال دولتهم الرجسة من فلسطين إلى الأبد.

والشعب المصري الأبيّ لن ينخدع بدعاوى السلام، وزيف وظلم معاهدات السلام التي يعقدها القادة العلمانيون العرب مع الدولة اليهودية الثانية.. فما هي إلا معاهدات استسلام للقوة اليهودية.

أجل، سيكون الشعب والجيش المصري في طليعة المُجاهدين لتحرير فلسطين، وسيُزيل الدولة اليهودية الثانية منها، ويأتي بما بقي من اليهود أسرى إلى مصر.

وللشعب المصري الشرف في ذلك.. وقد أخبر النبي (ﷺ) بذلك فيما رواه عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا فتح الله عليكم مصر

فاتخذوا فيها جندا كثيرا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض، فقال له أبو بكر : ولم يا رسول الله؟.. قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة " [1].

قال سفر التثنية: 63وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا. 64وَيُبَدِّدُكَ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا ، وَتَعْبُدُ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ، مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ. 65وَفِي تِلْكَ الأُمَمِ لاَ تَطْمَئِنُّ وَلاَ يَكُونُ قَرَارٌ لِقَدَمِكَ، بَلْ يُعْطِيكَ الرَّبُّ هُنَاكَ قَلْبًا مُرْتَجِفًا وَكَلاَلَ الْعَيْنَيْنِ وَذُبُولَ النَّفْسِ. 66وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً قُدَّامَكَ، وَتَرْتَعِبُ لَيْلاً وَنَهَارًا وَلاَ تَأْمَنُ عَلَى حَيَاتِكَ. 67فِي الصَّبَاحِ تَقُولُ: يَا لَيْتَهُ الْمَسَاءُ، وَفِي الْمَسَاءِ تَقُولُ: يَا لَيْتَهُ الصَّبَاحُ، مِنِ ارْتِعَابِ قَلْبِكَ الَّذِي تَرْتَعِبُ، وَمِنْ مَنْظَرِ عَيْنَيْكَ الَّذِي تَنْظُرُ. 68وَيَرُدُّكَ الرَّبُّ إِلَى مِصْرَ فِي سُفُنٍ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قُلْتُ لَكَ لاَ تَعُدْ تَرَاهَا ، فَتُبَاعُونَ هُنَاكَ لأَعْدَائِكَ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي».. (التثنية:28: 63: 68)

وقال إرميا هو الآخر في سفره: 36لِمَاذَا تَرْكُضِينَ لِتَبْدُلِي طَرِيقَكِ؟ مِنْ مِصْرَ أَيْضًا تَخْزَيْنَ كَمَا خَزِيتِ مِنْ أَشُّورَ. 37مِنْ هُنَا أَيْضًا تَخْرُجِينَ وَيَدَاكِ عَلَى رَأْسِكِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ رَفَضَ ثِقَاتِكِ، فَلاَ تَنْجَحِينَ فِيهَا. (إرميا 2/ 36،37).

فإذا كان (سرجون) ملك آشور قضى على دولة الشمال اليهودية: (إسرائيل)، ونقل أهلها أسارى إلى شرقي الفرات.. وإذا كان (بختنصر) قضى

---

(1) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، .. والمتقي الهندي في الكنز 14 / 168 رقم 38262 .. وفيه عبد الله بن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري عن بحر بن داخر المعافري ، ولم أر للأسود ترجمة إلا أن ابن حبان ذكر في الثقات أنه يروى عن بحر بن داخر ، ووثق بحرًا".

على دولة الجنوب (أورشليم)، وسبى أهلها ونفاهم إلى بابل [1] فإن الشعب المصري سيقود حركة الجهاد لتحرير فلسطين، والقضاء على الدولة اليهودية الثانية (المعاصرة)، ويقود اليهود المعتدين سبايا إلى مصر ؛ حيث أن تشبيه خزيهم من مصر بخزيهم من آشور يعني أن المصريين سيهزمونهم، ويزيلون دولتهم، ويأخذونهم سبايا وأسرى إلى مصر، كما فعل بهم آشور، وهذا مقتضى التشبيه المذكور في التوراة.

وفي هذا دلالة، على أن مصر ستتغيَّر وتكون إسلامية، وذات قوة أكثر، وبأس أشد، وسيُعاد اليهود إليها مرة أخرى، لكن هذه المرة أسارى أذلاء، ولا أحد يشتري ؛ فلا يُريدهم أحد، ولو عبيدًا وإماءً..!!، لأنهم رجس.. فهم يكفرون بالإسلام، ويُؤذون الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ والمؤمنين.. ولأنهم يحملون في قلوبهم الحقد والحسد والغدر والبغضاء لكل الناس، وفي أبدانهم فيروسات الفساد والإفساد.

إنه عقاب الله الذي يُنزله بالقوم الظالمين والمفسدين .. وسنته التي تتكرر عليهم ولا تتغير، كما يقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال : 13).

وفي يوم الانتقام الإلهي بأيدي المؤمنين لن يقع العقاب على الإسرائيليين ودولتهم وحدهم إنما سيشمل كل من شاركهم، وأقام لهم دولتهم الرجسة على أشلاء المؤمنين.. ولنقرأ النص الأشعيائي الآتي.. قال: 1فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ

---

(1) الثابت لدى المؤرخين أن اليهود أقاموا دولتهم الأولى بعد خروجهم من مصر بزمان بعيد، ثم أفسدوا فيها حتى افترقت دولتهم إلى دولتين متعاديتين :إحداهما في الشمال وهي (إسرائيل) ، وعاصمتها شكيم أو (نابلس) والثاني في الجنوب وهي : (أورشليم) مملكة يهوذا ،وعاصمتها (القدس أو أورشليم) .

الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ. (أشعيا 27: 1).

لقد حار شراحهم من الكهنة والحاخامات في تفسير ذلك، ولكن المتأمل في قيام رجسة الخراب (إسرائيل) يجد أن ثلاث حيات أنشأتها:

1 ـ الحية الهاربة، وهي بريطانيا التي أعطت وعد بلفور، وهيأت للعصابات اليهودية احتلال فلسطين وقتل وتشريد أهلها ثم هربت.

2 ـ الحية الملتوية التي التفت على الأرض المقدسة واحتلتها بقوة السلاح وضعف المسلمين، وهي دولة اليهود (إسرائيل).

3 ـ التنين أو الحية العظمى التي في البحر، وهي (أمريكا)؛ إذ إنها تعتدي على المؤمنين وتعاون اليهود ودولتهم عن طريق حاملات طائراتها ومدمراتها التي في البحر[1].

وفي الاتجاه المُقابل وفيما يُشبه النفخ في الصور يعود اللاجئون الفلسطينيون إلى ديارهم آمنين، ويتداعى المسلمون بعد المعركة الكبرى والنصر العظيم إلى الأرض المباركة للزيارة والاعتكاف والإقامة.

والخلاصة: أن هذه الدولة اليهودية الثانية التي يصفها الكتاب المقدس لدى اليهود بأنها الرجسة لا بد أن تُخرّب وتزول بأيدي المؤمنين العاملين، ويومهم هذا قد اقترب إن شاء الله تعالى.. وأقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.. إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا.. إن موعدهم الصبح.. أليس الصبح بقريب ؟!.. والله المستعان على ما يصفون.

---

(1) راجع: يوم الغضب.. هل بدأ بانتفاضة رجب؟! .. قراءة تفسيرية لنبوءات الكتاب المقدس عن نهاية دولة إسرائيل.. كتبها د. سفر عبد الرحمن الحوالي ط.. رمضان 1421هـ.

فذلكة الكتاب [1] وتـوصياته

أولاً : وبعد هذا العرض يتضح في كتابنا الحقائق الآتية :

1 ـ أن الله تعالى وعد المؤمنين المجاهدين بالنصر على أعدائهم من اليهود والصليبيين المعتدين، وتحرير فلسطين من وجودهم، ولا يعني هذا إلا حتمية زوال الدولة اليهودية الثانية (إسرائيل) بأيدي المؤمنين المجاهدين إلى غير رجعة.. والله تعالى يقول: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:6).

2 ـ وأن هذا الوعد الإلهي يتحقق للمؤمنين المجاهدين وفق سنن الله في النصر والهزيمة، فإذا استجمعوا شروط النصر والتمكين حقق الله لهم وعده المذكور، وإلا فلا، كما يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (محمد: 7، 8).

وهذه سنة الله في المؤمنين من قبل، ولن تتبدل عن أحفادهم من بعد إلى يوم القيامة، كما يقول سبحانه: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:62).

3 -وأن فترة الضعف التي يمر بها المسلمون في عصرنا غير دائمة عليهم، بل

---

(1) (فذلكة) .. كلمة معجمية معناها: نهاية الشيء وخلاصته.. قال الفيروزبادي: فذْلك حسابه: أنهاه وفرغ منه.. وهي كلمة مُخترعة (أي منحوتة) من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا (راجع القاموس المحيط 2 / 1258).. وقال العلماء في المعجم الوسيط 2 /678: فذْلك (الحساب) أنهاه، وفرغ منه، وهي منحوتة من قوله: فذلك كذا وكذا، إذا أجمل حسابه..(الفذلكة): مُجمل ما فُصل وخلاصته.. وهي (مُحدثة).

سينقضي أمدها المقدور في علم الله تعالى، ويَعود المسلمون إلى رشدهم ووحدتهم وقوتهم، ويستجمعون شروط النصر والتمكين، ويحقق الله لهم وعده المذكور.

والله تعالى جعل الأيام بين الناس دولاً، كما يقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:140). مما يعني أنّ دوام الحال من المحال.

ثانيًا: ونوصي المؤمنين بالوصايا الآتية:

1 ـ أن تبقى فلسطين حية في نفوسهم، بتذكير الأبناء والأحفاد بها دائمًا، وتذكيرهم بأخبارها، وبأخبار اعتداء اليهود عليها وعلى المؤمنين فيها، ولا يجوز للمسلم أن يترك التذكير بها حتى تنساها الأجيال؛ فتلحق بالأندلس (أعادها الله للمؤمنين).

وللمؤمنين وسائل كثيرة في ذلك، مثل: مناهج التعليم، وقنوات والإعلام، والمجالس الخاصة والعامة وفي المؤتمرات، وغيرها

2 - وعلى المؤمنين العاملين أن يوقنوا بوعد الله لهم بالنصر والتحرير، ولا يُداخلهم شك في وقوعه لهم متى استجمعوا شروطه.. وعليهم مع ذلك أن لا يسمعوا لشبهات المشككين، ودعاوى مرضى القلوب من القاعدين والمُخذِّلين؛ فإنهم لا يوقنون، وإن الله تعالى لا يخلف وعده، كما يقول سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم:60).

3 ـ وعليهم مع هذا أن يعدوا للجهاد عُدَّته، ويستجمعوا للنصر أسبابه، وينطلقوا في سبيل الله مجاهدين؛ ليتحقق لهم هذا الأمل المنشود، وإلا فإن الأمل بغير عمل أمانٍ فارغة، وأحلامٌ كاذبة، لا يحرر أرضًا، ولا يردُّ مغصوبًا، ولا يصون كرامةً.

4 ـ وواجب على المؤمنين أيضًا أن تظل إرادة الجهاد قوية متّقدة في حناياهم..

وأن يظلوا مرابطين مستعدين للنفير إلي الجهاد في كل أوقاتهم، ليكونوا على استعداد دائم لملاقاة عدوهم، ولا يُؤخذوا على غرّة.

5 ـ أجل، إن الله وعدنا النصر على اليهود المعتدين، واسترداد حقنًا منهم بصبرنا على قتالهم، واستمرار قيامنا عليهم، مجاهدين لا نفتر، وطالبين النصر والتحرير، ولا نمل ولا نيأس، حتى نُحرر أرضنا ،ونسترد حقنا النغصوب، كما يقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:75).

وإذا حقق المؤمنون العاملون ذلك، وخرجوا لله مجاهدين فسيرزقهم الله النصر على اليهود المعتدين، ويُمكّنهم من تحرير فلسطين، ويُزيلوا الدولة اليهودية الثانية -إن شاء الله (تحقيقًا لا تعليقًا).

ولهذا فإن معاهدات السلام مع هؤلاء اليهود المعتدين حيلة يهودية خادعة، تستهدف تضييع الوقت، وإلهاء المؤمنين عن هدف اليهود الحقيقي في فلسطين، ليقعدوا عن الجهاد لبتحرير فلسطين واستردادها.. فهي إذن معاهدات استسلام لليهود المعتدين، وإقرار على احتلالهم أرضنا وسفك دماءنا، وتمريغ كرامتنا تحت أقدامهم... والله المستعان.

هذا، وقد كتبت كتابي المرتقب (الطريق إلى تحرير فلسطين) لبيان المنهج الإيماني المطلوب لتحرير فلسطين؛ لنضعه أمام الأجيال المؤمنة العاملة في طريقها إلى تحرير فلسطين.. يسَّر الله طباعته ونشره.. وأسأل الله أن يكون قريبًا.. اللهم آمين.. ويرحم الله عبدًا قال : آمينا.

محمد السيد الشناوي

(بن السيد)

من علماء الأزهر.. كاتب وباحث إسلامي

وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الفهرس

خطبة الكتاب . . . . . - 9 -
مقدمة . . . . . - 14 -
الفصل الأول . . . . . - 17 -
المؤمنون أمام وعد الله تعالى . . . . . - 17 -
وجوب الأمل لدى المؤمنين . . . . . - 19 -
المؤمنون أمام وعد الله . . . . . - 31 -
الفصل الثاني . . . . . - 45 -
حتمية زوال إسرائيل في ضوء القرآن الكريم . . . . . - 45 -
تمهيد . . . . . - 46 -
البشارة بالوعد الأول . . . . . - 49 -
ليسلطن الله المؤمنين على اليهود فيزيلون دولتهم وعلوهم . . . . . - 49 -
البشارة بالوعد الثاني . . . . . - 55 -
ليُمكننّ الله للمؤمنين ويرزقهم النصر والعلو . . . . . - 55 -
البشارة بالوعد الثالث . . . . . - 60 -
المؤمنون هم الذين يزيلون الإفساد اليهودي الثاني من فلسطين . . . . . - 60 -
البشارة بالوعد الرابع . . . . . - 73 -
سيزول الحشر اليهودي الثاني بأيدي المؤمنين . . . . . - 74 -
البشارة بالوعد الخامس . . . . . - 87 -
اليهود يُغلبون بأيدي المؤمنين المجاهدين . . . . . - 87 -
البشارة بالوعد السادس . . . . . - 100 -
وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ . . . . . - 100 -
البشارة بالوعد السابع . . . . . - 110 -
سيأتي الله بالفتح بأيدي المؤمنين . . . . . - 110 -
البشارة بالوعد الثامن . . . . . - 119 -
اليهود يجمعون أسباب هزيمتهم . . . . . - 119 -
البشارة بالوعد التاسع . . . . . - 123 -

ليُظهرن الله المؤمنين على اليهود المعتدين . . . . . - 123 -
البشارة بالوعد العاشر . . . . . - 131 -
نصر المؤمنين على اليهود المعتدين . . . . . - 131 -
الفصل الثالث . . . . . - 135 -
حتميّة زوال إسرائيل في ضوء السنة النبوية . . . . . - 135 -
تمهيد . . . . . - 136 -
البشارة بالوعد الأول . . . . . - 138 -
عودة الخلافة الإسلامية الراشدة . . . . . - 138 -
البشارة بالوعد الثاني . . . . . - 140 -
ظهور المجدّدين . . . . . - 140 -
البشارة بالوعد الثالث . . . . . - 146 -
المجاهدون المنصورون . . . . . - 146 -
البشارة بالوعد الرابع . . . . . - 152 -
نصر المؤمنين المجاهدين على اليهود المعتدين . . . . . - 152 -
البشارة بالوعد الخامس . . . . . - 159 -
فتح البلاد الغربية للإسلام . . . . . - 159 -
البشارة بالوعد السادس . . . . . - 162 -
فتح أقطار الأرض للإسلام . . . . . - 162 -
البشارة بالوعد السابع . . . . . - 166 -
خبر المهدي . . . . . - 166 -
الفصل الرابع . . . . . - 169 -
حتميّة زوال إسرائيل في ضوء التاريخ . . . . . - 169 -
تمهيد . . . . . - 170 -
أولاً: واقعة الردة . . . . . - 173 -
التاريخ يعيد نفسه . . . . . - 192 -
وإسرائيل لابد أن تزول بإذن الله . . . . . - 192 -
هل تنتهي دولة اليهود الثانية؟ . . . . . - 210 -
ملحق . . . . . - 219 -